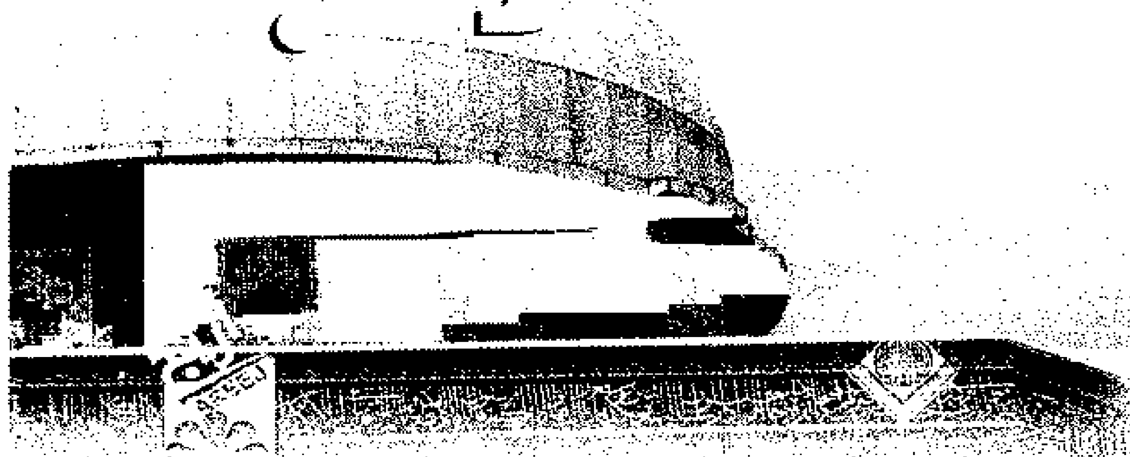
عمرو خالد

إصلاح القلوب



عمرو خالد

إصلاح القلوب



الدار العربية للعلوم
Arab Scientific Publishers



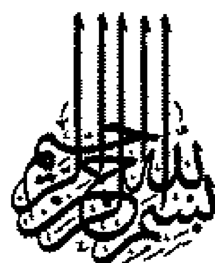
كل الحقوق محفوظة

الكتاب : إصلاح القلوب
تأليف : الأستاذ/ عمرو خالد
بريد إلكتروني : www.amrkhaled.net
الناشر : أريج للنشر والتوزيع
4 شارع اليسر ، متفرع من شارع مكة . الدقى
ص . ب : 463 الدقى .
هاتف : 3366963 - 3379910(202)+
فاكس : 3387836 (202)+
البريد الإلكتروني : info@areej.com.eg
موقعنا على الإنترنت : www.areej.com.eg
رقم الإيداع : 2003/19772
الترقيم الدولي : 977-6103-33-2
الطبعة الأولى : 1424هـ - 2004م

دعوة : إذا كان لديكم فكرة أو عمل مميز ، هادف، نافع، يخدم لمتنا العربية، في أي ميدان من ميادين العلم، فإن أريج يشرفها التعاون معكم .

إصلاح القلوب

عمرو خالد



المحتويات

الباب الأول - الإخلاص

الباب الثاني – التوبة

الباب الثالث – التوكّل

الباب الرابع – محبة العبد لله

الباب الخامس – حب الله للعبد

الباب السادس – مجاهدة النفس

الباب السابع – الطريق إلى الجنة

الباب الثامن – الخشية

الإهــداء

إلى أبي وأمي صاحبا الفضل علي ،

إلى الحاجة ياسمين الحصري التي وقفت بجواري طويلاً .

إلى زوجتي الغالية التي ساندتني في المحن والأزمات .

إلى الشباب المخلص المحب لربه ولدينه .

المقدمـــة

هذا الكتاب هو عبارة عن سلسلة من المحاضرات كنت قد ألقيتها منذ عدة سنوات في مسجد الشيخ محمود خليل الحصري بالقاهرة.

وأنا أكتب هذه المقدمة، أعيش مع ذكريات جميلة تستغرق كل أحاسيسي الآن، أنا الآن أتذكر كل شيء صاحب إلقاء هذه المحاضرات.

إنها لم تكن مجرد محاضرات، إنما كانت ملحمة شبابية مفعمة بدفء الإيمان وعواطف الأخوة في الله تعالى.

وائذن لي أيها القارئ العزيز أن أستصحبك معي لتزور معي مسجد الحصري، لتعيش معي الجو الذي ألقيت فيه محاضرات إصلاح القلوب.

المسجد أسسه شيخ القراء المصريين الشيخ محمود خليل الحصري (رحمه الله تعالى).

المسجد وهو في حي يسمى حي العجوزة، في منطقة وسـط بين حي راق وهو حي المهندسين، وحي شعبي هو منطقة الحسينية

وكأن المسجد على الحدود تماماً بين المنطقتين، والمسؤولة عن المسجد هي ابنة الشيخ الحصري السيدة الفاضلة،أو قل أمي الثانية الحاجة ياسمين الحصري. مساحة المسجد صغيرة، لا يسع لأكثر من مائتي شخص، وفي هذا الجو بدأنا هذه المحاضرات التي بين أيديكم.

لكن الله صاحب المنة والفضل بلّغ صوتنا للآلاف من الناس، فجاء الشباب من كل مكان يستمعون إلى هذه المحاضرات حتى وصل العدد لما يقرب 15000 خمسة عشر ألفاً من الشباب والبنات، أسبوعياً. وكأني أنظر الآن إلى وجوه هؤلاء الشباب فأجدها مشرقة نقية يعلوها الأمل لغد أفضل.

كانوا آلاف في قلب واحد.

كنت أحس أن الله ينطقني من أجلهم، كنت أحس كل أسبوع بالملائكة تحيط بنا كأني أراهم، يدلني على ذلك جو السكينة الرائع الذي يحف المكان.

كنت أرى في وجوههم آثار محبة الله لعباده، ولعلك تسألني كيف يجلس 15000 في مكان لا يسع إلا 200 شخص.

لقد فعل أهل المنطقة شيئاً عجيباً، لقد فرشت جميع أسطح العمارات المحيطة بالمسجد بالحصر ليجلس مئات الشباب والبنات. اللطيف أنه كان يكتب في مداخل العمارات سطوح رجال أو

سطوح نساء، بل الأعجب من ذلك أن هذه المنطقة ممتلئة بوكالات بيع السيارات، فكنا نفاجأ بأصحاب الوكالات يخرجون السيارات المعروضة للبيع ويضعونها في أماكن بعيدة ليفرغوا مكان الوكالة ليتحول إلى مسجد.

بل الأعجب والأعجب أن أصحاب محلات الطعام يوم المحاضرة يعلقون يافطة "مغلق يوم الخميس" من أجل أن يستقبلوا آلاف الحاضرين ليجدوا مكاناً يجلسوا فيه.

لن أنسى لأهالي هذا الحي كيف كانوا ينظفون الحدائق المحيطة، ويرممونها ليجلس فيها الشباب والبنات. بل تعجب إذا قلت لك إن الشقق الخاصة كانت تفتح أبوابها لمن يريد أن يدخل ليستمع إلى المحاضرة، وهكذا كان يجلس 15000 في مكان لا يسع إلا بضع مئات.

وكان يوم الدرس يسبقه عمل طويل يقوم به العشرات من الشباب لتجهيز المكان ليتسع لهذا العدد.

شباب وبنات من أشهر العائلات، يخرجون من أشغالهم وكلياتهم مسرعون إلى مسجد الحصري،فتجد أحدهم يكنس الطريق والآخر يفرش الحصر والثالث يساعد في تحويل سير السيارات لا يبتغون في ذلك إلا وجه الله الكريم.

تجدهم يتفانون في هذا العمل، حتى تبكي عينك حباً لهم فرحةً بهم. وكنت تجد بينهم الحاجة ياسمين الحصري تعمل وتحمل الحصر على كتفها وكأنها بنت العشرين، وكنت أستشعر بمنتهى الفقر إلى الله، أن كل هذه الأشياء أعدّت من أجل كلمات سألقيها، يفتح الله بها علي.

هذه هي الكلمات التي بين أيديكم.

كانت أياماً رائعة لا أدري هل ستعود أم لا.

ولو سألتني ما سر نجاح هذه الأيام لا أجد إلاّ كلمة واحدة إنه "الإخلاص"، إخلاص الشباب، إخلاص البنات، إخلاص الحاضرين، إخلاص الحاجة ياسمين وأسأل الله أن ألحق بهم.

صدقني يا عزيزي القارئ أني لا أستطيع أن أقاوم دموعي الآن وأنا أكتب هذه المقدمة، لقد تذكرت الشباب المخلص.

هذه هي سلسلة إصلاح القلوب، أسأل الله أن تقرأها وكأنك تجلس بيننا هناك في مسجد الحصري فتفعل في قلبك ما، فعلته في قلوبنا والله المستعان.

عمرو خالد

بيروت– لبنان

الباب الأول

الإخلاص

بسم الله الرحمن الرحيم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ...

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا. من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلن تجد له مرشداً.

إن الإخلاص قد لا يستفيد منه كثيراً من كان في بداية التزامه، لكن الكلام عن الإخلاص مفيد لمن أقبل على طاعة الله منذ فترة وتعامل مع الله زمناً وأقبل على العبادة وذاق حلاوتها، وكان له مع الله تبارك وتعالى إقبال، ومع الشيطان صولات وجولات، فمن كان هذا شأنه فسيكون هذا الكلام مفيداً له.

ماذا يعني الإخلاص ؟

الإخلاص يعني أن تقصد بقولك وعملك وحياتك وموتك وسكونك وكلامك وحركتك وسرك وعلانيتك وكل فعلك في هذه الدنيا شيئاً واحداً هو: إرضاء الله عز وجل، لذلك فهو أمر شديد وأمر مهم.

وقد قيل في أحد معاني الإخلاص: إن الإخلاص هو إفراد الله تعالى بالقصد في كل التصرفات، تفرد الله بكل قصد في أي تصرف من تصرفاتك، فلا يكون لك قصد في أي تصرف من التصرفات إلا وجه الله، هذا الإخلاص من حيث المعنى. وقيل: الإخلاص أن تنسى رؤية الخلق فلا ترى إلا الخالق، فقد تكون مخلصاً وأنت تقف بين ألف واحد وتبكي وتكون مع هذا مخلصاً لماذا؟ لأنك لا تراهم، فالإخلاص أن تفقد رؤية الخلق، فأنت لا ترى إلا الله تعالى، فلا تجد مشكلة في التصدق أمام الناس ولا تجد مشكلة في البكاء وأنت تصلي وخاشع فأنت لا ترى إلا الله.

وقيل: الإخلاص أن لا تطلب على عملك أي شهود، فلا تطلب أن يشهد أحدٌ على عملك إلا الله عز وجل، فلست بحاجة لأن يشهد أحدٌ عملك بأنك صليت وبكيت، ولا أن يشهد أحدٌ على عملك بأنك حججت ست مرّات، ولست بحاجة لأن يشهد

أحدٌ على عملك بأنك تتحرك في سبيل الله، ولستَ بحاجة لأن يشهد أحد على عملك بأنك قد ارتديت الحجاب لأن الله يكفيك ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾ [الفتح: 28].

لذلك فإن الإخلاص هو عمل من أعمال القلوب، بل هو في مقدمة أعمال القلوب، ولا تتم الأعمال إلا به، لأن أساس قبول الأعمال متوقف على عبادة القلب هذه، والتي هي سرٌّ لا يعلمها إلا الله تعالى.

ولو أردنا أن نعرف الإخلاص ثانية، فمعنى الإخلاص أن يكون دافعك لأي عمل في الوجود هو إرضاء الله عز وجل.

فما الأعمال الممكن عملها؟ عبادات، طاعات، صلاة، صوم، زكاة، حج، كلها لا يُبتغى بها إلا وجه الله، وماذا يبقى غير ذلك من الأعمال في الدنيا-العاديات-! أكل وشرب ونوم وزواج وعمل ومال ورياضة، حتى هذه من الإخلاص أن لا يبتغى فيها إلا وجه الله.

هنا قد يتساءل المرء، الإخلاص يكون في الطاعات لكن ما الدليل على أنه حتى في العاديات – أمور الحياة – ينبغي الإخلاص فيها! الدليل قول الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿162﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ...﴾ [الأنعام: 162-163].

لقد كنا نفهم الإخلاص أننا حين نصلي لا يكون لأحد نصيب في صلاتنا، وحصر الإخلاص في الصلاة وغيرها من العبادات غير صحيح، فالإخلاص أن تبقى كل حياتك لله حتى وأنت تعمل، حتى وأنتِ تربين أولادك في البيت، حتى حينما تختار شريكة حياتك، حتى وأنت تختار لباسك، حتى وأنت تختار طعامك، وحتى وأنت تنام، فإذاً لا بد أن تكون مخلصاً لله في كل تصرفات حياتك، فهذا هو المعنى الشامل للإخلاص: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: 162].

قيمة الإخلاص وثوابه وعظم قدره عند الله عز وجل

يقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ...﴾ [البينة: 5]، ﴿وَمَا أُمِرُوا﴾ أي أنكم لم تؤمروا بشيء إلا أن تعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء، ويقول الله تبارك وتعالى: ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾ [الزمر: 11]، ويقول الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ۝ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ...﴾ [الزمر: 2-3]، انظروا لهذا التعبير القرآني الجميل، فلمن يكون الدين الخالص ولمن تكون العبادة الخالصة إن لم تكن لله؟! ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ...﴾ [الزمر: 3].

أما الأنبياء، فتسمع قول الله تبارك وتعالى حين يمدح أنبياءه ويزكي أنبياءه يقول عنهم: ﴿إِنَّآ أَخْلَصْنَٰهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى ٱلدَّارِ﴾ [ص: 46]، وحين يتكلم الله تبارك وتعالى عن يوسف وكيف نجا من الفاحشة؟،نرى أنه ما نجا إلا بالإخلاص، يقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ ۖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ ۚ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ [يوسف: 24].

فلولا الإخلاص لما نجا من الفاحشة، فالشاب الذي يقول: إنني أتعرض للفتن ليل نهار، وأتعرض لأشخاص يعرضونني للفواحش ليل نهار، وأعمل في مكان رديء أو غير ذلك، فنقول لمن يقول مثل هذا الكلام: تعلم من يوسف عليه السلام وأخلص قلبك لله، اجعل كل حياتك لله عز وجل، فإن فعلت فسينجيك الله تبارك وتعالى ويصرف عنك السوء كما صرفه عن نبيه يوسف عليه السلام كما قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ [يوسف: 24].

وما بلغ موسى عليه السلام المنزلة التي بلغها إلا بإخلاصه لله عز وجل، يقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مُوسَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا﴾ [مريم: 51].

والأعجب من هذا أن إبليس يقدر على البشر أجمعين إلا المخلصين، فإبليس لا يستطيع أن يقترب من المخلصين، فالكثير منا يستطيع الشيطان أن يفعل به ما يريد، إنما النموذج الوحيد الذي لا يقربه إبليس هو المخلص، يقول إبليس - كما أخبر الله تعالى -: ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ (79) قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ (80) إِلَىٰ يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ (81) قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (82) إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾ [ص: 79-83] فإبليس نفسه يقول: سأغويهم كلهم إلا صنف واحد، من هم؟.. إلا عبادك منهم المُخْلَصين. فبقدر إخلاصك بقدر ما يعجز الشيطان عن الوسوسة إليك، وبقدر صلتك بالله وبقدر إخلاص قلبك لله تجنبك الشيطان وعلم أنه لا سبيل له إليك ولا اجتراء له عليك ﴿... وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (39) إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾ [الحجر: 39، 40].

وكذلك فإنه لا تصح توبة منافق من المنافقين إلا باستكمال بند الإخلاص، يقول الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا (145) إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [النساء: 145-146] عندها يصبحوا مع المؤمنين، عندما يخلصوا كل دينهم لله عز وجل.

ولذا إخوتي نجد أن المرء في الحج والعمرة يؤدي نصف مناسك الحج وهو يلبي، فماذا يقول؟ لبيك اللهم لبيك - فهو يعلن إخلاصه - لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك لبيك، ولو أردنا أن نحسب عدد المرات التي يقال فيها هذا الدعاء أو هذه المناجاة لله عز وجل لعدت بالآلاف، وكأن المرء يكررها حتى تقتل الرياء في قلبه، لكي تنمي الإخلاص في قلبه، وقد كان أحد التابعين يلبي ويلبي ويلبي حتى يُبَحَّ صوته ثم يقول بعد ذلك: "لبيك يا رب لو كان رياءً لاضمحل"[1] لو كان هناك أدنى رياء لكان انتهى، وكأنه يقول: يا رب أَزِلْ الشرك من قلبي، يا رب أَزِلْ ما بقي من الرياء في قلبي؛ وهذا من معاني الحج والعمرة وكأن الهدف الكبير للحج والعمرة الإخلاص لله عزّ وجل.

وأعظم سور القرآن والتي تعدل ثلث القرآن هي سورة الإخلاص: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ...﴾ ولماذا سميت بالإخلاص لأنك لو حققت ما في هذه السورة من المعاني كنت مخلصاً.

﴿... ٱللَّهُ أَحَدٌ...﴾ فلا توجه بالعبادة ولا توجه بأهداف

---

(1) أخرجه ابن أبي عاصم في الزهد (206/1)، وأبو نعيم في الحلية (70/5)، وأورده الذهبي في السير (63/5): أن عبد الرحمن بن أبي نعم - الإمام الحجة الرباني - كان يحرم من السنة إلى السنة ويقول: لبيك لو كان رياء لاضمحل.

الحياة ولا توجه بالمقاصد إلا للأحد، ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ...﴾ لمن تلجأ إلا لله عز وجل، فالصمد هو الذي يُلجأ إليه عند الشدائد، ﴿... ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ فلو تمكنت من قلبك قل هو الله أحد صرت مخلصاً، فسميت صورة الإخلاص وصارت تعدل ثلث القرآن ومن أعظم سور القرآن.

تسمع المؤمنين حين يطعمون، يقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ [الإنسان: 8]. انظر الإخلاص فيما يلي، وانظر جمال التعبير وكأنك تراهم وهم يتكلمون ووجوههم كلها إخلاص ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ۝٩ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا﴾ [الإنسان: 9-10]

الإخلاص أيها الإخوة!! الإخلاص ثم الإخلاص ثم الإخلاص.

جاء رجل إلى النبي ﷺ وقال: يا رسول الله أرأيت رجلاً غزا – خرج مجاهداً في سبيل الله – يلتمس – أي نيته – الأجر والذكر؟ – والذكر يعني أن يذكره الناس بأنه رجل شجاع – ما له؟ فقال النبي ﷺ: "لا شيء له"، انتبهوا أيها الإخوة، من كان حريصاً على الصلاة في المسجد وليس في نيته الإخلاص لله وطاعة الله فكل ما يعمله على هذه الهيئة والنية لا ينال عليه الأجر والثواب، ومن ارتدت الحجاب

ليس بنية طاعة الله لم تنل الأجر والثواب من الله والذي يفعل أي فعل ليس بنية التقرب إلى الله و لم يدخله الإخلاص كان لا شيء له...

فقال الرجل: يا رسول الله أرأيت إن خرجت للغزو أبتغي الأجر والذكر – أعادها ثانية – فقال ﷺ: "لا شيء له" فأعادها الثالثة فقال النبي: "لا شيء له" ثم قال النبي ﷺ: "إن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان له خالصاً وابتغي به وجهه"[1].

يقول الله تبارك وتعالى: ﴿... فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف: 110].

شروط قبول العمل أمرين، فأي عمل حتى يُقْبل لا بد له من شرطين:

– فالشرط الأول أن يكون صواباً، والصواب أن يكون مطابقاً لسنة النبي ﴿... فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا...﴾ [الكهف: 110].

– والشرط الثاني: الإخلاص ﴿... وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف: 110].

بل إن الدرجات لا ترفع ولا نحل ونسكن في منازلنا عند الله تعالى إلا بالإخلاص، يقول النبي ﷺ: "إن الله كتب الحسنات

---

(1) أخرجه النسائي (3140) عن أبي أمامة رضي الله عنه، وانظر: جامع العلوم والحكم (1/10-16)، والترغيب والترهيب (1/23).

والسيئات ثم بيَّن ذلك، فمن همَّ بحسنة فلم يعملها كتبها الله له عنده حسنة كاملة، فإن هم بها فعملها كتبها الله له عشر حسنات إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة"[1].

نظر العلماء، من الذي يأخذ حسنة واحدة، ومن الذي يأخذ عشرة، ومن يأخذ سبعمائة، ومن يأخذ أضعاف كثيرة. فبناءً على ماذا تختلف منازل الناس؟!.. إنه الإخلاص.

إن أناساً ممن قرؤوا هذا الكتاب نالوا عشرة فقط، ومنهم من نال سبعمائة ضعف، ومنهم من نال أضعافاً كثيرة... سبحانك يا رب، ومن يعلم هذا الأجر؟ الله وحده هو الذي يعلم... الإخلاص سر عند الله عز وجل؟ لا يعلمه أحدٌ إلا الله عز وجل، نتمايز بين بعضنا البعض، ومن يدري لعل من قام بإعداد هذا الكتاب أقل الناس ثواباً لأن إخلاصه قليل، وشخص بعيد قام بقراءة الكتاب بقلب خالص لله، يناجي ربه وهو يقرأ ويقول: يا رب أنا أقرأ لا أبتغي إلا وجهك فيكون أفضل من قرأ الكتاب أجراً، ويضاعف أجره وينال بدلاً من عشر حسنات سبعمائة وبعدها يزداد إخلاصاً — خلال قراءته — فيتضاعف العدد بعد السبعمائة، ثم يزداد أجراً فلا تجد الملائكة حداً لكتابة الأجر، فيكتب عند الله كيف شاء الله عز وجل.

---

(1) أخرجه البخاري (6491)، ومسلم (131) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

لا ينجني من مصائب الدنيا إلا الإخلاص

إخوتي، إنه لا ينجينا من مصائب الدنيا إلا الإخلاص.

جاء في حديث النبي ﷺ عن عبد الله بن عمر، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "انطلق ثلاثة نفر ممن كان قبلكم فأصابهم المطر فدخلوا في غار في جبل" أي ثلاثة نفر من الأمم التي كانت قبلنا، وسأروي الحديث مختصراً – ذهبوا في إحدى الليالي الممطرة و لم يجدوا مكاناً للمبيت، فباتوا في غار، "فانحدرت صخرة من الجبل وسدّت باب الغار" – فأصبح من المستحيل خروجهم وسيبقوا ههنا حتى الموت. "فقال واحد منهم" قال كلمة جميلة جداً، ماذا قال؟ قال: "ادعوا الله إنه لن ينجيكم من هذه الصخرة إلا أن تدعوا الله بصالح أعمالكم"، وبدأ كل واحد منهم يدعو. فقال الأول:

"اللهم إني كان لي أبوان شيخان كبيران" – وانظر الإخلاص كيف سيبدأ هنا وانظر إلى الذي سيخرجهم من الغار – "وكان لي عيال فكنت أحلب الشاة، فلا أطعم ولا أسقي أولادي حتى يشرب أبي وأمي، وفي إحدى الليالي تأخرت في حلب الشاة فذهبت لأبي وأمي فوجدتهما نائمين وبقيت واقفاً عند رؤوسهما أكره أن أوقظهما حتى بزغ الفجر وأولادي يبكون عند قدمي يريدون أن يشربوا وأنا لا أريد أن أسقي أولادي حتى يشرب أبي وأمي أولاً".

وهذا نموذج في بر الوالدين يحتاج أن يسمعه الشباب، "فلما بزغ الفجر شربا". انظر الآن ماذا سيقول: "اللهم إن كنت قد فعلت هذا الأمر ابتغاء مرضاتك وابتغاء وجهك،ففرج عنا ما نحن فيه من أمر هذه الصخرة فانفرجت الصخرة شيئاً غير أنهم لا يخرجون منه".

فجاء الثاني يبحث عن أكثر فعل أخلص فيه لله تعالى في حياته، تخيل يا أخي أنك كنت داخل الغار هل ستجد ما تقول،ماذا كنت ستقول؟ هل هناك سر بينك وبين ربك،عمل مخلص تدعو به؟ قال الثاني: "اللهم إني كانت لي ابنة عم أحبها حباً عظيماً راودتها عن نفسها،فأبت لكن أصابها بعد فترة ضيق شديد وقلة عيش وفقر شديد فجاءتني فقالت أقرضني شيئاً فقلت لها أعطيكِ مائة وعشرين ديناراً على أن تخلي بيني وبين نفسك فاضطرت لضيق يدها أن تقبل، فيقول فلما قدرت عليها قالت لي يا عبد الله: اتقِ الله أنا لا أحل لك، فقمت عنها وانصرفت وقلت لها خذي المال واذهبي، اللهم إن كنت قد فعلت هذا الأمر ابتغاء وجهك وابتغاء مرضاتك ففرِّج عنا ما نحن فيه فانفرجت الصخرة شيئاً، غير أنهم لا يخرجون"..

فجاء الثالث فقال: "اللهم إني كان يعمل عندي أجراء، كنت أعطيهم أجرهم، غير أن رجلاً منهم ذهب ولم يأخذ الأجر فأخذت ماله من الأجر فنميته وكثرته له حتى صار مالاً كثيراً، ثم جاءني بعد

فترة فقال: أدِّي إليَّ أجري، فقلت: أجرك هو كل هذه الماشية من بقر وغنم، فقال: أتهزأ بي، فقلت: والله لا أهزأ بك، فأخذه كله ولم يبق لي شيء. اللهم إن كنت قد فعلته ابتغاء وجهك ففرِّج عنا ما نحن فيه، فانفرجت الصخرة وخرج الثلاثة"[1].

هذا المثال يجعلني أسأل من يقرأ هذا الكلام، هل عندك بينك وبين الله عمل جليل عملته حين تمر بك أوقات عصيبة تقول: يا رب أنا قد عملت هذا العمل ابتغاء وجهك ففرِّج عني ما أنا فيه يا رب. وأنا أخشى أن البعض لا يجد ما يقوله ولا ما يفعلونه!!

يقول الجنيد: (الإخلاص سر بين الله وبين العبد لا يعلمه ملَكٌ فيكتبه ولا شيطان فيفسده). فالإخلاص بينك وبين الله، فوالله ساعة الإخلاص حين تملأ القلب ستشعر بهاء ستشعر في لحظة بإخلاص تدمع له عينك، ويتحرَّك له قلبك، وتنبعث به قوياً على الطاعات، حين تجد نفسك نشيطاً على الطاعة وتؤديها بحب ورضا تعرف أن هناك إخلاص. عندما تجدين أنك كنت بالأمس منزعجة من الحجاب ونفسك تحدثك بخلعه – والعياذ بالله – وغداً تصبحين فخورة وفَرِحة بحجابك فهذا من دلائل الإخلاص، سر عجيب ينبعث له القلب

(1) أخرجه البخاري (2215، 2272)، ومسلم (2743) عن ابن عمر رضي الله عنهما.

منشرحاً، هو سر بين العبد وبين الله، لا يعلمه ملك فيكتبه ولا شيطان فيفسده، لذلك يقول الغزالي: (كل الناس هلكى إلا العالمون - إلا العلماء - وكل العالمون هلكى إلا العاملون، وكل العاملون هلكى إلا المخلصون، والمخلصون على خطر عظيم). ويقول مكحول - أحد التابعين -: (ما أخلص عبدٌ لله أربعين يوماً إلا ظهرت ينابيع الحكمة في وجهه ولسانه).

حاول أن تمسك بزمام قلبك أربعين يوماً مخلصاً سوف ترى الوجه غير الوجه واللسان غير اللسان أُستنطق بالحكمة والخير والفضل.

يوجد في القرآن - من الإخلاص - مثل جميل جداً، يقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِۦ مِنۢ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَآئِغًا لِّلشَّٰرِبِينَ﴾ [النحل: 66].

يقول ربنا: لكم في الأنعام عبرة عجيبة، ما هي؟ من أين يخرج اللبن من الأنعام؟ يخرج من بين منطقتين غاية في العجب، من بين الدم والفرث، من بين هذين الاثنين يخرج لبن نقي، هل وجدت في حياتك أن لبناً حُلِب خرج معه قطرة دم واحدة؟ فلا يمكن أن يخرج لبن ومعه قطرة بول... لا يمكن وإلا لم نعد نشرب اللبن بعد ذلك أبداً. فتخيل كيف ينزل اللبن نقياً، نقياً تماماً، خالصاً تماماً ﴿وَإِنَّ لَكُمْ

﴿فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً﴾ فأولاً أطرح هذا المثال لكي أقول لك: لنقس إخلاصنا على اللبن الذي ينزل خالصاً ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا...﴾ [النحل: 66] انظر التعبير القرآني ﴿لَبَنًا خَالِصًا...﴾ حتى يخلص العمل، خلوص اللبن من أي شائبة، إذن خلوص العمل أن لا يبقى فيه شائبة.

إذا أردت أن تعرف درجة نقاء عملك قم بقياسه على هذا المثل القرآني اللطيف، هل عملي هذا فيه شائبة؟ هل أحببت أن يراني الناس وأنا أصلي؟ هل أحببت أن يشكرني الناس ويحمدوني على أفعالي العظيمة؟ هل أحب أن يشكرني أحد أو يشعر بأني ملتزم بديني شديد الالتزام وإلى غير ذلك...؟ هل خطرت على بالك هذه الخاطرة ولو للحظة، هل تخيلت في عمرك لبن يخرج معه شوائب، تنبّه... الله تبارك وتعالى يأبى أن يسقينا لبناً إلا إذا كان خالصاً وأنت تعطيه العمل شائباً، احرص أن تنقي عملك من أي شائبة – لله وحده – بلسان حالٍ يقول: هذا العمل ليس لأحد إلا لك يا رب خالصاً كخلوص اللبن.

لذلك إخوتي إن الإخلاص صعبٌ... فعلاً إنه صعب.. تخيل أنك تعيش حياتك كلها من دون شوائب.. سرّك وعلانيتك، جهرك وخفيك، سقمك وصحتك، حياتك ولحظة موتك، أكلك وشربك،

عبادتك ولذّاتك وشهواتك وكل حياتك خالصة لله وحده وليس لأحد فيها نصيب ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: 162].

فعلاً الإخلاص صعب.. ولذلك سئل سهل بن سعد: أي شيء أشد على النفس؟ – ما أشدّ الأمور على النفس؟ – قال: الإخلاص! لأن ليس لها فيه نصيب، فالنفس ليس لها في الإخلاص أدنى حظ، أخلص العمل لله..

كان سفيان الثوري يقول: ما عالجت شيئاً أشد عليّ من نيّتي، أي أصعب أمر أعالجه نيّتي لأنها تتقلب علي...

قال أحدهم: أعز شيء في الدنيا الإخلاص، أصعب أمر وأعز أمر هو الإخلاص، ويقول أحدهم: كم أجتهد في إسقاط الرياء عن نفسي، فأنا أتعب كثيراً حتى أزيل الرياء عن نفسي، فهو موضوع صعب ويحتاج إلى مجاهدة، كلما أسقطت الرياء من جهة أنبته الشيطان من جهة أخرى.

وقال أحدهم: طوبى لمن صحت له خطوة واحدة مخلصاً فيها لوجه الله عز وجل. هنيئاً لمن يخلص لله خطوة واحدة... هنيئاً لمن تصح لها سجدة واحدة مخلصة لله عز وجل.

يقول أحد التابعين: "في إخلاص ساعة واحدة نجاة العمر

كله"... هل تستطيع أن تخلص ساعة كاملة لله عز وجل.. ففي إخلاص ساعة واحدة نجاة العمر كله.. فإن الإخلاص عزيز.

أولى درجات الإخلاص إصلاح النية

ما هي أولى درجات الإخلاص؟ كيف نصل إلى الإخلاص؟

إن المدخل إلى الإخلاص هو أمر اسمه النية، فإذا أردت أن تكون مخلصاً راجع نيتك.

يقول النبي ﷺ - وهذا الحديث من أهم الأحاديث، يقول عنه الإمام الشافعي: أنه ثلث العلم، وهذا الحديث خاص بالنية، ولماذا الحديث عن النية؟ لأنها المدخل إلى الإخلاص، فإذا أردت أن تكون مخلصاً فأول فعل تفعله،عليك مراجعة نيَّتك - يقول النبي ﷺ: "إنما الأعمال بالنيَّات وإنما لكل امرئ ما نوى" - تنبَّه قال: الأعمال بماذا؟.. بالنيات... ألم يكن قادراً أن يقول: إنما الدنيا بالنيات؟.. لا... فهناك ربط بين العمل والنيَّة ولا تكفي النية وحدها ينبغي أن يقرن النية العمل... فالموضوع مرتبط بالعمل.. "إنما الأعمال بالنيَّات وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله، فهجرته إلى الله ورسوله ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه"... ماذا تريد من الدنيا؟.. تريد الزواج! الجواب موجود في الحديث.. "فهجرته إلى ما هاجر إليه"...

فخذه.. ماذا تريد! مالاً أو دنيا... خذها... "فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه.

ويقال في سبب هذا الحديث أنه أثناء الهجرة من مكة إلى المدينة، هاجرت إحدى المؤمنات واسمها أم قيس،وكان هناك رجل يحبها فهاجر وراءها، فاختلف الناس أهو مهاجر أم أن هجرته لم تقبل، فقال النبي ﷺ هذا الكلام: "فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله، فهجرته إلى الله ورسوله ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها..." الحديث[1] فسمي الرجل مهاجر أم قيس... فنوصي إخواننا بمراجعة النية قبل أن يخطو أي خطوة... ابحث عن النية فإنك ستجازى بالنية.. المجازاة بالنوايا... ماذا يوجد داخل قلبك؟..لذلك يقول العلماء: رب عمل صغير تعظمه النية... عمل صغير.. قد أدفع جنيه لفقير لكن في داخلي شوق إلى الله وأدفعه إلى الفقير وأنا متخفي حتى أكون من السبعة الذي يظلهم الله في ظله.. وأدفعها وكلي أمل أن يغفر الله لي، فيعظم العمل عند الله عز وجل.. رب عمل صغير تعظمه النية.. والعكس... ورب عمل كبير تصغره النية... قد تفعل فعلاً عظيماً لكن نيتك ليست حاضرة، نيتك متهافتة، فلا يقبل!

(1) أخرجه البخاري (1)، ومسلم (1907) عن عمر رضي الله عنه.

لقد كان السلف يقولون: تعلموا النية كما تتعلموا العلم... هل تعلم أحد في حياته النية؟.. فنحن الآن سنتعلم كيف ننوي..

فلنبدأ، الأمور المحتاجة لنوايا ثلاثة: إما عبادات، أو أمور الحياة العادية، أو أمور ليست بيدك وهي أمور لا تملكها... ولكن كيف ننوي في هذه الأمور الثلاثة وما قيمة النية في هذه الأمور الثلاثة؟..

فلنبدأ بها واحدة واحدة...

الأمر الأول: النية في الطاعات، فإياك أن تتحرك خطوة إلا بنية.. فإذا كنت ذاهباً إلى الدرس مثلاً، فقم بتعظيم النية داخل قلبك.. أو إذا كنت ذاهباً للصلاة في المسجد، أو كنت ذاهباً للحج أو العمرة، في كل ذلك قم بتعظيم النية...

أنصحك نصيحة! لا تخرج من البيت حتى تعقد مع نفسك نية وكأنك تعقد معاهدة، أذكركم بكلمة "تعلموا النية" ونحن الآن نتعلم كيف يكون مدخلنا للإخلاص؟.. كيف نكون مخلصين؟.. ابحث عن النية.. كيف يكون البحث عن النية؟!.. نبدأ بالأمور واحد تلو الآخر... ابدأ بالطاعات.. فلا تتحرك من بيتك قبل أن تعقد النية.. انوِ أولاً، إذا كنت تريد الذهاب للدرس - وأنت في كل أسبوع تذهب للدرس - تنبه! كل أسبوع وأنت في طريقك إلى الدرس أو في بيتك تفكر لماذا أنا ذاهب، ما هي نيتي؟: .. يا رب ارزقني النية

الصالحة، يا رب حسن نيتي، يا رب ارزقني الإخلاص.. افعل هذا وتعلم هذا، فكما أنك لا تستطيع الأكل باليد اليسرى وتأكل باليد اليمنى لأنك جبلت على هذا وستكون جبلت بعد هذا أنك لا تستطيع أن تخطو خطوة واحدة إلا بنية... فهنيئاً لك لو أصبحت كذلك...

هكذا تكون في طريقك نحو الإخلاص الصحيح. ولهذا عندما قال شخص لأحد التابعين: امضِ بنا في جنازة رجل من الصحابة – صحابي توفي تمشي في جنازته أم لا؟! – قال: أنظرني برهة، فسكت لحظة ثم قال: امضِ بنا، فقال له الرجل: ما الذي أوقفك برهة؟ قال: جلست أجهز نيتي... وكأنه يقول لنفسه: لماذا سأمشي في هذه الجنازة؟ إنه صحابي من أصحاب النبي ﷺ والمشي وراءه سيزيدني ثواباً.. وسأعتبر بوفاته.. الآن سأمشي بنية صادقة...

ولهذا قد تجد اثنين يجلسان قرب بعضهما... واحد متملل والآخر لا يشعر بأي مشاكل لماذا؟ لأن أحدهما دماغه وجوارحه قلباً وقالباً يريد الاستفادة، ويكرمه الله بحفوف الملائكة به مع اقترابه من الله عز وجل، أما الثاني فكل هذه النوايا ليست حاضرة، ولهذا جسده لا يستطيع التحمل، أرأيت ماذا تفعل النوايا في الطاعات...

ولهذا عندما تتحول الطاعات إلى عادات تفقد الإقبال على

الطاعة، ونعني بتحول الطاعات إلى عبادات، أي عندما تتحول صلاتك في المسجد إلى أمر روتيني، أريدك كلما تذهب للصلاة في المسجد أن تتذكر النية، وكلما أردتِ ارتداء الحجاب صباحاً تذكري النية، لماذا ارتديته يوم قررت ارتداءه، حتى تتجدد في قلبك العزيمة والإخلاص لله عز وجل حتى لا يفتر الإيمان، وأحد أسباب الفتور الرئيسية عند المتدينين أو الذين أقبلوا قديماً على طاعة الله أنه لم يعد هناك الدافع، وما هو الدافع؟ لم تعد النية تتجدد... ..

لو رأيتم أن واحدة كانت محجبة ثم خلعت الحجاب – والعياذ بالله – طبعاً هذه معصية كبيرة.. لا أريد أن أقول من الكبائر ولكنها معصية تغضب الله غضباً شديداً – فلو فعلت واحدة هذا الأمر فهي حين ارتدته، لا أقول لم تكن مخلصة أبداً، بل كانت تبتغي بالطاعة وجه الله عز وجل وكانت صادقة، لكن ما الذي حصل؟ نسيت النية ولم يكن هناك تجديد للنية...

فلو سألت لماذا أنا أرتدي الحجاب؟ طاعة لله وامتثال لأمر رسول الله ﷺ، وتشبهاً بالمؤمنات، وحياءً من الله عز وجل، وحرصاً على مرضاة الله... فأنا حريصة عليه وكل يوم أجدد داخل قلبي هذه النية...

فالشاب الذي يصلي في المسجد واعتاد على هذا الأمر..

راجع نيتك قبل أي حركة وقبل أي فعل من أفعال الطاعات تستمر مخلصاً، تستمر مقبلاً على طاعة الله...

إخواني الشباب، من منكم سيكمل بعد سن الثلاثين، مَن مِن الأخوات ستبقي بعد أن تتزوج وتنجب،على نفس مستوى الطاعة ومن ستتراجع؟،من سوف يثبت؟،من سوف يزيد؟،فقد يكون الكثير منا يحتاجون إلى زيادة الإيمان... من سوف يثبت ومن سوف يزيد؟! من كان طيلة عمره يتحرك ونيته مرضاة الله ؟.. حتى ولو كانت أعماله قليلة، لكن نيته واضحة.. هذا الأمر الأول النية في الطاعات.

الأمر الثاني: النية في العاديات في الحياة.

النية تحول العادة إلى عبادة والأمثلة على هذا كثيرة فلنبدأ مثلاً بمثل: الدراسة، لقد قلنا تعلموا النية، ولكن كيف نتعلم النية في الدراسة! أسأل نفسي أولاً لماذا أدرس؟ أدرس حتى لا يضربني أبي وأمي ولأنه يجب علي أن أدرس ولأن كل الطلاب يفعلون هذا. في هذه الحالة لم تأخذ ثواباً ولم تطبق قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ...﴾ [الأنعام: 162] أين الإخلاص في الدراسة لا يوجد... فالساعات الطويلة هذه لم تكن لله... وهل ينفع أن تمر من حياتك ساعات ليست لله! إذن كيف نخلص في الدراسة وما هي النية في الدراسة، وحتى تخلص في الدراسة يجب أن تجهز

نواياك، فمدخل الإخلاص النية، ماذا تفعل؟ ينبغي التفكير في نوايا الدراسة..، لماذا أدرس؟.. سأدرس لأنه لا ينبغي للمتدين الرسوب وحتى لا أفضح المؤمنين والمتدينين، سأدرس لأنه يكفي حتى الآن أن الذين يقودون العالم هم الكفرة والضائعين والفاسقين.. لقد آن الأوان لأن يقود أحد المتدينين... سأدرس حتى أكون في مكان متميز في المجتمع أدعو فيه إلى الله عز وجل... وبهذا تتحول كل لمسة قلم وكل نظرة عين في كتاب إلى ثواب... انظر إلى هذا الدين الجميل الذي يحول العاديات إلى عبادات... فأنت تدرس وتنال الثواب.. وربما يزداد القلب اشتعالاً في الدراسة بسبب النوايا الجميلة، وقد تكون قبل ساعتين لست قادراً على دراسة كلمة واحدة... ماذا حصل؟ جاءت النية، ثم الإخلاص فرضي الله عز وجل فانبعث القلب نشيطاً.

نأخذ مثلاً آخر، ما هي نيتك في اللباس؟.. أريد أن ألبس لباساً جميلاً، لماذا؟ حتى أتبختر به أمام أصحابي... فلا يكون لك ثواب عند الله بهذه النية.. لست مخلصاً.. كل الوقت والمال الذي أنفقته لا دخل له بالإخلاص... مرر قصة الإخلاص في هذا الجزء... كيف!.. انوِ... كيف أنوي؟!. انوِ بلباسك أيتها المحجبة أنك ستكونين داعية إلى الله... فلا بأس أن يكون لباسك لباساً أنيقاً

وجميلاً تتوفر فيه الشروط الشرعية ومع ذلك أنت محجبة، ومع ذلك أنت طائعة لله عز وجل... وتكون نظرة الفتاة إليك أنها من الممكن أن تكون محجبة وأنيقة... وبهذا يكون كل اللباس وكل المال الذي أنفق في الميزان...

والأمر نفسه للشباب... أريد أن أكون غنياً.. لماذا؟! حتى يكون معي المال وأتكبر به وأنفقه على السهر والسفر و... ليس لك ثواب عند الله عز وجل لأنك لست مخلصاً.. ماذا أفعل؟ انوِ... ماذا يعني؟ يعني ذلك أخلص قلبك لله... قل: لا ينفع أن أكون غنياً لأجل الدنيا... ولكن ينفع أن أكون غنياً للإنفاق في سبيل الله... حتى ينظر الناس إلي ويقولوا إن هذا غني ومتديِّن.. فهذا ينفع.. ويكون هذا دعوة إلى الناس أحسن من ألف خطبة، فمنظر الذي يركب سيارة فخمة وهو مؤمن متديِّن أفضل من مائة خطبة من خطيب، فهذا متدين ويصلي في المسجد وهو غني، فيكون غناك دعوة إلى الله... أتنوي هذا أم لا؟ حاول وأصر على نفسك أن تكون هذه هي النية، والشيطان يوسوس لك ويأخذ مرات وتعود مرات أخرى... تعلموا النية..

ماذا تتمنين... أتمنى أن أنجب.. لماذا؟.. حتى يكون لدي أولاد ألاعبهم... بهذه النية لا تنالين الثواب، ولكن تأخذين الثواب

وتناليه إذا قلت: أريد أن أنجب بنية أن يكون عندي أولاد يوحدون الله، وأفرح بولدي وهو ساجد بين يديك يا رب... ويكون كصلاح الدين أو خالد بن الوليد أو قطز.. أمنيتي أن يكون أولادي عباد لك يا رب... فيكون كل صراخ الولد... وكونه يحرمكم النوم ليلاً، وكل تعب وكل نصب في سبيل هذا الولد، وكل غسل وخدمة يتحول لثواب لك.. لماذا؟.. لأنه كان عندك نية في تربية هذا الطفل أن يكون عبداً لله.

أرأيتم كيف يمكن أن نحوّل حياتنا كلها إلى طاعة وإخلاص لله عز وجل... حتى في المَصِيّف، لماذا تريد الذهاب للمصيف؟.. حتى أكون كالناس الذين يذهبون إلى المصيف، وحتى ألهو مع رفاقي وأعيش حياتي وسني... أبداً لا تفعل هذا!... لكن لماذا أنتَ ذاهب؟! أنا ذاهب يا رب لأتفكر في خلقك وأتأمل مناظر خلق الله العظيم.. وأعبدك يا رب وأعرفك.. وأتقرب إلى أهلي... وأخرج مع أصحابي حتى أستجم ثم أعود وأطيعك من غير أن أعصيك... وأطيعك في مكان كل الناس تعصيك فيه، فأكون أقرب إنسان إليك يا رب في هذا المكان.. فتتحول هذه النية إلى عبادة لله عز وجل وطاعة لله عز وجل... لنجرب يا إخوتي أن نفعل هذا الأمر.

أود أن أسأل سؤالاً، هل هذا الأمر سهل أم صعب؟ والله سهل... قد يكون الوصول لكمال الإخلاص صعب، لكن أن تأخذ

نية في عباداتك وتأخذ نية في عادياتك فهو أمر قابل للتحقيق تستطيع فعله.

الأمر الثالث: النية في الأشياء التي لا تقدر عليها.

ماذا نعني بهذا، أمر لا تملكه... انوِ فيه.. مثل ماذا... يقول النبي ﷺ: "من سأل الله الشهادة بصدق بلّغه الله منازل الشهداء وإن مات على فراشه"[1].

أريد أن أطرح سؤالاً.. لو أن الجميع نووا بصدق على أنهم يريدون الموت شهداء.. ماذا نخسر لو متنا كلنا شهداء؟.. طبعاً ويقيناً.. أرأيتم كيف أن الإخلاص هو الذي يحدد منازلنا في الجنة.... حتى النساء.. نعم حتى النساء.

رب شخص (ذكر أو أنثى) وهو يقول بينه وبين نفسه: "يا رب ارزقني الشهادة في سبيلك".. ويأتي يوم القيامة كسيدنا حمزة مع كونه قد مات على فراشه. أرأيت إلى أين توصلك النية؟ هذه هي النية مع أنك لم تفعل شيئاً لكنك نويت بصدق.

يقول النبي ﷺ حين كان راجعاً من غزوة تبوك – والمسافة تقدر بألف كيلومتر، والحر شديد، والمسافة بعيدة، والصحابة كانوا

---

(1) أخرجه مسلم (1909)، وأبو داود (1520)، والترمذي (1653) عن سهل بن حنيف رضي الله عنه.

يتعاقبون الركوب لقلة الظهور معهم، أمرٌ بغاية الصعوبة، ويقول ﷺ: "إن في المدينة أقواماً ما سرتم مسيراً ولا قطعتم وادياً إلا كانوا معكم - شاركوكم في الأجر - حبسهم العذر"[1] لم يخرجوا لأعذار فنالوا الثواب كاملاً... انوِ في الأمور التي لا تقدر عليها... ما الذي لا تستطيعه من الطاعات؟ الحج.. العمرة.. فقل: يا رب إني أنوي لو أنك رزقتني مالاً أن أعتمر وأزور مسجد الرسول ﷺ كل سنة... فتكون بهذا قد نلت ثواب عمرة في كل سنة... انظر ماذا تفعل النية... أرأيتم كيف ينبغي أن نتعلم النية... يقول النبي ﷺ: "من أتى فراشه وهو ينوي أن يقوم يصلي من الليل فغلبته عيناه حتى أصبح كتب له من الأجر ما نوى"... لو أنك نمت ولم تصلِ قيام الليل - لكن لا تظن نفسك ذكياً فلا تربط المنبه، وتقول: يا رب إني نويت أن أصلي القيام ومنذ سنة وأنت تقول إني آخذ ثوابي من القيام وأنت لا تصلي القيام.. لا... - من نوى، أي إذا دخلت فراشك ونويت أن تصلي قيام الليل نية صادقة لا يعلم صدقها إلا رب العالمين وبزغ الفجر فصليت الفجر ولم تصل القيام، فمبروك لقد كتب لك أجر قيام الليل... "..وكان نومه صدقة عليه من ربه عز وجل"[2]...

---

(1) أخرجه البخاري (4423) عن أنس بن مالك رضي الله عنه.

(2) أخرجه النسائي (1787)، وابن ماجه (1344) عن أبي الدرداء رضي الله عنه.

يقول النبي ﷺ: "الدنيا لأربعة نفر..". أي الدنيا لأربع أنواع: النوع الأول "عبدٌ رزقه الله مالاً وعلماً فهو يتقي فيه ربه، ويصل فيه رحمه، ويعلم لله فيه حقاً، فهذا أفضل المنازل.." والنوع الثاني نحن والمساكين كحالتنا... ".. وعبد رزقه الله علماً.." يحب دينه ".. ولم يرزقه مالاً فهو صادق النية يقول: لو أن لي مالاً لعملت بعمل فلان فهو بنيته" يقول النبي ﷺ: "فهما في الأجر سواء..."[1] تخيل أنك أنت وهو لكم نفس الثواب.. فمن الممكن وأنت جالس هسنا تقول : لو كان معي مليون جنيه - وأحضرت ورقة وقلم - وقلت: سأخرج المليون جنيه هذه.. كذا وكذا وكذا وكذا.. وتنبه لا تبخل تقول : سيارة كذا وكذا.. انوِ لله فتخيل أنك تأخذ ثوابهم، هل أنت متخيل البساطة الشديدة، فمن يقول بعد هذا أن الإسلام دين صعب، من يخاف من الإسلام بعد هذا... من يخاف أن يلتزم بدين الإسلام لأن الإسلام صعب وسوف يُعقّد علينا... هل هناك عملية أسهل من هذا؟.. فأنا أقول لك انوِ في أمور لا تملكها تأخذ ثوابها... فهل تعلمنا النية أم لا؟... في ثلاث أمور:

- النية في الطاعات.

---

(1) أخرجه النسائي (2325)، وابن ماجه (4228)، أحمد (17570) عن أبي كبشة رضي الله عنه.

- النية في العاديات.

- النية فيما لا تملك.

كان الصحابة تجار نيسات... ماذا تعني بتجار نيات؟.. أي أنهم كانوا يعملون عملاً واحداً وينوون به خمسة أو ستة أشياء. فعلى سبيل المثال، أريد المجيء إلى المسجد لحضور الدرس، فمَا هي نواياي؟

سوف أختار خمس أو ست نوايا... والله يضاعف سبعمائة ضعف لكل نية... فأنا ذاهب لأصلي المغرب والعشاء في جماعة، وأنا ذاهب حتى أستفيد في ديني، وأنا ذاهب للتقرب من أخ متدين أتعرف عليه يقربني إلى طاعة الله عز وجل، وأنا ذاهب حتى أبتعد عن المعاصي لمدة ساعتين أو ثلاثة، وأنا ذاهب حتى أتوب إلى الله عز وجل، لقد أخذت ثواب النوايا السبع... ماذا يوجد أكثر من هذا؟.. وأنا ذاهب بنية الاعتكاف من المغرب للعشاء... ما الذي ستخسره؟، فلتزد في ثوابك.. نويت الاعتكاف من المغرب للعشاء، يقبل ويكتب لك اعتكافاً بقدر المدة التي بقيت فيها... هل يوجد دين أعظم من هذا... أرأيتم يا إخوتي أن من أعظم نعم الله على المسلمين نعمة النية.. التي لا نفكر فيها...

فلنتفق على أمر.. لن أخرج من بيتي بعد الآن إلا بنية... لن

أقوم بأي عمل إلا بنية... ستكون صعبة في أول الأمر... ولكن بعدها ستكون من أفضل عباد الله... بل بالعكس سوف تترك المعاصي... لماذا؟ ما هي نيّتك وأنت ذاهب لمعصية الله؟! سوف تبحث وسوف يتحايل معك الشيطان - أنا ذاهب لأدعو أصحابي إلى الحفلة حتى يهديهم ربنا، وأنا سأذهب حتى أدعوهم إلى الله عز وجل، إن شاء الله سوف يحصل... فتذهب فتجد أنك لا تفعل إلا المعصية، عندها تقول: لا لقد استهزئ بي.. فتأتي المرة التالية ولا تجد نية... فيكون مفتاح حركتك في الوجود نيتك.

الرياء

الرياء مشتق من كلمة رؤية، يعني أن تكون حريصاً على أن يراك الناس، فسمي رياء لحرصك على رؤية الناس لك، ومن هنا اشتقت كلمة رياء...

يقول الله تبارك وتعالى في الحديث القدسي: "أنا أغنى الشركاء عن الشرك، فمن عمل عملاً أشرك فيه غيري فهو للذي أشرك وأنا منه بريء"[1] تنبهوا لهذا الحديث، فإنه حديث عنيف!... "أنا أغنى الشركاء عن الشرك - لا إله إلا الله - فمن عمل عملاً

---

(1) أخرجه مسلم (2985)، وابن ماجه (4202)، وأحمد (7939)، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

أشرك فيه غيري فهو للذي أشرك وأنا منه بريء"... فتخيل نفسك لو أنك – والعياذ بالله – من هذا النوع.

يقول النبي ﷺ: "إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر"، قالوا: وما الشرك الأصغر يا رسول الله، قال: "الرياء... إن الله تبارك وتعالى يقول يوم القيامة، يوم يجازي العباد بأعمالهم: اذهبوا إلى الذين كنتم تراؤون بأعمالكم في الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم جزاء"[1] هل يجدون عندهم أجراً... من ترائي؟... لمن تتقدم بعملك؟... من تريد أن يعطيك الثواب؟.. لذلك يقول العلماء: ينادى يوم القيامة على المرائي بأربعة أسماء: يا مرائي.. يا غادر.. يا فاجر.. يا خاسرْ... اذهب فخذ أجرك ممن عملت له فلا أجر لك عندنا، هل ترضى أن يقال لك ذلك يوم القيامة حتى يراك أحدهم وأنت تصلي؟!... أترضين أن تطيعي ربنا وتفرحي بنفسك وأنت تبكين لأن فلانة رأتك وأنت تبكين!! في مقابل أن يقال لك هذا يوم القيامة!

يقول النبي ﷺ وقد سئل: يا رسول الله أتشرك أمتك من بعدك؟ – هل ستشرك الأمة من بعدك يا رسول الله؟ – قال: "نعم، إما إنهم لا يعبدون شمساً ولا قمراً ولا حجراً ولا وثناً ولكن يراؤون

---

(1) أخرجه أحمد (23119)، والبيهقي في الشعب (6831) عن محمود بن لبيد رضي الله عنه، وانظر: مجمع الزوائد (102/1).

بأعمالهم"[1]. هذا هو شرك الأمة بعد النبي ﷺ...

يقول النبي ﷺ: "من يرائي يرائي الله به"[2].. فالذي يرائي، يرائي الله به وماذا يعني يرائي الله به، أي يفضحه بين الناس، ويظهر بين الناس بأنه كذاب..

وهناك حديث صعب جداً وخاصة للطائعين كثيراً لله عز وجل.. حديث مخيف، يقول النبي ﷺ: "إن أول من تسعَّر بهم النار يوم القيامة" يعني أن هناك ثلاثة أصناف هم أول من سيرمون في نار جهنم من هم... الأول: "رجل استشهد - شهيداً - رجل استشهد فأُتي به فعرَّفه نعمه عليه - أتى به ربنا فعرفه نعمه عليه، أتذكر نعمتي عليك - فعرفها فقال له الله عز وجل: ما عملت فيها؟، فقال: قاتلت فيك حتى قتلت، فيقول الله عز وجل له: كذبت بل قاتلت ليقال شجاع، ألا وقد قيل، ثم يسحب على وجهه فيلقى في جهنم"... هذا الأول.. هذا أول من سيلقى في جهنم... انظروا مدى خطورة أن يبقى المرء متديناً وخطورة أن يكون مرائياً!!

---

(1) أخرجه أحمد (16671)، والبيهقي في الشعب (6830) عن شداد بن أوس رضي الله عنه.

(2) أخرجه البخاري (6499)، ومسلم (2987) عن جندب بن عبد الله رضي الله عنه.

والثاني: ".. رجل تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن فأتي به فعرفه نعمه فعرفها قال: فما عملت فيها؟ فيقول: يا رب تعلمت العلم فيك وعلمت الناس القرآن فيك، فيقول الله عز وجل: كذبت، بل تعلمت ليقال عالم ألا وقد قيل، وقرأت القرآن ليقال قارئ ألا وقد قيل ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار". الثالث: "رجل وسع الله عليه وأعطاه من أصناف المال كله" فهو ينفق كيف يشاء – إنه ينفق في سبيل الله – فأتي به فعرّفه نعمه فعرفها، فيقال له: ما عملت فيها؟.. فقال: يا رب ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيها إلا أنفقت فيها لك، فيقول: كذبت، بل فعلت ليقال جواد ألا وقد قيل"... يقول النبي: "فهؤلاء الثلاثة أول من تسعّر بهم النار يوم القيامة"[1]... إنها ليست دعوة لعدم تعلم العلم وعدم قراءة القرآن وتعليم الناس الدين، ولا دعوة لعدم الاستشهاد في سبيل الله، وكذلك إنها ليست دعوة لعدم الإنفاق في سبيل الله... ولكن إياك والرياء...!

يقول النبي ﷺ: "تعوذوا بالله من جب الحزن" قالوا: وما جب الحزن يا رسول الله؟– قال: "واد في جهنم تتعوذ به جهنم كل يوم

---

(1) أخرجه مسلم (1905)، والترمذي (2382)، وأحمد (8078) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

أربعمائة مرة"، فقالوا: لمن هذا أعد يا رسول الله؟ فقال: "أعدَّ للقرّاء المرائين بأعمالهم." [1] القرّاء حفظة القرآن الذين يعلمون الناس القرآن ويعلمون الناس التجويد والذين يعلمون الناس العلم.. ولذلك فإن هذا خطر شديد.. فأنت كلما ارتفعت في إقبالك على الله كلما كان مدخل الشيطان معك في الرياء كبير ويحاول الاشتداد عليك.

أشكال الرياء

ما هي أشكال الرياء.. كيف يأتيك الشيطان في الرياء؟

من أشكال الرياء أن يأتيك بشكل واضح جلي وهذا أسوأ أشكال الرياء فيقول لك: اعمل العمل الفلاني حتى يراك الناس... وهذا يعني أصل العمل لماذا تفعله؟ فإنك لم تشرك أثناء العمل أو راءيت أثناء العمل فأنت – بهذه الحالة – لم تفعل الفعل إلا ليراك فلان، إلا حتى يرى فلان اللحظة التي تقوم فيها أنت بطاعة الله تبارك وتعالى... فلو فعلت هذا ولو راءيت بأصل العمل، فهذا أسوأ أنواع الرياء وأظهر أنواع الرياء، كما في القصة، أن أحدهم كان يصلي في المسجد وفي المسجد مجموعة من الناس فبدؤوا يقولون: ما أخشعه، ما أجمل صلاته، ما أشد إقباله على الله، ما أقرب دمعته، ما

---

(1) أخرجه الترمذي (2383)، وابن ماجه (256) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

هذا الخشوع.. وهو يسمعهم وهم يقولون: ما هذا الجمال! ما هذا الخشوع.. فيخرج من صلاته ليقول لهم: "وإني صائم أيضاً"!! فهذا من أسوأ أشكال الرياء وهو ظاهر جداً.

وهنــاك نــوع أخفــى مــن هــذا، نــوع خفيــف، ألا هــو افتعــال الإرهــاق والتعب بسبب العبادة.. أن تفتعل بأنك متعَبٌ، أو أن تفتعلي أنك متعبة من ارتدائك للحجاب ولا يكون هذا الأمر حقيقة ولكنه ادعاء... كأن يقول أحدٌ: أنا متعبٌ... لماذا؟ لأنني قد سهرت طوال الليل، لماذا؟.. لقد قمت وصليت طوال الليل فربنا يتقبل مني وجزاني الله خيراً... فأنا في الحقيقة متعب!!

افتعال الإرهاق... رأى عمر بن الخطاب رضي الله عنه – رجل يطأطئ رأسه – وهو يظهر الخشوع – فقال: يا رجل إن الخشوع لا يأتي في الرقاب ولكن يأتي في القلوب... الخشوع ليس في الرقبة ولكن الخشوع في القلب... فهذا نوعٌ خفي من الرياء.

وهناك نوع أخفى... تخيَّل... فهناك نوع أخفى من هذا من أنواع الرياء... ما هو؟.. أنْ تكون في بادئ الأمر تفعل الفعل لله، فيراك الناس، فتفرح بنظر الناس إليك، فتحسن في صلاتك، وتجمِّل في صلاتك وتطيل في صلاتك، بل وتزداد خشوعاً من أجل أن يرى الناس خشوعاً حقيقياً... تخيَّل، فهذا أخفى وأشد...

وهناك نوع أخفى من هذا وأشد من هذا... ما هو؟... أن تنتبه بأنه لا ينبغي أن تخشع أمام الناس حتى يراك الناس، فتخشع في بيتك زيادة وعندما تخشع أمام الناس لا تكون مثلاً... غريب هذا الأمر، أليس كذلك؟ صعب جداً، أن تكون حريصٌ في بيتك على الخشوع والإخلاص والبكاء... فإذا فعلت هذا أمام الناس أكون طبيعياً، أي كما أنا أمام الناس أكون بمفردي.. حتى لا تؤنبك نفسك حين تقول لك أنت خشوعك أمام الناس فقط، فتفعل الأمر في الخلوة حتى تظهر أيضاً أمام الناس... هذه الأنواع تحصل في القلوب...

وهناك نوعٌ أخفى وأخفى وأخفى وهو خطير جداً جداً جداً... ما هو؟.. أن تكون وحيداً في غرفتك، لا يراك أحد.. تبكي وأنت مرائي.. كيف؟... تتمنى أن يراك الناس.. أليس كذلك؟.. تتمنى! وأنت تقول لنفسك: لو أن هاتين الدمعتين نزلتا البارحة وأنا وسط الناس، فتخيل!...

يقول السلف الصالح: إن من الناس من يكون وسط ألف يبكي وهو مخلص، ومن الناس من يكون وحده في حجرته لا يراه أحد وهو مرائي!

حكم العمل الذي به رياء

كيف يحاسب ربنا على هذا العمل المشوب؟.. هذا الرياء كيف نحاسب عليه؟.. يكون الحساب على الرياء كالتالي عند أغلب العلماء، وهذا المعنى هام جداً فاحفظوه.

الله تعالى يقول: "أنا أغنى الشركاء عن الشرك"(1)... هل هذا يعني أن من أشرك ولو لحظة واحدة فإن عمله كله قد فسد؟.. لا! وهذا من سعة رحمة الله...! كيف؟ أريدكم أن تفهموا هذه النقطة معي، لو أشركت في أصل العمل.. لو لم تخلص في أصل العمل، أي أنك تفعل الفعل حتى يراك الناس، فهذا لا يكون له ثواب على الإطلاق، بل هو كبيرة من الكبائر تستوجب مقت وغضب الله عز وجل، وهذا أسوأ أنواع الرياء... لهذا أحذر الإشراك في أصل العمل،... أحذر النزول من بيتك حتى يراك الناس، إياكِ من الحرص على الحجاب حتى تكونين كصديقاتك، إيَّاك من الحرص على البكاء حتى يقول الناس بأنك خاشع، إياك أن تفعل هذا لأجل الناس... ما أصل العمل؟! لو كان أصل العمل للناس فهذا رياء محض وخطر عظيم ومعصية كبيرة...

---

(1) تقدم، وقد أخرجه مسلم (2985)، وابن ماجه (4202)، وأحمد (7939)، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

إذا حصل رياء أثناء العمل، يعني أنا خرجت من البيت في الأصل لله، ولكن وأنا في الدرس دخل علي بعض الرياء فقلت: ليت فلان ينظر إليّ الآن، رفعت صوتي في الدعاء خصيصاً كـي يعلم الناس أنني خاشع، فما كلُّ هذا الأمر؟ يقول العلماء أمر جميل ومعناه أن الأمر يحصل فيه مقاصة، ما تعني بالمقاصة؟ لو كان حجم الإخلاص في هذا العمل أكبر من حجم الرياء يطرح الاثنان من بعضهما وتأخذ الثواب بحجم الفرق، فلو كان إخلاصي بحجم ريائي فلا ثواب ولا عقاب، ولو كان الرياء أكثر من الإخلاص... يطرح الرياء من الإخلاص والفرق يكون عقوبة تحاسب عليها يوم القيامة.

إن ما قلته هذا هو من رحمة الله، فهل تتخيَّل لو أنك أشركت لمدة لحظة ويحبط العمل كيف تكون المصيبة؟ بهذا لا يخلص أحد.. ولا أحد يضمن النجاة، ولكن من رحمة الله أنك تتعامل بالفرق.. طالما أنك أخلصت في أصل العمل.. دخلت في العمل لله، ذهبت إلى المسجد لله، تحجبت لله... وأثناء العمل حصل أخطاء، حصل الرياء، يُخصم من العمل والفرق تأخذ به الثواب... فاحرص أن تقلل الرياء أو أن تتخلص منه قدر المستطاع.

يقول الله تبارك وتعالى: ﴿فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ ۝ وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة: 7-8].

لعل البعض يكون قد خاف وقال: قد ضيَّقت علينا، أبداً والله يا إخوتي، سوف أقول لك أمر بسيط جداً ينجيك من كل ما قد فات، كلمة واحدة في أذكار الصباح والمساء من يقولها ينجو من الشرك الأصغر، ينجو من الرياء، يقول النبي ﷺ: "اتقوا الشرك الأصغر الذي هو أخفى من دبيب النمل"، نعم هو أخفى من دبيب النملة السوداء على الصخرة الصمَّاء في الليلة الظلماء – قالوا: كيف يا رسول الله؟ فجاء العلاج بأن يقولوا هذه الكلمة كل يوم حتى يحصلوا ويفوزوا بالنجاة من هذا الشرك، ما هي؟ انظروا كيف أن الإسلام بسيط.. قل كل يوم صباحاً ومساءاً: "اللهم إني أعوذ بك من أن أشرك بك شيئاً أعلمه وأستغفرك لما لا أعلم"[1] ماذا يعني أستغفرك لما لا أعلم؟...

إنها الأمور الخفية والتي لا تكون ظاهرة وقد تكلمنا عنها... "اللهم إني أعوذ بك من أن أشرك بك شيئاً أعلمه وأستغفرك لما لا أعلم" تقولها صباحاً ومساءاً تنجو من الشرك الأصغر، بنص حديث النبي ﷺ، انظر كم الأمر بسيط بالرغم من قولنا: تنبَّه من الشرك الخفي، تنبَّه من الأمور الخفية، لكن والله يا إخواني إن لحظة إخلاص واحدة تكفِّر عنك ما قد سبق... إخوتي بقدر ما أخفتكم من الرياء

(1) أخرجه أحمد (19109).

بقدر ما أنا خائف من أن يصبح عندكم وساوس وتظـل مصاحبة لسلك ... أبداً. أخلص لله تبارك وتعالى واجتهد في هذا الإخلاص واطمئن، فبإخلاص لحظات تغفر ذنوب عظيمة.

ولعل السؤال بعد هذا كيف أعرف إن كنت مخلصاً أم لا؟

وما دلائل الإخلاص؟

ما هي الأمور التي عندما تحصل أعرف أني مخلص؟

من دلائل الإخلاص أن تبقى دائماً خائفاً على نفسك، دائم الاتهام لنفسك بالتقصير... فيوم تقول: أنا بخير وأسير بأحسن حال.. ومن مثلي،فلقد فعلت كذا وكذا وكذا... وهؤلاء أصحابي كيف هم ضائعون وأنا عظيم... عندها إعرف أنك على خطر عظيم، وأنه لا بد لك أن تخاف على نفسك. عبد الله بن عمر كان يبكي... فقالوا له: لِمَ تبكي وقد فعلت من الطاعات كثيرا؟، فقال: أبكي لقول الله عز وجل: ﴿... إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: 27]، يعني فلا يكفي ما فعلت، فالمهم أن الله يتقبل من المتقين.

وهذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقد بشر بالجنة يقول: "ليتني كنت شعرة في صدر أبي بكر، ليت أم عمر لم تلد عمر"... خائف وفي حالة قلق شديد... تبقى دائماً خائف من الرياء.. الإخلاص أن تفقد دائماً رؤية الإخلاص... الإخلاص أن تبقى طول

عمرك مفتقد للإخلاص، فطالما أنك تقول لنفسك أنا خائف بأن لا أكون مخلصاً فاطمئن بأنك مخلص... وأول ما تنسى ويمر عليك شهر لا تفكر في الإخلاص... تنبه!! فلقد بدأت تدخل في دائرة الرياء.. كلمـا كنت خائفاً على نفسك... اطمئن!... فمن دلائل الإخلاص أن تبقى خائفاً على نفسك، وأن تبقى تتهم نفسك من خوفك عليها من رجوعك عن الإخلاص... وكما أقول: الإخلاص أن تفتقد دائماً رؤية الإخلاص... فكلما كنت مفتقداً هذا المعنى وخائف على نفسك من هذا المعنى... كلما كنت تراقب نفسك في هذا المعنى فاطمئن... وحين تجد نفسك قد بعدت عنه فاعرف بأنك أكيد قد ابتعدت عن الإخلاص.. فهذا أول عمل.. أول نقطة.. دوام اتهام النفس والخوف على النفس وسؤال النفس: أنا مخلصٌ أم لا؟

الدليل الثاني:

من دلائل الإخلاص أن لا يطلب المدح من الناس.. لا تكن حريصاً على مدح الناس لك على طاعتك.. فمن الممكن أن تفرح إذا مدحك الناس.. قد يحدث.. لكن لا تكن أنت من يتمنى ويقول: "يا رب اجعل الناس يمدحونني"... والأسوأ من هذا أنهم لو لم يقوموا بمدحك، ماذا يحصل؟ تغضب عليهم لحين يمدحوك......
فإن استوى عندي مدح الناس وذمهم.. فأنا مخلصٌ لله سواء

مدحتموني أم ذممتموني... تجد بنات لو بدأ أهلهن أو بعض أصحابهن يهاجمنهن على الحجاب تتأثر بالذم وهذا من نقص الإخلاص... وهناك بعض الناس إذا رأى أن الناس تطريه على طاعته وعبادته يزداد طاعة، فإذا تركوا مدحه يترك الطاعة ويمل ويكسل عن الطاعة وهذا من دليل ترك الإخلاص، فمن علامة الإخلاص أن لا تطلب مدح الناس، وأن لا تغضب إذا لم يمدحوك.

يقول محمد بن واسع كلام عجيب، كانوا يمدحونه أمام عينيه وكان يقول لهم - محمد بن واسع -: قولوا ما تشاؤون وهل ينفعني كلامكم إذا أخذ بقدمي ويدي ثم ألقيت في جهنم". لن ينفعني كلامكم هذا أبداً.. أرأيت استواء المدح والذم عندك ماذا يفعل.

الدليل الثالث:

الأمر الثالث والدليل على الإخلاص وهذا يحصل للشباب والبنات كثيراً.. أن لا تتغير طاعتك إذا فسد الناس... وهل كنت تطيع لأن الناس تطيع أم أنك تطيع التزاماً بأمر الله؟.. جاء الصيف وكل أصحابك يعصون الله... لقد كنت تطيع لأنه لا أحد يعصي.. والآن هم يعصون فأنت كذلك تقوم بالمعصية!.. فهذا دليل على عدم الإخلاص؟ لماذا؟.. لأنك لمن كنت تطيع؟.. لله.! حسناً! عندما أصبح الناس سيئون وابتعدوا عن الله تبارك وتعالى، ما دخلك أنت!

والتي خلعت الحجاب لأن صاحباتها خلعن الحجاب هذا دليل عدم الإخلاص.

أن تكون النية محور حياتك

من دلائل الإخلاص أيضاً أن تكون النية محور حياتك، سبق الكلام عنها، أن يكون كل تصرف في حياتك وفقاً لنيتك.

ومن دلائل الإخلاص أن تقوم بإخفاء حسناتك، تخفيها دائماً إلا عند القدوة... أي عندما تريد أن يقتدي بك الناس وهذا الأمر مطلوب في المجتمع.. فنحن نريد أن يقوم الناس بتقليد المتدينين.. ولكن ينبغي أن يكون لك بعض الحسنات التي لا يعرفها أحدٌ أبداً.. سر بينك وبين الله.. فمن دليل الإخلاص أن يكون لك حسنات لوحدك لا يعرف أحدٌ عنها أي شيء على الإطلاق.. تذكروا حديث الثلاثة الذين أغلقت عليهم الصخرة.. وأنت كذلك لك أمور بينك وبين الله لا أحد يعرف عنها شيء، الله تبارك وتعالى وحده ثم أنت من يعلم بهذه الأعمال فقط.

ونكرر دلائل الإخلاص:

1 – أن تتهم نفسك دائماً بالتفريط في حق الله.

2 – أن تفتقد دائماً رؤية الإخلاص وتسأل نفسك عن الإخلاص.

3 - أن لا تطلب مدح الناس ولا ذمهم بحيث يستوي الأمر عندك.

4 - أن لا تتغير إذا تغير الناس بالطاعة أو الفساد.

5 - أن تكون النية محور حياتك.

6 - أن تحرص على إخفاء حسناتك إلا عند القدوة.

وأُنبِّه إلى نقطتين، واحدة منهما مهمة جداً، فقد يخاف البعض بعد هذا الكلام من دعوة الناس، أو أن تكون قدوة أمام الناس، أو تصلي بالناس، أو يعلم أحدهم صديقه التجويد، يقول: أنا خائفٌ على نفسي من الرياء... وهنا نقول أمرٌ هام جداً: العمل لأجل الناس رياء، وترك العمل لأجل الناس رياء... فإذا كنت داخلاً إلى المسجد لأصلي ركعتين، فوجدت أن المسجد مليء بالناس، فقلت في نفسي: لن أصلي لأني أخاف على نفسي أن يدخل فيها الأمور الخفية التي سبق الكلام عنها... فهذا رياء، لماذا؟ لأنك تركت العمل لأجل الناس... ادخل وصلِّ وصحح نيَّتك.. الشرع يقول هذا.. أنا لا أقترح، أنا أقول بأن الشرع يقول هذا...

وإذا كنت أقرأ القرآن ودخل بعض الناس وكنت فعلاً في حالة خشوع، فتوقفت عن القراءة من أجل الناس هذا رياء... أكمل كما كنت...

لقد كنت أقرأ وأتصدق.. سأتوقف لأجل الناس وحتى لا يكون لدي أدنى رياء... لا.. تبقى كما كنت، فما كنت تفعله، افعله، بل على العكس أحياناً تفعل أمام الناس الحسنات ليقتدى بك... تخرج صدقة أمام الأغنياء حتى يقوموا بتقليدك.. تصلي أمام الذي لا يصلي حتى يتعلم.. تأخذ بيد هذا وهذا.. وتنبه أن يغير الكلام في الإخلاص هذا المفهوم... فترك العمل لأجل الناس رياء والحل أن تستقيم وتحاول تصحيح نيَّتك حتى يعينك الله.

نماذج للمخلصين

والأمر الأخير في الواقع هو نماذج للمخلصين، نماذج نذكرها لأنواع من البشر أخلصوا لله عز وجل، حتى تتعلم وتقلدهم ومن هؤلاء:

زوجة عمران، امرأة عمران - أم السيدة مريم - ماذا قالت؟ قال الله تعالى: ﴿إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّيٓ...﴾ [آل عمران: 35]. ماذا يعني محرراً، أي خالصاً لك يا رب... أرأيت هذا النموذج... أرأيت في حياتك سيدة تنذر ما في بطنها لله وهي تلد؟! فلسان حالها يقول: يا رب ما في بطني سيعيش وسأربيه لك يا الله لا أريد منه أي شيء إني أريد أن ينتقل إليك شهيداً يا رب... ﴿إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ

لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا...﴾، ماذا يعني محرراً؟ أي محرر من كل قيد، من كل هوى، من كل رغبة شخصية لأمه ﴿... فَتَقَبَّلْ مِنِّي...﴾، والآية التي بعدها تقول: ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا...﴾ [آل عمران: 37]. فكانت مريم!.. أرأيتم ماذا ينتج عن الإخلاص! أرأيتم إخلاص أمٍّ في كلمة،ماذا أنتج...

إخلاص النبي صلى عليه وسلم

انظر إلى النبي ﷺ وهو يقوم الليل وكل ليلة يدعو هذا الدعاء قبل قيام الليل، والمح معي إخلاصه في الدعاء: "اللهم لك الحمد، أنت ملك السماوات والأرض ومن فيهن، .ولك الحمد أنت قيوم السماوات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد أنت نور السماوات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد أنت الحق، ووعدك حق، ولقاؤك حق، والجنة حق، والنار حق، والنبيون حق، ومحمد ﷺ حق، والساعة حق – انظر الآن بقية الكلام – اللهم لك أسلمت، وعليك توكلت، وبك آمنت، وإليك أنبت، وبك خاصمت، وإليك حاكمت، فاغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت، أنت المقدم وأنت المؤخر لا إله إلا أنت"[1] انظر إلى هذا التسليم المطلق لله عز وجل..

---

(1) أخرجه البخاري (1120)، ومسلم (769) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

إخلاص عمر بن عبد العزيز

ومن نماذج الإخلاص إخلاص عمر بن عبد العزيز...

سأقول فيه كلمة واحدة فقط، فقد قالوا عنه: ما خطا عمر بن عبد العزيز خطوة إلا وله فيها نية... تخيَّل! ما خطا عمر بن عبد العزيز خطوة إلا وله فيها نية!..

إخلاص خالد بن الوليد

من نماذج الإخلاص إخلاص خالد بن الوليد... ذلك القائد العظيم المنتصر في كل المعارك بتأييد من الله، ففي آخر معركة مع الرومان يعزل، ويعيَّن أبو عبيدة بن الجرَّاح، ويصبح جندياً في الجيش تحت يد أبي عبيدة بن الجراح، من يتحمل هذا... فيجدونه يعمل أكثر مما كان يعمل لما كان قائداً.. فسألوه: لِمَ تعمل كل هذا؟ فقال: إنما أفتح الشام لله لا لعمر بن الخطاب... أرأيتم الإخلاص.

ومن نماذج الإخلاص، إخلاص الصحابي الذي جاء إلى النبي ﷺ أثناء غزوة خيبر والغنائم توزع، فأعطوه نصيبه من الغنائم، فانتفض! ما هذا؟ قيل: نصيبك من الغنائم، فأخذ الغنائم وذهب للنبي ﷺ، فقال: يا رسول الله ما على هذا اتبعتك، ولكني اتبعتك على أن أُرمى ههنا، وأشار إلى حلقه، فقال له النبي ﷺ: "إن تصدق الله يصدقك" فوجدوه بعد المعركة والسهم حيث أشار... فقال النبي

ﷺ: "أهو هو"، قالوا: نعم يا رسول الله، فقال: "صدق الله فصدقه الله"... فوقف النبي ﷺ على قبره وخلع جبّته، وكفنه في عباءته وقال النبي ﷺ: "اللهم هذا عبدك خرج مهاجراً في سبيلك فقتل شهيداً وأنا عليه شهيد فاغفر له"[1]. أرأيتم إخلاص ذلك الرجل.

إخلاص زين العابدين

آخر نماذج الإخلاص، إخلاص زين العابدين بن علي بن الحسن بن علي رضي الله عنه، إخلاص عجيب، ظل أهل المدينة - فقراء المدينة - عشر سنوات يجدون طعامهم أمام بيوتهم ولا يعرفون من الذي يطعمهم، وما عرفوا إلا يوم موت زين العابدين حين انقطع الطعام.. لما انقطع الأكل علموا أن من كان يطعمهم هو زين العابدين، ولما أرادوا أن يغسلوا زين العابدين وجدوا في ظهره أثر سواد.. فقالوا: ما هذا السواد؟ فاكتشفوا أنه من أثر حمل العجين والطحين على ظهره إلى بيوت الفقراء ليلاً...

من يملك هذا الإخلاص!.. يقول الحسن البصري رحمه الله: لقد أدركت رجالاً يبيت الرجل مع زوجته ورأسه في رأسها تسيل دموعه على خديه من خشية الله وزوجته لا تشعر.. أرأيت

---

(1) أخرجه النسائي (1953)، والطبراني في المعجم (7108)، والحاكم (6526)، والبيهقي في السنن الكبرى (6608) عن شداد بن الهاد رضي الله عنه.

الإخلاص.. هو وزوجته على فراش واحد وتسيل دموعه من خشية الله وزوجته لا تشعر!! ولربما حدثته وحدثها وهو يبكي وهي لا تشعر... ولربما وقف رجلين في الصلاة ملتصقين ببعضهما وأحدهما يبكي وقلبه يعتصر من خشية الله وحبه ويحذر أن يصدر منه صوت بكاء أو نحيب ليأخذ الثواب كاملاً... من يملك هذا الإخلاص؟

هل عرفتم الإخلاص يا إخوتي.. الإخلاص إحساس يأتي في القلب عندما تحرص على طاعة الله، ويملأ قلبك حب الله عز وجل... فلنجرب هذا الإخلاص، كيف يبدأ؟.. بالنية!

أخيراً، وصفة الإخلاص:

حتى أكون مخلصاً ينبغي أن أراعي خمسة أمور:

1 - أراجع النية.

2 - الدعاء دائماً بالإخلاص.

3 - ذكر دعاء أذكار الصباح والمساء: "اللهم إني أعوذ بك أن أشرك بك شيئاً وأنا أعلمه وأستغفرك لما لا أعلم".

4 - اجعل لك طاعة خفية - حسنة خفية - لا يعلمها أحدٌ أبداً تنفرد بها مع الله عز وجل.

5 - ابق دائماً قدوة ولا تخفي طاعتك التي يمكنك من خلالها هداية الناس.

الباب الثاني

التوبة

معنى التوبة

ماذا تعني التوبة؟

التوبة تعني العودة، والرجوع، والإنابة، إنها تعني خوفاً في القلب يدفعك دفعاً إلى العودة إلى الله عز وجل..

تبدأ التوبة بعلم، تعلم بذنوبك، تعلم مقام الله عز وجل، فيدفعك هذا العلم إلى خوفٍ في القلب، فيدفعك هذا الخوف إلى عمل وهو إرادة التوبة وتحقق التوبة...

ماذا يعني تائبٌ إلى الله؟

تائب إلى الله يعني واجل، يعني نادم، يعني عائد، يعني راجع... مخلع من كل الذنوب والمعاصي، عائدٌ إليك يا رب بكل كياني... فالذنب الذي كنت أفعله لمدة عشرين سنة، أنا سأنخلع لك اليوم عنه،

حباً لك يا رب، وطاعة بين يديك يا رب، هذه هي التوبة، أن تترك المعصية لله عز وجل وتعود إلى رب العالمين.

بعض الناس يفهمون من كلمة تائب أن المرء لا بد أن يكون مرتكباً لكبيرة فيلزمه أن يتوب منها، بعض الناس يظنون هذا... فيتساءلون: لماذا أتوب؟ أنا لم أرتكب كبيرة حتى أتوب.. حين أرتكب الكبيرة أتوب!

وبعض الناس يتساءلون، لماذا نتوب؟ فكل حياتنا لا يوجد فيها أمر حرام، بالأخص نساء كثيرات، ستجد نساء كثر ليس لهن في المعاصي، فالمرأة غالباً قد تكون ليس لها ارتياع في المعاصي، فهي لا تفعل المعاصي، ولذلك فهي تستشعر أن قضية التوبة ليست مخاطبة بها.. فهي تقول: هذا الكلام ليس لي، هذا الكلام لمن يرتكب الكبائر والعياذ بالله. فمن هذا المنطلق نحن نريد تصحيح هذا المفهوم، ولذلك بعض العباد والناس الطائعة لله عز وجل، بعض الشباب الحريص على طاعة الله والملتزم بدين الله منذ سنين يظن أنه لا دخل له في قضية التوبة، فهي تخص العصاة الذين لم يتوبوا بعد ولم يلتزموا..

التوبة منزلة المنازل، ماذا تعني منزلة المنازل؟ يعني ذلك أن التوبة لكل درجات الإيمان، فالعاصي محتاج إلى التوبة، وصاحب

الكبيرة محتاج إلى التوبة، والذي على الصغائر محتاج إلى توبة، والتائب محتاجٌ أن يجدد توبته.. كلنا محتاجون إلى التوبة، هي فرض من فرائض الإسلام أن تعود إلى الله دوماً مرّات ومرّات، كل يوم وكل ليلة، لا أقول لك مرة في العمر، مرات ومرات في اليوم والليلة... التوبة.

لماذا نتوب؟

في الحقيقة، حين يكون في داخلكم إحساس بضرورة التوبة، لا بد من البداية التي سأبدؤها...

لا بدّ أن تعلم أين أنت من الله، أن تعلم كم تخطئ في حق الله عز وجل، فحين أقول لك بعد هذا، يجب عليك أن تتوب، يعتصر قلبك ويحترق ولسان حالك يقول: "يجب أن أتوب، أنا أريد أن أتوب"..

فلنرَ مع بعضنا ما نفعل نحن؟،ثم أعرض عليكم ماذا يفعل كل منا فإذا قلنا بعد هذا نتوب، نكون مدركين لماذا نتوب؟.. نتوب يا إخوتي لارتكابنا الكبائر... نتوب من الكبائر!.. قد تقول: أنا لا أرتكب الكبائر.. أنا أرتكب الكبائر! معاذ الله، لا يمكن لا أرتكب الكبائر.. لا!! أنت ترتكب الكبائر.. مثل ماذا؟

أليس تأخير الصلاة كبيرة؟،أليس جمع صلاتين مع بعض كبيرة؟

فمن يصلي الظهر، وقت العصر، ومن يصلي العصر وقت المغرب، ومن يصلي المغرب وقت العشاء، ويصلي الصبح كل يوم بعد شروق الشمس... أليست هذه كبيرة؟ هذه كبيرة بنص حديث النبي ﷺ، يقول النبي ﷺ: "من جمع بين الصلاتين من غير عذر فقد أتى باباً من أبواب الكبائر"[1]، وفي لفظ: "من جمع صلاتين من غير عذر.."[2] ماذا يعني عذر؟ إذا ضبطت المنبه لصلاة الفجر لكن غلبني النوم وكنت فعلاً أريد أن أستيقظ، فهذا يكون عذراً ويعفى عنك... لكن فلانة مضى عليها عشرين سنة ولا تريد أن تصحو وتصلي الفجر.. وفلان لا يخطر على باله ضبط المنبه أو أن يقول لصاحبه أن يوقظه أو أن ينام باكراً قليلاً حتى يصحو لصلاة الفجر... أرأيتم يا إخوتي أنه من الممكن أن تكون هناك كبائر ترتكب... أتعرفون ما تعني الكبائر؟ بل إنها من أكبر الكبائر، ما هي هذه الكبيرة.. إنها كبيرة تأخير الصلاة وجمع الصلوات، أليس تأخير الصلاة كبيرة، أليس الله تبارك وتعالى يقول لنا: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ [الماعون: 4-5]. ويل! ويل للذي يسهو عن

(1) أخرجه الترمذي (188)، والحاكم (1020) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(2) أخرجه أبو يعلى في مسنده (2751)، والطبراني في الكبير (11540)، وابن حبان في المجروحين (243/1) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

صلاته، يقول ابن عباس: "الذين هم عن صلاتهم ساهون، الذين يؤخرونها عن وقتها"[1]، ليس المقصود بساهون هو الذي لا يصليها بالكلية، ولكن الساهي هو الذي يصلي الظهر قبل العصر، ويصلي العصر قبل المغرب بدقائق... فهو قبل أذان المغرب يصلي العصر ينقره نقراً، وقبل العصر يصلي الظهر، فيأتي قبل المغرب بدقيقتين يصلي العصر، وقبل العشاء بدقيقتين يصلي المغرب من كانت هذه حال صلاته، فبماذا توعده الله؟! توعده الله بالويل نعم... إنه ويل! ولكن ما هو الويل؟ قال رسول الله ﷺ: "ويل واد في جهنم يهوي فيه الكافر أربعين خريفاً قبل أن يبلغ قعره"[2] وورد عن ابن عباس أن الويل: "جبل من النار زَلِق، كلما صعده الفاجر زلق فهو في النار"[3]، وعن مالك بن دينار أن الويل: "واد في جهنم فيه ألوان العذاب"[4].

هذا هو الويل الذي توعد الله به مؤخري الصلاة عن وقتها!!

هل عرفتم يا إخوتي لماذا نحن بحاجة إلى توبة... لأننا نرتكب الكبائر.. فالذي يشتم ويسب الأب والأم.. أليست هذه من الكبائر؟

---

(1) أخرجه الطبري في تفسيره (311/30).

(2) أخرجه أحمد (11315)، والترمذي (3164) وقال: حديث غريب.

(3) انظر: التخويف من النار لابن رجب ص 85.

(4) انظر: التخويف من النار لابن رجب ص 85.

ألم يقل النبي ﷺ: "إن من أكبر الكبائر أن يلعن الرجل والديه" قيل: يا رسول الله وكيف يلعن الرجل والديه؟ قال: "يسب المرء أبا المرء فيسب أباه وأمه"[1]... من كان منكم يفعل أمراً كهذا فليعلم أنه مرتكب لكبيرة من الكبائر تغضب الله عز وجل.. أرأيتم لماذا نحن بحاجة لأن نتوب!..

محتاجون للتوبة عن صلوات تؤخر.. محتاجون للتوبة عن صلوات تجمع... محتاجون للتوبة عن صلاة فجر لها عشرين سنة أو عشر سنين تُصلى بعد الشروق.. محتاجون للتوبة عن عقوق والدين.. الإشارة باليد للأم.. عقوق والدين... أليست هذه كبيرة؟..أم أنكم تظنون أنها صغائر؟ إياك أن تعتبرها صغيرة.. إن إغلاق الباب بغضب وأنت خارج من البيت بوجه أب أو أم... أليس كبيرة؟

يقول الله تعالى: ﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا...﴾ [الحجرات: 12] هذه الآية تعتبر أن من يغتاب شخصاً أخاً في الله كأنه يأكل لحمه ميتاً، تخيّل أنك تأكل لحم أخيك ميتاً، فما هو حال من تأكل لحم أبيها وأمها... تجلس مع رفيقاتها وتهزأ من أبيها وأمها، فهم "دقة قديمة"، نعم فإنه يحصل أمور

---

(1) أخرجه البخاري (5973)، ومسلم (90) عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

كهذه، هذا الكلام كبائر، أرأيتم أننا نرتكب كبائر ونحن بحاجة للتوبة منها... أرأيتم أنه يوجد كبائر في حياتنا محتاجة إلى توبة..

فما بالكم بمقدمات الزنى؟ نعم هي من الكبائر أيضاً.. وما مقدمات الزنى؟ زنى العين، فالذي يبحث في القنوات الفضائية عن الأماكن الخليعة، ويبحث في الإنترنت عن المواقع المحرّمة، أليس هذا من مقدمات الزنى، ألم يقل النبي ﷺ: "... وزنا العين النظر"[1] فالنظر من مقدمات الزنى!.. وأنت بفعلتك هذه تقرع أبواب الزنى.. فأول باب من أبواب الزنى النظر... صحيح أنك لم تصل إلى مكان الزنى الذي يحرّمه الله عز وجل والتي توجب الحدود، لكنك في مرحلة خطيرة، فأنت مقبل على أبواب الكبائر.. زنى العين!.. فالشاب الذي يرتكب هذه الكبيرة كل ليلة وكل نهار.. الشباب والبنات الذين قد أصبح لهم علاقة من الصحبة وصلت إلى حد المتزوجين في بعض الأحيان أليس هذا كبيرة؟!...

الإنترنت.. الـ Chatting الذي بات يحتوي كمية من الذنوب والمعاصي عبر كلام حرام يندى له الجبين، أليست هذه كبائر تحتاج إلى توبة؟.. ألم تتحرك حتى الآن إرادة التوبة في قلبك.. فلندع الكبائر.. لندع أكل المال الحرام، وترك الحجاب ولندع.. ولندع..

---

(1) أخرجه البخاري (6243)، ومسلم (2657) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

فلنتكلم في آلاف الصغائر التي تفعل كل ليلة وتحتاج إلى توبة، آلاف من الذنوب كل يوم وليلة، شبابٌ يطلق بصره في الشوارع ينظر كيف يشاء... بكم سيئة تحظى كل يوم؟.. كم سيئة؟.. وكم سيجارة كل يوم تكتسب بها كم سيئة؟ وكم شعرة تظهر من حجابك كل يوم وأنت لا تبالين بهذه الشعرات التي تظهر وكل من نظر إليهن، كل واحد نظر يُكْسبك سيئة... أليست هذه كلها آلاف من الذنوب كل يوم وليلة؟.. وتحتاج إلى توبة.. كيف سنقابل ربنا بهذا الكمّ الهائل؟!... والله لو عددنا ذنوب الشهر الواحد أخشى أن يصل إلى ما يشبه الجبال...

الأختَ، التي لم ترتدِ الحجاب بعد، ألا تستشعر أن كل إنسان ينظر إلى هذا الشعر، فهو وهي يأخذون من هذه الذنوب، فكم واحد ينظر كل يوم؟ وكم سيئة كل يوم؟...

الاغتياب، فالنساء اللاتي يغتبن ليل نهار، والناس الذين يكذبون ليل نهار، والخلق السيِّئ ليل نهار، أبعد هذا كله محتاجون للتوبة أم لا يا إخوتي؟!.. كم من الذنوب تحتاج إلى توبة؟.. محتاجون للتوبة عن الكبائر، ومحتاجون للتوبة عن الصغائر وهناك أمورٌ أخرى نحتاج أن نتوب عنها... محتاجون للتوبة عن غفلتنا عن ربنا..

لماذا خُلِقْتَ؟ هذا السؤال الذي نكرِّرُه دائماً.. لِمَ خُلِقْتَ؟ خُلِقْتَ لتعرف الله عز وجل.. الجموع البشرية على الأرض تبلغ ستة مليارات وربع المليار.. يا هل ترى كم منهم يعرفك يا رب؟ وكم منهم غافلٌ عنك يا رب؟ آلاف الغافلين.. بل بلايين الغافلين عن الله عز وجل .. لو سألت : من في الأرض عرف الله حق المعرفة؟ وعبد الله حق العبودية؟ وأدّى فرائض الله، وحمد الله على نعم الله، كم عددهم؟، هل يتعدّون الآلاف، هل يكونون مليونين أو ثلاثة ملايين؟ نسأل الله الأكثر والمزيد وإن شاء الله.. يكونون المزيد، لكن أليست غفلتنا عن الله تبارك وتعالى تحتاج إلى توبة، من الذي خلقك؟ من الذي سوّاك؟ من الذي رزقك؟ من الذي أنعم عليك؟ من الذي يصبر على البشرية وهي كل يوم تبعد عن الله آلاف الخطوات، وهو يتودّد إليها ويرزقها كل يوم، ولا يمنع رزقه عنها.. أليس هذا هو ربنا؟ أليست غفلتك عن الله تبارك وتعالى تحتاج إلى توبة؟!

متى كانت آخر مرة بكيت فيها من خشية الله؟.. متى كانت آخر مرة سجدت فيها بجد؟ هناك بعض الناس أصبح لهم ستين سنة وهم يسجدون ولم تصبح لهم سجدة، قلبهم ليس خاشع وليس موصول بالله عز وجل، يضع رأسه على الأرض ثم يرفعه، لكن أين القلب؟ لم يسجد لله مرة.. متى كانت آخر مرة شعرت فيها بجلال

الله تبارك وتعالى؟.. متى كانت آخر مرة دمعت فيها عينك؟ متى كانت آخر مرة؟ متى؟ متى؟ متى؟ أرأيتم كم نحن بحاجة للتوبة عن غفلاتنا ؟

نحن بجميع أحوالنا سوف نعصي، ونحن قد قُدِّر علينا أن نعصي؟ فهذا الأمر داخل تكويننا، ولكن قُدِّر علينا مع المعصية أن نعرف ربنا، ليس العيب أن تأتي يوم القيامة عاصٍ، ولكن أن تأتي يوم القيامة لا تعرف لك رباً... كل العيب أن تلقى الله يوم القيامة وأنت لا تدري عن ربك شيئاً.. فليس العيب أن تقابله يوم القيامة وأنت مخطئ.. أبداً، فالخطأ منك سيحصل.. لكن العيب كل العيب أن تقول له خلقتني و لم أعرفك يا رب...

ولذلك يا إخوتي! الغافل أسوأ من العاصي، وأنا قلتها قبل ذلك وأكررها... فهناك نساءٌ وشباب كثر قد تربّوا جيداً في بيوتهم لا يعصون، لكن ما هي مشكلته؟ مشكلته أنه غافل.. غافل عن الله، دخل في دوامة الحياة والمال، لا يرتكب أي أمر محرّم، لكنه ليل نهار مشغول عن ربنا، وهي.. البيت والأولاد والزواج وتتودّد إلى زوجها أمورٌ كلها جميلة، لكن أين الله في حياتِك؟ أين الله في حياتك؟.. أنت غافلٌ عن الله عز وجل.. أنت أسوأ من العاصي، لماذا؟ العاصي توبته أسهل... العاصي سيجد يوماً يشمئز فيه من معصيته، ويسأم

ويقول كفاني لقد اشمأزّيت... لكن الغافل لا يسأم أبداً يبقى على حاله حتى يموت، ولذلك شيطان الغافل لا يوقعه في المعاصي، حرصاً من الشيطان عليه أن يبقى غافلاً... لأنه لو ارتكب المعصية سيفيق من غفلته.. ابقَ غافلاً كما أنت... أرأيتم عن ماذا نحن بحاجة لأن نتوب...

- محتاجون للتوبة عن كبائر.

- محتاجون للتوبة عن صغائر.

- محتاجون للتوبة عن غفلات.

- محتاجون للتوبة عن نعم أنعم الله بها علينا ولم نشكره عليها في حياتنا.

انظر لنفسك.. انظر لعينك وقل لها: يا عين مَن الذي جعلك ترَين... فهل يعقل أن نقطة مني من الرجل في رحم المرأة تُخرج عينين وأذنين ولسان يتكلم وعقلٌ يفكّر وقلب يشعر وأرجل تمشي وإرادة.. من أين أتى كل هذا؟ ألست أنت صنع الله تبارك وتعالى؟ أين شكر النعمة؟

فالقلب هذا القلب الذي خلقه الله وأمره أن يحب الله عز وجل.. وحين يفهم هذا القلب ويعي فحين يحب، يحب المخلوقات وينسى الخالق! وحين يفهم العقل ويعي - الذي هو خلق الله عز

وجل، فعقلك ملك لربنا، فمن جعله يفهم، من قال له: يا عقل افهم؟ – أول قرار يتخذه.. "لا يا رب"!.. لا لن أصلي في المسجد.. سآكل الحرام.. لن أرتدي الحجاب... لن أطيع أبويّ.. أنا حر.. مع أن الذي جعل العقل يفكر هو الله عز وجل... أرأيتم عن أي شيء نحن بحاجة للتوبة؟

سأخبركم عن أمر أخير، لكنه صعب جداً! نعم والله صعب جداً، ونحن بحاجة للتوبة عنه، نحن بحاجة للتوبة عن ذنوب اقترفناها زماناً وتركناها، ولم نتب منها.. ماذا يعني؟.. حين كان عمرك أربع عشرة سنة وحين كان عمركِ خمس عشرة سنة كنتم ترتكبون ذنوباً.. كبرتم قليلاً فالشيطان نقلكم من هذه الذنوب إلى نوعية جديدة من الذنوب. لقد كبرتم عن الذنب الفلاني.. فحين كان عمري عشرين سنة كنت دائم العقوق لوالدي، فحين بلغت الثلاثين عاماً لم أعد أعق والدي، وقد يكون لك خمس عشرة سنة وأنت مُقْلِعٌ عن الذنب على سبيل المثال، هل يا ترى غُفِر هذا الذنب، مُسح، مُحي.. أبداً، لماذا؟ صحيحٌ أنك قد أقلعت عن الذنب، لكن هل تُبتَ منه؟.. لا.. لم يُغْفَر.. قاعدة مهمة.. الناس غافلون عنها.. الناس لم يفهموا هذا المعنى... إخوتي إن الذنوب التي تقلع عنها لا تغتفر إلاّ لو تُبتَ عنها...

فلو أن واحداً زنى ثم ترك الزنا خوفاً من الأمراض أو لأنه تزوّج والحياة قد تغيّرت عليه... هل غُفِرَ ما كان؟.. لم يغفر إلا بتوبة.. أرأيتم كم نحن بحاجة إلى التوبة؟

واحد كان يتعاطى والعياذ بالله "البانجو" أو المخدرات - كبيرة من الكبائر - تركها لأنه قد كبر أو عمل أو تحسّن حاله فهل تركه هذا توبة؟ لماذا تركه؟.. تركه رجولة، تركه لأنه يريد تصحيح مستقبله.. هل غُفِر؟ أبداً.. لماذا؟..لأنه لم يتب...

تخيّل أنك تأتي يوم القيامة وهناك ذنوب قد تركتها لعشر سنين، وتسأل عنها، فتقول: يا رب أنا تركت هذا الذنب، أنا نسيته يا رب... فأنا نسيته من كثرة ما تركته.. هل تبت عنه؟..لا.. كُتِب عليك.. يقول الله تبارك وتعالى: ﴿أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ﴾ [المجادلة: 6].

يقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ...﴾ تخيّل هذه الآية وكأنك تعاصرها يوم القيامة، ﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: 49].

﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا

عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ...﴾ [آل عمران: 30] ﴿... وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ...﴾.

توبوا يا إخوتي، إن في أيديكم أمرٌ بسيطٌ جداً، في يدك كنز، في يدك أمر سهل اسمه التوبة، تمحى به كل الذنوب التي ارتكبتها ونسيتها وتركتها.. أنت تركته.. فلتتب منه... حرام أن تلقى به الله يوم القيامة وتحاسب عليه.. تب الآن.. وتخلّص منه.. وارتح من ذنوب الماضي...

يقول سفيان الثوري — وهو أحد أئمة التابعين، وقد تربّى على أيدي الصحابة وهو من أعلام المسلمين — انظر لسفيان الثوري العظيم ماذا يقول؟: جلست يوماً أعد ذنوبي — هل قمت بعدّ ذنوبك في حياتك؟ — فقلت لنفسي: تلقى الله يا سفيان يسألك عن ذنب ذنب — ستقف أمامه يسألك عن واحد واحد؟.. تخيّل، ومن هذا؟ إنه أحد أئمة التابعين، فكم ستَعُدُّ أنت؟ — ثم قال لنفسه: هذا ما تذكّرته يا سفيان فكيف بما أحصاه الله ونسيته، ثم قال لنفسه: تُبْ يا سفيان تُبْ قبل أن تلقى الله، يقول: فجلست أتذكر عمري سنة سنة — تخيّل فلنفعلها، أتذكر أول مراحل بلوغي، أتوب عن السنة التي كنت فيها صغيراً، سنة أولى توبة، ثم السنة التي بعدها أتذكر ماذا حصل؟ وهل تبت عن الذنوب التي لم أذكرها؟ وهل تبت

عما حصل؟ وهل تبت من الذنب الفلاني تخيّل – يقول: ولما انتهيت قمت خفيفاً... ارتحت...

إخوتي أرأيتم يجب أن نتوب عن ماذا؟ يا هل ترى؟ هل تحقق داخل قلوبنا أننا بحاجة إلى توبة أم لا... هل رأيتم عظم ذنوبنا؟ هل رأيتم الكبائر والصغائر والغفلات والنعم والذنوب التي اقترفناها ونسيناها وتركناها؟ انظروا مدى عِظم الأمر... فلننظر إلى العكس.. انظر معي إلى رحمة الله تبارك وتعالى وإلى مدى إرادته التوبة من عباده.

آيات التوبة

يقول الله تبارك وتعالى: ﴿۞ قُلْ يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ...﴾ [الزمر: 53] قارن كل الذي قلته والتخويف الذي أخفته لك بهذه الكلمة، أين كلامي الذي قلته في تخويفك، فأنت تفعل، وتفعل، كبائر، وصغائر أرأيت كم قلت لك، ضع كل ما تفعله أمام هذه الآية... ﴿۞ قُلْ يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿53﴾ وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا۟ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿54﴾ وَٱتَّبِعُوٓا۟ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن

يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ [الزمر: 53-55] توبوا قبل يوم القيامة..

لا تريدون التوبة؟ انظروا كيف هو الموقف يوم القيامة.. الآية التي بعدها ﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ...﴾ [الزمر: 56] يا حسرتي على ما فعلت في حقك يا رب ﴿وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ﴾ [الزمر: 56] لقد كنت آخذ الدين استهزاء ولعباً... كنت أستهزئ في دين ربنا، ومن الممكن أن تقول أمراً آخر يوم القيامة: ﴿أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ۝٥٧ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِى كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الزمر: 57-58]... أرأيتم يا إخوتي.. لماذا لا تتوب؟،تب قبل أن تواجه بهذا الكلام... انظر الآية بعدها ماذا تقول: ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ...﴾ [الزمر: 60]. يوم القيامة سترى الناس الذين لم يتوبوا في الدنيا ولم يطيعوا الله تبارك وتعالى وجوههم مسودّة ﴿... أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ﴾ [الزمر: 60] لماذا سمّاهم متكبرين؟..أنت لا تريد التوبة... الله يقول لك سأغفر لك الذنوب كلها وأنت لا تريد... أنت متكبِّر على الله عز وجل...

يقول الله تبارك وتعالى – وتأملوا معي جمال الآيات القرآنية

التي تتحدث عن التوبة- يقول الله تبارك وتعالى ﴿... إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: 222] يحبك لو تبت! تخيّل!..

يقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ...﴾ [النساء: 27] انظر إلى جمال القرآن.. انظر إلى ربك الكريم سبحانه وتعالى.. ما إرادتك بنا يا رب ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ...﴾ لكن ما المشكلة؟ ﴿... وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُوا۟ مَيْلًا عَظِيمًا﴾ [النساء: 27]. الذين يريدون الشهوات ويتبعونها يريدون إضاعتكم، لكن ما الذي يريده منكم الله؟، يريد أن يتوب عليكم، فإذا كنت لا تريد التوبة؟.. فيزجرك الله ويقول: ﴿... وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [الحجرات: 11] وبعد أن يزجرك يعود ثانية ويخاطبك بكلام يأخذ بقلبك انظر إلى هذه الآية، وكأن أحدهم يقول لك - ولله المثل الأعلى - كلاماً يدخل القلب، انظر إلى الكلام.. يقول الله تبارك وتعالى: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ...﴾ انظر إلى هذه الكلمة الجميلة الرقيقة.. ألا تعرفون أن الذي يقبل التوبة هو الله!... انظر إلى الخطاب القرآني الرقيق: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ...﴾ [التوبة: 104].

ويسمي الله تبارك وتعالى نفسه فيقول: ﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ

ٱلتَّوۡبِ...﴾ [غافر: 3]... لماذا لا تريد أن تتوب حين تسمع هذا الكلام؟ لماذا لا تريد التوبة، لماذا أنت مُصرّ على البقاء على المعصية؟ لماذا؟ الله يعطيك كل هذا وأنت لا تريد التوبة!...

يقول الله تبارك وتعالى: ﴿۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ...﴾ [آل عمران: 133] أكثر أهل النار من المُسَوِّفين، ما يعني مسوِّف؟ مشتقة من كلمة سوف.. إن شاء الله العام المقبل سأرتدي الحجاب.. إن شاء الله عندما ألد سأتحجب حتى يفرح بي عيالي قليلاً... إن شاء الله عندما أتزوج سأواظب على الصلاة في المسجد وأغض بصري.. إن شاء الله.. إن شاء الله.. يقول إن شاء الله ويدخل مشيئة الله ويكذب! وهذا من التسويف... "سوف" جند من جنود إبليس، كلمة سوف من جنود إبليس.. لذلك ﴿۞ وَسَارِعُوٓاْ...﴾ كلام الله ومشيئة الله ﴿۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ﴾ بسرعة تعالوا إلى رحمة الله.. توبوا حتى تعيشوا في المغفرة.. ولذلك فإن صراخ أهل النار ليس فقط من ألم النار بل إنهم يصرخون كذلك على ذنوب فعلوها في الدنيا كانوا يستطيعون أن يتوبوا منها ولم يتوبوا.. يصرخ في جهنم ليتني تبت من الذنب الفلاني، ليتني لم أرتكب الذنب الفلاني.. هذا من صراخ أهل النار..

يقول تبارك وتعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ...﴾ [النساء: 17] تنبّه، بجهالة هذا لا يعني أنك لم تكن تعرف أن هذا ذنب، فكلنا يعرف أن الذنوب ذنوب، ولكن بجهالة أي أنك كنت جاهلاً بمقام الله وأنت تذنب، هذا تعريف الجهالة.

﴿إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ...﴾ [النساء: 17]. ما يعني من قريب؟ من قريب؟ أي بعد المعصية مباشرة يتوبون... هؤلاء هم المستحقون للتوبة.. ﴿إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ...﴾ [النساء: 17].

يقول الله تبارك وتعالى: ﴿... وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: 31] هيا يا مؤمنين... أرأيتم هذا النداء القرآني الشامل؟.. كلكم توبوا، فلنفعلها الآن.. فلننفذ كلام الله الآن ﴿... وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا...﴾ جميعاً المؤمن والعاصي، الفاجر والتقي، الرجل والمرأة، الصغير والكبير، المبتدئ في التديُّن والمتدين من زمن. جميعاً.. نزلت هذه الآية على الصحابة في المدينة، آية مدنية تخاطب الصحابة، ﴿... وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: 31]. تجد شيئاً عجيباً، فكلما يتكلم ربنا عن التوبة لناس عصاة ماذا يقول: ﴿إِلَّا مَن تَابَ

وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا...﴾ [مريم: 60] لم يقل (إلاّ من آمن وتاب) قدم التوبة على الإيمان، لماذا؟ لأن المعاصي تفسد الإيمان، فكيف يعود الإيمان؟ بالتوبة... لا يرمم الإيمان شيء مثل التوبة..

يقول الله تبارك وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا...﴾ [التحريم: 8].. ﴿... تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا...﴾ ماذا يعني نصوحاً، نصوحاً لها معنيين، المعنى الأول: توبة شاملة، تب عن كل الأمور، تب بكل كيانك، يعني لا تأتي واحدة تقول: أنا تبت عن اغتياب الناس إلاّ فلانة، فليس لهذه عندي توبة أبداً.. سأبقى أغتابها حتى أموت.. لا.. لا تقبل التوبة... أو يأتي أحد الشبابَ فيقول: يا رب تبت من النظر إلى النساء في الشوارعَ إلاّ فلانة.. لا تقبل توبته وهذا المعنى الأول. ولكن يوجد معنى ثان جميل للغاية، توبة نصوحاً مشتقة من نصيحة، ماذا يعني توبة نصوحاً أي تنصح صاحبها، يعني من قوتها كلما أراد أن يعصي بعدها، هي التوبة القديمة توقظه... أتذكر حين تبت يوم كذا.. أتذكر حين كنا في المسجد ونستمع إلى درس التوبة فعزمت من كل قلبك على التوبة؟ كل ما أراد أن يعصي يقول: لا أنا أذكر اليوم الفلاني، فالتوبة النصوح تنصح صاحبها كلما عاد إلى المعصية.. فلنتب يا إخوتي إلى الله توبة نصوحاً قوية وشاملة..كما أمرتنا هذه الآيات القرآنية...

أحاديث التوبة

أريد أن أنقلكم لكلام النبي ﷺ عن التوبة، حتى تعرفوا كم هو جميلٌ ديننا، وكم هو الإسلام سهل، فمن الذي أخافكم من الإسلام؟ من الذي قال لكم الإسلام دينٌ معقد؟ من الذي أخافك أن تتديني أو أخافك من سماع الدروس بحجة أنك ستسمعين كلام كله غلظة وأمور صعبة على قلبك.. إياك أن تتديني.. اسمعوا الكلام السهل... اسمعوا الكلام الذي يحبب القلوب في طاعة الله عز وجل ويقبل بالقلوب على الله عز وجل..

يقول النبي ﷺ: "يا أيها الناس استغفروا ربكم وتوبوا إليه فإني أستغفر الله وأتوب إليه في اليوم مائة مرة"[1].. فالنبي ﷺ يستغفر ويتوب مائة مرة وأنت مضى عليك عشرة سنين لم تتب مرة... رسولك المعصوم يتوب في اليوم مائة مرة فعن ماذا يتوب النبي ﷺ؟.. إنه يرتقي في كل لحظة درجات إلى الله تبارك وتعالى، ويريد أن يرتقي أكثر في حب الله ومعرفة الله.. أنت قل متى تتوب؟ متى آخر مرة تبت فيها إلى الله؟.. أتذكر متى كانت آخر توبة؟ وهل كانت ضعيفة أم قوية وهل رجعت بعدها إلى المعصية أم تبتَ بعدها.. أرأيت..

---

(1) أخرجه أحمد (17830)، والطبراني في الكبير (886) عن رجل من المهاجرين، والحديث عند البخاري عن أبي هريرة (6307) بلفظ: "والله إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة".

يقول الصحابة: كنا نعدّ لرسول الله ﷺ في الجلسة الواحدة أكثر من مائة مرة: "رب اغفر لي وتب علي إنك أنت التواب الرحيم"[1] تخيَّل، النبي ﷺ جالس وسط الصحابة وخلال جلسته يسكت قليلاً ويقول: "رب اغفر لي وتب علي إنك أنت التواب الرحيم"، ويعاود الحديث ثم يسكت مرة أخرى.. أستغفر الله وأتوب إليه.. أستغفرك ربي وأتوب إليك.. أستغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه.." أرأيت رسولك ﷺ، أرأيت عود النبي ﷺ إلى الله كم مرة كل يوم في الجلسة الواحدة سبعين مرة... أين نحن؟..

النبي ﷺ يقول – واسمع الأحاديث الجميلة – يقول النبي ﷺ: "إن الله عز وجل يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل"[2]. الرزق لا يبسط هكذا يا إخوتي، الشيء الوحيد الذي يبسط ليل نهار من قبل الله عز وجل هو التوبة... وأنت لا تريد أن تتوب.. ألا تخجل؟!. مضى عليك عشر سنين لا تريد التوبة والله عز وجل يبسط يديه كل ليلة.. في الليل..

---

(1) أخرجه أبو داود (1516)، والترمذي (3434)، وابن ماجه (3814)، وأحمد (4712) عن ابن عمر رضي الله عنهما.

(2) أخرجه مسلم (2759)، وأحمد (19035) عن أبي موسى رضي الله عنه.

هل من تائب فأتوب عليه... ومن الذي ينبغي له أن يبسط يديه؟!! العبد الذي يجب عليه وينبغي له أن يبسط يديه ويقول: أدركني يا الله.. أم الله تبارك وتعالى الذي يريد التوبة من عباده فيدعوهم إليه "إن الله يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار".

يقول النبي ﷺ: "ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر يقول: من يدعوني فأستجيب له، من يسألني فأعطيه، من يستغفرني فأغفر له"[1] أنت مضى عليك ثلاثين أو أربعين سنة نائم كل ليلة.. ويوجد بعض الناس لم يقوموا في حياتهم مرة يقولون: تبت يا رب عن العشرين سنة الماضية، وهو يتنزل كل ليلة، هل من تائب فأتوب عليه.. عرفتم ربكم أم لم تعرفوه بعد يا إخوتي؟.. استشعرتم جلال الله ورحمة الله ومحبة الله لعباده أم ليس بعد؟

يقول الله تبارك وتعالى في الحديث القدسي: "يا ابن آدم إنك ما دعوتني ورجوتني.." قليلاً من الرجاء.. "يا ابن آدم إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان منك ولا أبالي، يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك ولا أبالي، يا ابن آدم إنك لو لقيتني بقراب الأرض خطايا، ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً

---

(1) أخرجه البخاري (1145)، ومسلم (758).

لأتيتك بقرابها مغفرة"[1] ماذا تريد.. لماذا لا تريد أن تتوب بعد كل هذا، متى ستتوب.. ما الذي ستسمعه حتى تتوب، هل ينبغي أن تصاب بمصيبة شديدة حتى تعود إلى الله؟..ألا يمكن أن ترجع وأنت سليم معافى؟..

يقول الله تبارك وتعالى لما عصى إبليس ورفض أن يسجد لآدم قال: "يا رب وعزتك وجلالك لأغوينهم ما دامت أرواحهم في أجسادهم، فقال الله عز وجل: وعزتي وجلالي لأغفرن لهم ما داموا يستغفروني"[2].

ماذا تريد أكثر من هذا حتى تتوب.. ماذا تريد أن تسمع.. ألا ترى حبه لك ورحمته بك...

يقول النبي ﷺ: "إن الله يفرح بتوبة عبده أكثر من..." — ويضرب النبي ﷺ المثل الجميل، أتريد أن تعرف كيف يفرح الله بك لو أنك تبت الآن، اسمع هذا الحديث.. رجل يمشي في الصحراء معه راحلته عليها طعامه وشرابه في وسط الصحراء وقد توغل في الصحراء ضاعت منه الراحلة وعليها الطعام والشراب فأيقن من

---

(1) أخرجه الترمذي (3540) عن أنس بن مالك رضي الله عنه، وأحمد (20961)، والدارمي (2788) عن أبي ذر رضي الله عنه.

(2) أخرجه أحمد (11321) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

الموت، فحفر لنفسه قبراً وقال: أنام في هذا القبر حتى يأتيني الموت، فبينما هو نائم في حفرته إذا براحلته فوق رأسه، عليها طعامه وشرابه - وهل توجد فرحة في الدنيا أكبر من فرحة شخص كان سيموت ونجا؟ - فمن شدة فرحته قال - أخطأ من شدة الفرح -: "اللهم أنت عبدي وأنا ربك"، أخطأ من شدة الفرح.. يقول النبي ﷺ: "فالله أفرح بتوبة أحدكم من ذلك الرجل"[1]...

لا إله إلا الله، أرأيتم كم نحن غافلون عن ربنا، وهل رأيتم مدى كرم ربنا.. ولا تريد أن تتوب بعد كل هذا؟... أنت جاحدٌ كثيراً.. أنت قاسي القلب جداً.

وهذا حديث رواه البخاري لرجل من بني إسرائيل عصى الله ما شاء أن يعصي، عصى عصياناً طويلاً أمضى عمره عاصياً فلما جاءه الموت، وبدأت وفاته تقترب جمع أولاده، وقال: يا أولادي، ما عصى الله أحدٌ مثلي، إن أنا مت فأحرقوا جثتي - طبعاً هذا لا يجوز في أمة الإسلام لكن هذا في بني إسرائيل - فأوقدوا ناراً ثم ضعوني فيها حتى إذا صرت رماداً اسحقوني ثم اذروني على رؤوس الجبال فإنه لو قدَر عليّ ربي ليعذبني عذاباً ما عذبه أحد من العالمين، فلما

(1) أخرجه البخاري (6308)، ومسلم (2744) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

مات أوقدوا ناراً وأحرقوه حتى صار رماداً فسحقوه ثم انتظروا يوماً عاصفاً فنثروه على رؤوس الجبال، فقال الله عز وجل له: كن فكان، فقال الله عز وجل له: ما حملك على ما صنعت؟ فقال: خفتك وخفت ذنوبي، فقال الله عز وجل: بمخافتك إياي غفرت لك، أشهدكم يا ملائكتي أني قد غفرت له وأدخلته الجنّة.. والحديث صحيح رواه البخاري[1].

وجاء في الأثر أن رجلاً من بني إسرائيل أطاع الله عشرين عاماً، ثم عصى الله عشرين سنة - نكث وما أشد أن تنكث طاعة لله بعد أن كنت طائعاً، شيء سيئ - نظر يوماً في المرآة وقد رأى الشيب يملأ رأسه، فقال: يا رب أطعتك عشرين ثم عصيتك عشرين فهل يا رب إن عدت إليك تقبلني، ثم قال لنفسه: هيهات بعدما فعلت، فنام يوماً فسمع صوتاً يقول له: أطعتنا فقربناك، ثم عصيتنا فأمهلناك، وإن عدت إلينا قبلناك... فالأخت التي خلعت الحجاب وشعرت أن الأمر انتهى لقد بعدت عن الله... لم يزل الباب مفتوحاً.. ارجعي، عودي لله عز وجل...

وما أعجب هذه القصة التي حدثت على عهد موسى عليه السلام، رجل من بني إسرائيل، حدث في عهد موسى عليه السلام

(1) أخرجه البخاري (3481)، ومسلم (2756) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

قحط شديد، فكاد الناس أن يموتوا، والبهائم كادت أن تموت من قلة المطر، والناس أتعبت فقالوا: يا موسى ادعوا الله واستسق الله لنا أن ينزل المطر، ويومها بنو إسرائيل سبعون ألفاً، فجمعهم موسى في مكان واحد وظلّ يدعو ويدعو ويلحّ على الله ويلجأ إلى الله وهم يؤمّنون والمطر لا ينزل، فقال موسى: يا رب لِمَ لا ينزل المطر ونحن ندعوك ونتذلل إليك؟ فقال الله: يا موسى بينكم رجل يعصيني منذ أربعين سنة، فبشؤم معصيته منعتم المطر من السماء. - لما الحب قلّ في البيوت؟ والبيوت تملؤها الكآبة لماذا؟ والناس متعبون مالياً لماذا؟ لماذا كل هذا؟ إنه من شؤم معاصينا، من شؤم المعاصي - فبشؤم معصيته منعتم المطر من السماء يا موسى، فقال موسى: يا رب فماذا نفعل؟ قال: يا موسى أخرجوه من بينكم، فإنه إن خرج من بينكم هذا العاصي نزل المطر، فوقف موسى في بني إسرائيل يقول لهم: أستحلفكم بالله أقسمت عليكم، بيننا رجل يعصي الله أربعين سنة فليخرج من بيننا فلن ينزل المطر حتى يخرج - وكان هذا الرجل وسطهم وظل يلتفت يميناً وشمالاً لعل أحداً آخر يخرج فلم يخرج أحد فعرف أنه هو - فقال: يا رب أعصيك منذ أربعين سنة وأنت تسترني، يا رب أنا اليوم إن خرجت فضحت، وإن بقيت هلكنا و لم ينزل المطر، يا رب أنا اليوم أتوب إليك وأندم وأعود إليك فتب عليّ

واسترني، فنزل المطر، فقال موسى: يا رب نزل المطر ولم يخرج أحد – عجب موسى – فقال الله: يا موسى نزل المطر بتوبة عبدي الذي عصاني منذ أربعين سنة، فقال موسى: يا رب فدلني عليه لأفرح به، فقال الله: يا موسى عصاني أربعين سنة وأستره أيوم يعود إليّ أفضحه...

إخوتي توبوا... فمن يسمع هذا الكلام ولا يتوب؟! فلتتب الآن وأنت جالس.. حسناً استعديتم للتوبة قبلتم هذا الكلام فما شروط التوبة.

شروط التوبة

فلنتكلم الكلام العملي: كيف أتوب؟

شروط التوبة ثلاثة وهي غاية في السهولة – وهذا الكلام في التوبة عن المعاصي في حق الله –:

1 – الندم.

2 – الإقلاع عن الذنب.

3 – العزم على عدم العودة.

فعن الماضي الندم على أمور حصلت في الماضي، وعن الحاضر الإقلاع والتوقف عن الذنب، وفي المستقبل عزم على عدم العودة..

ماذا يعني الندم؟

الندم ألم في القلب، قد يكون بيننا شخص وهو يرى الذنب أمام عينيه، وقلبه يندم على هذا الذنب... ندم!.. ما معنى ندم؟.. ألم في القلب... حرقة في القلب.. احتراق داخلي من شدة ألم المعصية، وحزن على التفريط في حق الله أو الغفلة لسنين طويلة، حتى لو لم يكن عاصي... عشر سنين غفلة! هذا هو الندم..

كيف يعبّر عنه؟

بدمعة عين.. لو دمعت عيني فهذا يكون ندماً صحيحاً، يعبَّر عنه بوخزة في القلب واضطراب في القلب ورعشة في القلب... يعبر عنه بمال يتصدّق به لعل الله أن يعفو.. يعبر عنه بسجود طويل وعبادة طويلة.. كل هذا ندم.

ما أدنى الندم؟

ما هو أدنى الندم حتى أعرف أن توبتي قبلت؟ أدنى الندم أن يؤلمك قلبك... ألم في القلب.. هزة في القلب، يقول عبد الله بن عمر: من ألمّ بخطيئة فاهتز لها قلبه محيت له من أم الكتاب.

أول شرط من شروط التوبة الندم، أما الذي يقول بلسانه: يا رب لن أفعل هذا الأمر مجدداً، وقلبه لاهٍ... لا تصح توبته... أين

الندم والذي هو ركن أساسي من أركان التوبة.. يقول النبي ﷺ: "الندم توبة"[1].

الشرط الثاني.. التوقف عن الذنب..

لا تقلْ تبت يا رب وأنت ما زلت ترتكب الذنب!.. هذا منتهى الجحود...

الشرط الثالث.. الإقلاع.. التوقف! بالله عليك حتى الآن لست قادراً على التوقف! تنبّهوا يا إخواني.. هناك أناس تندم وتقلع ولكنه يقول سأعاود الأمر ثانية، فهذا كالمستهزئ بالله.. بعض الناس يعتمدون إلى التحايل على أنفسهم.. يندم ويقلع ويقول: لن أفكر بما هو آت حتى أكون قد تبت.. ينبغي أن يقول: لن أعاود الأمر ثانية.. لا بد من العزم.

شروط التوبة ثلاثة، أتلاحظون أمراً يا إخوتي.. الثلاثة من أعمال القلب.. انظروا إلى الرحمة.. وماذا يعني؟.. أي بالإمكان أن يكون شخص بيننا الآن، نحن لا نعرفه، واحدة جالسة الآن هي تعلم ذنبها جيداً... تائبة، وقبلت توبتها ومحيت سيئاتها ونحن لا نعرفها..

---

(1) أخرجه أحمد (3558، 4002)، وابن ماجه (4252)، وابن حبان (612)، والحاكم (7612) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

لماذا؟.. لأن التوبة كلها قلبية.. لا أحد يعلم.. إخوتي اعزموا على التوبة.. فكلها في القلب، انظروا هذا الفضل العظيم.

يقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا (68) يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا (69) إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ...﴾ [الفرقان:68-70] الله!.. لا يكفي أن يغفر الذنب بل يُبْدل حسنة... يُمحا الذنب ويكتب مكانه حسنة.. يقول الصحابة: ففرح النبي ﷺ بهذه الآية فرحاً عظيماً... [للدرجة أن الطائعين يوم القيامة يحسدون العصاة الذين تابوا، لكثرة السيئات التي بُدِّلت إلى حسنات.. هذه ليست دعوة للمعصية.. لكن انظر عِظم هذا الكلام].

وفي الحديث الصحيح عن أبي ذر قال: قال النبي ﷺ: "يؤتى بالرجل يوم القيامة فيقال: اعرضوا عليه صغار ذنوبه، قال: فتعرض عليه ويُخبأ عنه كبارها فيقال: عملت يوم كذا وكذا كذا وكذا، وهو مقر لا ينكر، وهو مشفق من الكبار، فيقال: أعطوه مكان كل سيئة حسنة..."، فهذا هو مصداق قول الله جلا وعلا: ﴿فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ﴾ كل الصلوات التي تركها قد حوّلت

إلى حسنات من يوم توبته عن ترك الصلاة... كل الفترة التي خلعت فيها الحجاب قد بدلت إلى حسنات من يوم ارتدائها للحجاب.. كل المال الحرام قد تحوّل لحسنات وصدقات، "فيقول العبد: إن لي ذنوباً ما أراها"، قال أبو ذر رضي الله عنه راوي الحديث: فلقد رأيت رسول الله ﷺ ضحك حتى بدت نواجذه[1]. الشاهد أن شروط التوبة ثلاثة.. هل هي صعبة:

- ندم.
- إقلاع.
- عزم على عدم العودة..

أما الذنوب التي لا تذكرها.. تستطيع أن تفعل أمر عظيم جداً... تقول: يا رب أنا تبت عن كل الماضي وسأفتح صفحة جديدة.. هل يغفر كل ما فات؟.. أجل يغفر كل ما فات، وهل هذا يعني أنني إذا قلت: يا رب كل ما فعلته قبل هذا أنا تائب منه وسأبدأ معك طائعاً من اليوم.. واحدة واحدة.. لا أقول أنك ستبدأ كل أنواع العبادة مرة واحدة.. ولكن بالتدريج.. فأنا تائب وسأبدأ صفحة جديدة بالتدريج... يغفر كل ما قد فات!.. يغفر كل الماضي.. هل هذا صحيح؟ يعني لو فعلنا الأمور الثلاثة..

---

(1) أخرجه مسلم (190)، وأحمد (20885)، والترمذي (2596).

كل الذنوب تغفر!؟.. أجل كل الذنوب تغفر.. أنا لا أصدق.. لا تصدق.. فهذا أول ذنب ارتكبته لأنك لست مصدقاً، ماذا يعني؟.. لا بد أن توقن يقيناً كاملاً أنك لو فعلت الشروط الثلاثة، يقيناً تاب الله عليك كما ترى الشمس في رابعة النهار، لو حققت الشروط الثلاثة، يقيناً تاب الله عليك.. توبة.. ندم.. إقلاع.. عزم على علم العودة... يقيناً تاب الله عليك.. ما رأيك..

فلو عدت للذنب نفسه.. هل ما فات يكتب ثانية؟ ما هذه الرحمة.. ما هذا العفو.. ألم تحقق الشروط الثلاثة؟ نعم.. ولكن عدت لنفس الذنب ثانية، ما فات مُسِحَ فما الذي يحصل؟ يكتب من جديد.. لا إله إلا الله... فإذا كنت خارجاً من المسجد فقلت: يا رب لن أعق أبي وأمي أبداً، أنا تبت من عقوق الوالدين، ثم ارتكبت خطأ في اليوم التالي.. يكون كل ما فات قد مُسِحَ، وماذا يكتب؟ يكتب الخطأ الأول.. هل هذا يعني أني حين أكون خارجاً من المسجد تكون صفحتي بيضاء تماماً... نعم!.. يعني إذا مت بعد توبتي مباشرة فهل أكون يقيناً من أهل الجنة؟..يقيناً أنت من أهل الجنة... لا إله إلا الله وسبحان الغفور الرحيم.. سبحان من سمى نفسه الودود التواب الغفور الرحيم.

يقول النبي ﷺ: "أذنب عبدٌ ذنباً، فقال: يا رب أذنبت ذنباً فاغفره لي. فقال الله عز وجل: علم عبدي أن له رباً يغفر الذنب

ويأخذ بالذنب، قد غفرت لعبدي.. ثم عاد فأذنب ذنباً فقال: يا رب أذنبت ذنباً فاغفره لي، فقال الله عز وجل: علم عبدي أن له رباً يغفر الذنب ويأخذ بالذنب قد غفرت لعبدي، ثم عاد فأذنب ذنباً، فقال: يا رب اغفره لي، فقال الله: علم عبدي أن له رباً يغفر الذنب ويأخذ بالذنب فقد غفرت لعبدي فليفعل عبدي ما شاء"[1] ما دام يتوب إليّ ويستغفرني... أرأيت؟..لذلك من يعود للذنب ثانية يقول: لا لقد تبت قبلها ولست طفلاً لن أتوب ثانية.. أبداً وتب ثانية ولو مائة مرة في اليوم فسوف يغفر التسع وتسعون مرة التي سبقت.

جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: "أفرأيت إن فعلت ذنباً يكتب عليّ؟ قال: "نعم يكتب".. قال: يا رسول الله أفرأيت إن تبت!.. قال: "يمحا".. قال: يا رسول الله أفرأيت إن عدت.. قال: "يكتب".. قال: يا رسول الله أفرأيت إن تبت! قال: "يمحا".. قال: يا رسول الله أفرأيت إن عدت؟ قال: "يكتب".. قال: يا رسول الله أفرأيت إن تبت! قال: "يمحا".. فقال الرجل: يا رسول الله حتى متى يمحا؟..قال النبي ﷺ: "إن الله لا يمل من المغفرة حتى تملوا من الاستغفار"[2].

---

(1) أخرجه البخاري (7507)، ومسلم (2758) عن أبي هريرة رضي الله عنه.
(2) أخرجه الطبراني في الأوسط (8689)، وفي الكبير (287/17)، والحاكم (195، 7658)، وانظر: مجمع الزوائد (200/10).

توجد نقطة هامة، فبعض الناس يقول: أنا نادم وقلبي يؤلمني لكني لا أستطيع العزم.. لا أستطيع العزم.. لا أستطيع القول بأني لن أعود وأشاهد هذه المحرّمات... تقول له بعد أن سمعت كل هذا الكلام، إن لم تكن قادراً على العزم فأنت تعاني ضعفاً شديداً في قلبك.. ما هو الحل؟.. ليس لك إلا حلّين...

الأول: أن تدعو الله بشدة أن يمن عليك بتوبة. فوالله يا إخوتي، تكون المعصية متلبسة داخل القلب، وجذورها متمسكة في القلب.. واحدٌ يحب واحدة وبينهم علاقة محرّمة ومتعلقين ولا يمكن أن يتخيّلوا الفراق ..فليدعو ويقول: يا رب أفرج عن قلبي. ويدعو ويدعو.. وهي.. يا رب أعنّي على الحجاب.. وتدعو وتدعو.. والله يا إخوتي التجربة تقول هذا، فبعد قليل تتساءل كيف خرجت المعصية من قلبي؟..كيف استطعت أن أفعل هذه الطاعة؟،فمن الممكن أن تبقى ثلاثة أو أربعة سنوات، لكن ثابر واطرق أبواب الله عز وجل، فسيفتح لك وسيعطيك العزم على التوبة.

الثاني: صحبة الصالحين، فهؤلاء هم الذين يعطونك العزم في العودة إلى الله والعزم على التوبة.

هل ينفع أن أتوب عن أشياء دون أشياء؟ ماذا يعني؟ هل ينفع

أن أقول: لقد تبت يا رب عن ترك الصلاة لكني لم أتب عن الدخان أو كذا أو كذا، هل يصح ذلك؟ أم يجب أن تكون التوبة شاملة لكل معصية في حياتي؟

انظروا إلى هذه الرحمة.. يصح.. تصح التوبة عن ذنب معين لكن بالشرط الذي ذكر قبل قليل، فلا تقل تبت عن الذنب الفلاني إلا هذا الجزء الذي فيه.. فلو كان الجزء من جنس الذنب فلا تنفع التوبة.. يصح أن تتوب عن الأول ويغفر لك ويبقى الثاني حتى تتوب عنه... انظروا إلى هذه الرحمة، وهذا ليس كلامي.. هذا كلام ابن القيم وكلام العلماء..

المسألة الأخيرة: لقد تحدثت عن كيفية التوبة عن الأمور التي بيننا وبين الله لكن المظالم التي بيننا وبين الناس؟ المظالم التي بيننا وبين العباد لها شرط رابع، فلو أكلت مال أحدا يجب أن تندم وتعزم على عدم العودة وتقلع عن أكل ماله. والأمر الرابع بينك وبينه هو أن ترد المظالم.. فلو لم ترد المظالم لا تقبل توبتك.. حتى لو بكيت الدهر كله..

فلو أن أحداً بينه وبين الله ذنوب، وبينه وبين العباد ذنوب — لقد أكلت مال فلان أو شهدت شهادة زور أدخلت أحدهم السجن — لا تقبل توبتك حتى تصحح شهادتك، ولو وضعت مكانه، لا

تقبل، ابك كما تريد فتوبتك ليست مقبولة واعزم على عدم العودة.. لن تقبل توبتك حتى تعيد المال الحرام إلى أهله وخاصة الحقوق المادية، فهذا الشرط واجب.

ويبقى أمر هام! الغيبة، فلو أن شخصاً اغتاب آخر هل يخبره بأنه قد اغتابه.. لا.. فماذا يفعل؟.. يستغفر له، وماذا.. تقدم له هدية ما أمكن..

لو أن شخصاً والعياذ بالله خان آخراً في أهله.. لا يقول له لقد حصل بيني وبين أختك في يوم من الأيام كذا وكذا.. خطأ.. يستغفر له ويقدم له الهدايا ويطلب منه العفو في جلسة عامة ولا يشعر بأنه قد حصل بينهما شيء، فالحقوق المعنوية والغيبة،التوبة منها تكون بالندم والإقلاع والعزم على عدم العودة، وأن تستغفر له. أما الأمور المادية التي ينبغي ردها لا بد أن ترد.

يقول سفيان الثوري: الذنوب التي بين العبد وبين الله أسهل من الذنوب التي بين العبد وبين العباد... أرأيتم كم يغضب الله لمظالم العباد.. كلنا يحفظ حديث: "أتدرون من المفلس.... أكل مال هذا وسرق هذا" الحديث[1].

---

(1) أخرجه مسلم (2581)، وأحمد (7969)، والترمذي (2418) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

لقد تحدثت عن أمور كثيرة في التوبة لكن بقي أمر مهم وجميل وهو نماذج التائبين أختم به لحلاوته وأثره في القلوب، فلنشاهد نماذج لمن تاب حتى تقتدوا به، وحتى تعرفوا كم كان لهم إرادة بالتوبة..

من هذه النماذج نموذج من قتل مائة نفس.. قتل مائة شخص، وكلنا يحفظ الحديث: رجل - وهل يوجد بين الجالسين رجل أذنب ذنوباً أكثر من هذا - قتل مائة شخص -، قتل تسعة وتسعين نفساً في البداية ثم ذهب يسأل: هـل لـي مـن توبـة، فدلّوه على رجل عابد، فذهب إليه فقال: هل لي من توبة، قال تقتل تسعة وتسعين نفساً وتريد توبة ليس لك توبة، فقتله فأتم به المائة - لكن ما زال داخل هذا الرجل ما يقول له: أريد التوبة، انظروا ماذا فعل قلبه، هل يا ترى نحن الآن هكذا - فقال: دلّوني على رجل أسأله هل لي من توبة.. فدُلَّ على رجل عالم فذهب إليه وقال بأنه قتل مائة نفس فهل له من توبة، فقال: ومن يحول بينك وبين التوبة ولكن - تنبهوا لهذه - اترك الأرض التي أنت فيها فإن فيها قوم سوء - من الإعانة على التوبة ترك رفقاء السوء - واذهب إلى أرض كذا وكذا فإن بها قوماً صالحون - اذهب لأهل الصلاح... وهذا الرجل كانت عنده إرادة التوبة، فهل يا ترى لو قلنا لك لن تتوب حتى تترك رفقاء السوء فهل ستتركهم، فهذا

الرجل ترك بلده - تـرك أرض السوء وذهب إلى أرض الصلاح فبينما هو في الطريق مات، فاختلفت فيه الملائكة، فقالت ملائكة الرحمة: إنه أتى إلى الله بقلبه، وقالت ملائكة العذاب: إنه قتل مائة نفس و لم يفعل خيراً قط، فأرسل الله إليهم ملكاً يحكم بينهم، وقال لهم: قيسوا بين الأرضين فإلى أي الأرضين أقرب أخذته الملائكة الخاصة بها، فقاسوا بين الأرضين فقرّبه الله تبارك وتعالى إلى أرض أهل الصلاح بشبر فقبضته ملائكة الرحمة"[1] الحقوا الشبر يا إخوتي، فهذا الشبر لا تضمنه إن خرجت من هنا ستموت أم لا، وهذا الشبر لا تضمنيه أنتِ التي تسوِّفين التوبة هل ستعيشين للعام المقبل أم لا .. فهذا الرجل مات وكان الفرق شبراً واحداً.. أرأيتم ماذا تفعل صحبة السوء؟وماذا تفعل صحبة الصلاح؟..أرأيتم إرادة التوبة؟! ترك أصحابه وقال لن ينفعني أن أكمل مع هؤلاء الناس.

ومن نماذج التائبين رجلٌ أتى النبي ﷺ وقال: يا رسول الله، أرأيت من عمل الذنوب كلها، ولم يترك منها شيء؟ - بعض الناس يقولون هذا، يقولون: لقد ارتكبنا كل المعاصي - وهو في ذلك لم يترك حاجة ولا داجة إلا أتاها، فهل لذلك من توبة يا رسول الله،

---

(1) أخرجه البخاري (3470)، ومسلم (2766) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

فقال له النبي ﷺ: "هل أسلمت"، قال: أما أنا فأشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله، فقال له النبي ﷺ: "توبتك تفعل الخيرات وتترك السيئات، فيجعلهن الله لك خيرات كلهن"، فقال الرجل: يا رسول الله إن فعلت هذا تغفر ذنوبي، قال: "نعم"، قال: وغدراتي وفجراتي يا رسول الله، قال: "وغدراتك وفجراتك" فمضى الرجل يصيح ويقول: الله أكبر الله أكبر حتى توارى[1]... أرأيت إرادة التوبة، يخرج ويقول أنا تائب ولن أعود للذنوب ثانية.

---

(1) أخرجه الطبراني في الكبير (7235)، وأبو بكر الشيباني في الآحاد والمثاني (2718) عن أبي طويل شطب الممدود رضي الله عنه، وانظر: مجمع الزوائد (32/1، 202/10).

ومن نماذج التائبين: الغامدية... امرأة صحابية عاشت في المدينة، مع النبي متزوجة من صحابي – تخيل تتلقى القرآن بأذنيها من فم الرسول ﷺ، أسلمت على يد النبي ﷺ، تعيش في المدينة – بعد كل هذا زنت! تخيل .. – نحن بشر، وحق لا يقول أحد ليس لي توبة، اسمع الغامدية وكأن حالة الغامدية حتى لا ييئس أحدٌ من خشية الله – زنت لكن هذه المرأة كانت تمتلك إرادة التوبة، ذهبت إلى النبي ﷺ وقالت: يا رسول الله زنيت وإني حبلى، طهّرني يا رسول الله – انظر إلى كلمة: طهّرني يا رسول الله!.. انظر إلى من بقيت الذنوب تركب قلوبهم وأبدانهم سنين طويلة.. الغامدية أخطأت، لكن إرادة التوبة تملؤها.. طهّرني يا رسول الله فقال لها النبي ﷺ: "اذهبي حتى تلدي ثم ائتني" – فهل تعلم نتيجة أنها زنت وهي متزوجة ماذا سيحصل لها؟ ستُرجم حتى الموت – فضحت

---

(1) أخرجه الطبراني في الكبير (7235)، وأبو بكر الشيباني في الآحاد والمثاني (2718) عن أبي طويل شطب الممدود رضي الله عنه، وانظر: مجمع الزوائد (32/1، 202/10).

نفسها، فزوجها علم، وأهلها علموا.. لكن التطهّر أولى. تنبهوا أنها لو لم تعد لا يقام عليها الحد، فلو لم تعد كانت حرة لأنها شهدت على نفسها، ولو أن أحدهم قذفها وقال لها: يا زانية يجلد ثمانين جلدة، فهي بكل بساطة تستطيع أن لا تعود، لكنها تريد التوبة.. بعض الأخوات يحضرن درساً فيتأثرن به فتخرج إحداهن وتتحجّب، ويعاني المسلمون وتعاني هي بأنها خلعت حجابها، ويصبح الحجاب لهوٌ ولعب.. إرادة التوبة تذهب بعد أسبوعين من عندها.. لكن الغامدية تعود بعد تسعة أشهر، لم تزل إرادة التوبة في قلبها، ليس بعد درس وسماع كلمتين في التوبة وإنما جاءت إلى النبي ﷺ بعد تسعة أشهر تحمل طفلها وتقول: طهّرني يا رسول الله.. فيقول لها النبي ﷺ: "اذهبي حتى تفطميه".. هل يعقل؟ ستنتظر سنتين بعد أن انتظرت تسعة أشهر؟! ستبقى سنتين وليس في كيانها إلا أنها تريد التوبة: أريد التطهّر.. هذا الكلام لا ينطبق على واقعنا الآن لأن الحدود لا تقام فتكون التوبة في الأمور الثلاثة التي ذكرناها... طهّرني يا رسول الله..

وأتت بعد سنتين تحمل الطفل وفي يده قطعة خبز وكأنها تقول له قد فُطِم.. اقتلني وطهّرني.. فيقول النبي ﷺ: "أعطني الولد".. مَن أغلى الابن أم التوبة.. ويؤخذ الطفل.. لكن انظر إلى مجتمع مليء

بالتكافل ماذا سيقال عن هذا الولد بعدها؟.. ابن زنى!.. لا.. ليس المسلمون من يقال على أولادهم هكذا.. ويأخذه النبي ﷺ ويرفعه ويقول "من يكفل هذا الغلام ويكون رفيقي في الجنة؟".. ويؤخذ الغلام وتؤخذ الغامدية ويبدأ المسلمون في رجم الغامدية والمرأة لا تتحرك - ولو هربت وفرت من الحجارة لتركوها - وتصمد الغامدية وتموت الغامدية. ويقف النبي ﷺ ليصلي عليها، فيقول له عمر: يا رسول الله أتصلي عليها وهي زانية؟،فيقول النبي ﷺ وقد غضب: "ويحك يا عمر، والله يا عمر لقد تابت توبة لو وزّعت على سبعين من أهل المدينة لوسعتهم.. وهل وجدت توبة أفضل من أن جادت بنفسها لله"[1].

إرادة التوبة!.. ليست يومين ثم تعود كما كنت..

أحد الصحابة وهو كعب بن مالك - لو سألت أحد الحاضرين ما هو أجمل يوم في حياتك، ماذا سيقول؟.. يوم نجحت، يوم تزوجت، يوم كذا يوم كذا.. كعب بن مالك رضي الله عنه وأرضاه تخلّف عن غزوة تبوك، فغضب النبي ﷺ، وصدر الأمر للمسلمين بمقاطعته خمسين يوماً وبعد الخمسين يوماً تاب الله عليه..

(1) أخرجه مسلم (1696)، والترمذي (1435)، والنسائي في الكبرى (2084) عن عمران بن حصين رضي الله عنه.

ونزل القرآن بتوبة الله عليه.. يدخل كعب بن مالك المسجد بعد خمسين يوماً من مقاطعة المسلمين – انظر ماذا قال له النبي بعد خمسين يوماً من المقاطعة: – "يا كعب أبشر بخير يوم طلع عليك منذ يوم ولدتك أمك.. تاب الله عليك"[1] – أجمل يوم في حياتك يوم يتوب الله عليك.. أحلى يوم في حياتك يوم تستطيع أن تخرج معصية تملأ قلبك ويتوب الله عليك.

آخر مثل وأجمل مثل أختم به توبة مالك بن دينار. من مالك بن دينار؟..مالك بن دينار من أئمة التابعين، و الذي اشتهر عنه أنه كان يبكي طوال الليل ويقول: إلهي أنت وحدك الذي يعلم ساكن الجنة من ساكن النار فأي الرجلين أنا؟،اللهم اجعلني من سكان الجنة ولا تجعلني من سكان النار".. انظروا عبادته.. هذا هو مالك بن دينار، لكنه في بداية حياته لم يكن بهذه التقوى.. يقول: بدأت حياتي ضائعاً سكّيراً عاصياً، أظلم الناس،آكل الحقوق، آكل الربا، أضرب الناس، أفعل المظالم، لا توجد معصية إلا وارتكبتها، شديد الفجور يتحاشاني الناس من معصيتي..

---

(1) أخرجه البخاري (4418)، ومسلم (2769) عن كعب بن مالك رضي الله عنه.

هل كان مالك بن دينار هكذا؟ نعم كان هكذا.. يقول: غير أني في يوم من الأيام اشتقت أن أتزوج ويكون عندي طفلة، فتزوّجت وأنجبت طفلة سميتها فاطمة، أحببتها حباً شديداً، وكلما كبرت فاطمة زاد الإيمان في قلبي وقلّت المعصية في قلبي، ولربما رأتني فاطمة أمسك كأساً من الخمر فاقتربت مني فأزاحته وهي لم تكمل السنتين وكأن الله يجعلها تفعل ذلك، وكلما كبرت فاطمة كلما زاد الإيمان وكلما اقتربت من الله خطوة وكلما بدأت أبتعد شيئاً فشيئاً عن المعاصي حتى اكتمل سن فاطمة ثلاث سنوات..

يقول: فلما أكملت السنوات الثلاث ماتت فاطمة.. يقول: فانقلبت أسوأ مما كنت، فلم يكن عندي من الصبر الذي عند المؤمنين – ليقويني على البلاء، وتلاعب بي الشيطان حتى جاء يوم فقال لي شيطاني: لتسكرن اليوم سكرة ما سكرت مثلها من قبل، فعزمت أن أسكر وعزمت أن أشرب الخمر وظللت طوال الليل أشرب وأشرب وأشرب فرأيتني تتقاذفني الأحلام حتى رأيت تلك الرؤية – هذا الكلام قصة توبة مالك بن دينار وقد حكاها ورأى هذه الرؤية حقيقةً – يقول: رأيتني يوم القيامة وقد أظلمت الشمس، وقد تحوّلت البحار إلى نار، وقد

زلزلت الأرض، واجتمع الناس إلى يوم القيامة، والناس أفواج وأفواج، وأنا بين الناس وأسمع المنادي ينادي فلان بن فلان هلم للعرض على الجبار، يقول: فأرى فلان هذا يتحوّل وجهه إلى سواد شديد من شدة الخوف، حتى سمعت المنادي ينادي مالك بن دينار هلم للعرض على الجبار. يقول: فاختفى البشر من حولي - هذا في الرؤية - وكأن لا أحد في أرض المحشر، ثم رأيت ثعباناً عظيماً شديداً قوياً يجري نحوي فاتحاً فمه، فجريت وأنا في شدة الخوف، فوجدت رجلاً عجوزاً ضعيفاً فقلت له: أنقذني من هذا الثعبان، فقال لي: يا بني أنا ضعيف لا أستطيع ولكن اجرِ في هذه الناحية لعلك تنجو، فجريت حيث أشار لي، والثعبان خلفي، ووجدت النار تلقاء وجهي فقلت: "أأهرب من الثعبان لأسقط في النار؟" فعدت مسرعاً أجري والثعبان يقترب، فعدت للرجل الضعيف وقلت له: بالله عليك أنجدني أنقذني، فبكى رأفة لحالي وقال: أنا ضعيف كما ترى لا أستطيع لك شيئاً ولكن اجرِ تجاه هذا الجبل لعلك تنجو، فجريت للجبل والثعبان سيخطفني فرأيت على الجبل أطفالاً صغاراً فسمعت الأطفال كلهم يصرخون: يا فاطمة أدركي أباك أدركي أباك، يقول: فعلمت أنها ابنتي، ويقول: ففرحت أن لي ابنة ماتت وعمرها ثلاث سنوات تنجدني من ذلك الموقف،

فأخذتني بيدها اليمنى ودفعت الثعبان بيدها اليسرى وأنا كالميت من شدّة الخوف ثم جلست في حجري كما كانت تجلس في الدنيا وقالت لي: يا أبت ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ...﴾ [الحديد: 16] - ألم يئن الأوان أيها المؤمنين أن تخشع قلوبكم لذكر الله - فقلت: يا بنيتي أخبريني عن هذا الثعبان؟ قالت: هذا عملك السيئ أنت كبّرته ونميته حتى كاد أن يأكلك، أما عرفت يا أبي أن الأعمال في الدنيا تعود مجسّمة يوم القيامة، قلت: وذلك الرجل الضعيف؟ قالت: ذلك عملك الصالح. أنت أضعفته وأوهنته حتى بكى لحالك لا يستطيع أن يفعل لحالك شيئاً. ولولا أنك أنجبتني ولولا أنني مت صغيرة ما كان هناك شيء ينفعك. يقول: فاستيقظت من نومي وأنا أصرخ: قد آن يا رب، قد آن يا رب، نعم ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ...﴾ يقول: واغتسلت وخرجت لصلاة الفجر أريد التوبة والعودة إلى الله.

يقول: دخلت المسجد فإذا بالإمام يقرأ بنفس الآية ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ...﴾. وتاب مالك ابن دينار واشتهر عنه أنه كان يقف كل يوم عند باب المسجد ينادي ويقول: أيها العبد العاصي عد إلى مولاك، أيها العبد الغافل عد إلى

مولاك، أيها العبد الهارب عد إلى مولاك.. مولاك يناديك بالليل والنهار يقول لك: "من تقرّب مني شبراً تقرَّبت إليه ذراعاً، ومن تقرّب إليّ ذراعاً تقرّبت إليه باعاً، ومن أتاني يمشي أتيته هرولة"[1].. أسألك تبارك وتعالى أن ترزقنا التوبة.

---

(1) وهذا كما ورد في الحديث الصحيح الذي أخرجه البخاري (7405)، ومسلم (2675) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

الباب الثالث

التوكُّل

سوف نتكلم الآن عن التوكل على الله، إنها عبادة قلبية محضة، لا تمارس إلا بالقلب.. وحصل للناس فهم خاطئ لهذه العبادة... فالذي يرتبط بأذهان الناس.. أن لا يتناول الدواء! أن لا يعمل! أن لا يدرس جيداً! ويقول: أنا متوكل أنا أدعو الله.. وهذا كلام خاطئ.

وقبل أن أبدأ الموضوع وأتحدث عن قيمة التوكل أقول بأن هذا الكلام خاطئ، لماذا! لأن التوكل عبادة بالقلب ولا علاقة لها بالجوارح.. ماذا يعني لا علاقة لها بالجوارح؟ يعني أنك بجوارحك - يديك، رجليك ولسانك.. كل جوارحك - تعمل وكأنه ليس هناك توكل، الجوارح تعمل بمنتهى القوة.. والقلب كأن ليس هناك جوارح.. القلب منقطع عن الأسباب متصل بالله وحده.. والجوارح تأخذ بالأسباب ليل نهار، فهو يعمل ويتناول الدواء ويدرس ويذهب للامتحان ويبحث عما قد ينفعه، ويحرص على مصلحته... وتسأل

الفتاة عن الخاطب الذي تقدم لها بمنتهى القوة. فلا يوجد شيء اسمه أنا متوكل على الله ولن أسأل عن الخاطب الذي تقدم فيبدو أنه متديّن وأنا متوكل على الله ولن يضيعني.. خطأ فأنت لم تفهم التوكل.

التوكل أن تأخذ بالأسباب بالجوارح وتقطع الأسباب عن القلب، والتوكل مشتق من اسم الله "الوكيل".. فمن أسماء الله الحسنى اسم الوكيل، ماذا يعني الوكيل! نريد أن نعيش مع الوكيل قليلاً حتى نعرف كيف نتوكّل.

الوكيل هو الذي يتولى بإحسانه شؤون عباده، يتولى بإحسانه شؤون عباده كلها، فلا يضيّعهم ولا يسلمهم للشر أبداً، ولكن يأخذ بأيديهم لما فيه مصلحتهم.. الوكيل.. من أسماء ربنا وهو المسؤول بأن تسير بطريق حياتك بطريقة صحيحة، ويأخذ بيدك إلى هذا ولا يسلمك للشر أبداً، ويهديك للخير، الوكيل هو الذي يأخذ بيدك لكل ما يصلحك وينفعك، لذلك تسمع دعاء النبي ﷺ وهو ينادي الله: "لبّيك وسعديك والخير في يديك والشر ليس إليك"[1]... الوكيل! الوكيل الذي لا يأتي منه الشر أبداً، ويأتي منه كل الخير... اسم الله تبارك وتعالى الوكيل.

---

(1) أخرجه مسلم (771)، وأبو داود (760)، وأحمد (805) عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

سأقول لكم أمراً غريباً جداً تفهمون منه الوكيل أكثر وأكثر.. يحدث أحياناً مشاكل في حياتنا.. واسم الله الوكيل والتوكل الذي نتحدث عنه اليوم يحتاجه مجتمعنا بأبعد ما يكون لكثرة المشاكل في المجتمع، من نقص في الرزق ومن أولاد يتعاطون المخدرات أو لا يطيعون آباءهم أو... أو... أو...

والشاب يرى الحياة أمام عينيه مظلمة بعد تخرجه، وغيرهم لا يستطيع الزواج، وغيرهم تعب في زواجه.. مشاكل ضخمة، لمن تحتاج؟ تحتاج للثقة في الوكيل.. محتاج أن تعرف الوكيل وتحب الوكيل وتلجأ إليه وتتوكل عليه...

للملك إخوتي فإن الله سبحانه وتعالى حين يسد على المرء طريقاً يفتح له ستة أو سبعة طرق أخرى غيره.. وأنت بجهلك تقول: يا رب لِمَ سددت علي هذا الطريق؟!ولكن أحياناً يسد الله عليك طريقاً ليفتح لك طرقاً عديدة.. حتى ترى أن الدنيا أظلمت في وقت من الأوقات، فاعرف أن الوكيل لن يتركك.. اعرف أن الوكيل سيفتح لك طرقاً أخرى ترضيك وتسعدك..

وأضرب لك مثلاً على هذا لطيفاً، وهذا المثل كلنا قد رآه ومرَّ به، تأمل هذه الفكرة.. الجنين في بطن أمه، يأتيه الغذاء من بطن الأم غذاء واحداً فقط عن طريق الدم، وهذا الغذاء يصل عبر الحبل السري

الموصول بسرة الجنين.. فإذا خرج إلى الحياة بكى.. لماذا؟لأنه فقد الطريق الذي تعوَّد عليه.. ولا يدري أن الله برحمته أرسل إليه طريقين للغذاء.. ثديي الأم.. وتحول الغذاء من دم.. إلى لبن – حليب – صافي شهي نافع..

فإذا جاء الفطام.. يبكي لأنه سيفقد الطريق الجديد الذي تعود عليه – ثديي الأم.. وعندها يفتح له الله أربع طرق للغذاء، طعامين وشرابين أما الطعامين فهما النبات ولحم الحيوان وأما الشرابين فالماء واللبن.. فبعد أن كان طريقاً واحداً أصبح طريقان اثنان ثم أربعة..

فإذا أدركته الوفاة بكى لماذا لأن هذه الطرق ستسد عليه، فإذا كان صالحاً يفتح الله له برحمته ثمانية طرق، أبواب الجنة الثمانية..أرأيت الوكيل؟! لا يسلمه إلى الشر أبداً ويأخذ بيده.. ولكن الإنسان بجهله .. يتساءل: لماذا يا رب فعلت بي هذا؟ لماذا قطعت علي الطريق الذي أحببته وتعوَّدت عليه؟ لماذا منعت عني الرزق؟ ويكون الوكيل يجهز له ما هو أنفع.. وأنت بجهلك بمصالح نفسك تظن أن الله يمنع عنك الخير..

فما منعك إلا ليعطيسك تفكسر في هذا المعنى، فما منعك الوكيل إلا ليعافيسك، وما ابتسلاك إلا ليعافيسك ولا امتحنك إلا ليصفيك، ولا أخرجسك من الدنيا إلا ليجتبيك في الجنة.. فسبحان الله، هل نعرف الله هكذا أم لا! هذا هو الوكيل.

فلماذا لا نتوكل على الله.. انظروا إلى حجم ملكه حتى تعرفوا أتتوكلون عليه أم لا؟ ولنعش في الآيات، وانظروا إلى ملك الله عز وجل وسيطرة الله عز وجل على مقاليد الأمور في الكون كله.. حتى تعرفوا.. نتوكل عليه أم لا ؟!

يقول الله تبارك وتعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلۡمُلۡكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُۖ بِيَدِكَ ٱلۡخَيۡرُۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ [آل عمران: 26] أريدكم أن تسمعوا هذا الكلام بقلوبكم وليس بآذانكم، فهل بعد هذا الكلام نلجأ إلى الناس؟، فهل يتعلق الفقير بالفقير؟، وهل يسأل الفقيرُ الفقيرَ، أم يلجأ الفقير إلى من بيده الأمر؟!!.. كيف نلجأ إلى الناس ونقول لن ينجينا إلا فلان ؟!.. أين اليقين في الله؟!.. أين قلبك المتوكل على الله وحده.. أين الوكيل في حياتك ؟!..

يقول الله تبارك وتعالى: ﴿قُلۡ مَن يَكۡلَؤُكُم بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ

﴿مِنَ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ [الأنبياء: 42] فمن يحفظكم بالليل والنهار غير الله؟ فأنت تكون عاصياً طوال النهار ويحفظك طوال الليل حتى الصباح... أنسيتم يا إخوتي من الذي يحفظك على فراشك؟.. أبوك وأمك، أم مفتاح الغرفة!.. أم الله تبارك وتعالى.. الوكيل؟!

يقول الله تبارك وتعالى: ﴿قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ...﴾ [المؤمنون: 88] من الذي بيده ملكوت كل شيء، من بيده رزقك، من بيده نفعك؟!

يقول النبي ﷺ: "إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً نطفة، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يرسل إليه الملك فينفخ فيه الروح ويؤمر بأربع كلمات – بما سيؤمر؟ – بكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أم سعيد"[1] من بيده أمرك كله؟! لمن تلجأ.. لمن يجري قلبك؟.. أيجري على الناس وعلى الدنيا.. أتتوكل أم لا؟..

تأمل قول الله تبارك وتعالى: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [البقرة: 142].. أخائف من الضياع.. لمن تلجأ؟! لمن تقول: أعطني؟!.. لمن تقول: أنا خائف من

---

(1) أخرجه البخاري (3208)، ومسلم (2643) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

العودة إلى الضلال ثانية... خائف أن أعود للمعاصي ثانية! – خائفة من خلع الحجاب.. خائف من عدم الصلاة في المسجد... لمن تلجأ؟.. تلجأ للوكيل.. ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾.

﴿قُل لِّمَن مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُل لِّلَّهِ﴾ [الأنعام: 12] أتشعر بما عند الله... من الذي يملك السماوات والأرض.. من؟ الله.. الله وحده.. الوكيل.

يقول الله: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ...﴾ تفكروا معي... ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَٰرَكُمْ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم مَّنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِ...﴾ [الأنعام: 46] من؟.. لو أخذ منك كل ما أعطاك من النعم... من يعيدها إليك.. غير الوكيل.. أتتوكل عليه أم لا؟ تلجأ إليه أم لا؟ تسلم له أم لا؟ يقول الله تبارك وتعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾ [الأنعام: 65].. من القادر على أن يصيبكم بالمصائب؟ ومن الذي يكشف عنكم هذه المصائب؟!

يقول الله تبارك وتعالى: ﴿قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم...﴾ الذين يلوذون بهم ويلجأون إليهم.. ادركني يا فلان.. ويا علان.. مرتبط بأهل الدنيا.. ﴿قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَبْدَؤُا ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ قُلِ

ٱللَّهُ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾ [يونس: 34].

يقول الله تبارك وتعالى: ﴿قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ...﴾ [الأنعام: 63] إن هذه الأسئلة تطرح علينا وتوجه إلينا.. من بيده الأمر؟ من الذي يأخذ بأيديكم؟ لمن تلجؤون؟ بمن يتعلق قلبك؟ عبادة قلبية ليس لها علاقة بالجوارح.. تأخذ بالأسباب، فتدرس حتى تنجح، وتبحث عن عمل ليل نهار.. لكن قلبك يوقن بأن ليس فلان الذي سيجد لي عملاً أبداً.. فالله هو الذي سيرزقني، وهو الذي سيزوجني، وهو الذي سيسعدني، فهو بيده الأمر كله.. وأنا ملكه.. أنا ملكه.. الوكيل...

معنى التوكل

تساءل العلماء عن معنى كلمة التوكل، سأقول كلمات العلماء فتفكروا بها.

العلماء مثلاً في معنى التوكل على الله.. التوكل هو انطراح القلب بين يدي الله كانطراح الميت بين يدي مغسِّله.. انظر لهذا المثل العجيب.. أتدري ماذا يفعل المغسِّل بالميت.. يقلبه كيف يشاء.. يكون قلبك مع الله وكأنك تقول: يا رب افعل بي ما تشاء، أنا سلمت كياني لك يا الله، وراضٍ بما ستفعله بي، ما تفعله أنا راضٍ

به.. فأنا متوكل عليك، لأني موقن بأنك لن تسلمني للشر أبداً، فأنا متوكل عليك...

ومن تفسيرات التوكل أنـه هو الاسترسال مع الله حيث يشاء، فحيث يضعك الله توضع، فما يقدره الله لك تكون راضياً به ومسروراً.. فما يأتي من عندك يا رب أنا سعيد به، فحاشاك يا ربي أن تسلمني للشر أبداً... هل تعرفون التوكل هكذا؟.. هل تشعرون بأنكم متوكلون على الله عز وجل.. هذه نعمة، نعمة اسمها التوكل على الله عز وجل.

ومن معاني التوكل أن تأخذ بالأسباب، بالجوارح، ثم تقطع الأسباب عن القلب... وقد تكلمنا عليها سابقاً.. يديك ورجليك تأخـذ بالأسـباب .. أما قلبك فمنقطع عن الأسباب.. فأنا أذهب لفلان حتى يؤمن لي عملاً لكن حين تدخل إليه تطلب من الله.. لكن لا تتبجح أمامه فتقول: انظر: أنت لن يكون لك أي يد في عملي.. قولك هذا خطأ كبير، فمن جميل الأخلاق أن تبقى مؤدباً... لماذا؟ لأن هذا من الأخذ بالأسباب... تعامل الناس بأدب وتأخذ بالأسباب وقلبك منقطع عن الأسباب... وهذا معنى التوكل... فقلبك من الداخل موقن بأن لا أحد سيوفقك إلا الله، ولهذا قد صليت ركعتي حاجة قبل مجيئي متعلق بالله وحده لا في الرجل الذي

سيحضر لي العمل، ولا في رجل سيجد لي عروساً، فأنت يا رب من سيزوجني ويسعدني، وأنت ستسعد أولادي فليس فلان من الناس حين أوصيه على أولادي هو من سيأخذ بيدهم أبداً، ولا المدرس الفلاني بل أنت وحدك يا الله.. أنت الناصر وأنت النافع.. أنت الذي بيدك الخير لبيك وسعديك والخير كله بين يديك والشر ليس إليك.

ولهذا يقول العلماء كلمة ذكية وجميلة للغاية، فماذا يقولون؟ يقولون: ينقطع أمل الناس إذا انقطعت الأسباب.. أليس كذلك؟. ماذا يحصل لأمل الناس حين يستقيل فلان الذي كان سيوظفك في هذه الوظيفة؟ ماذا يحصل؟ ينقطع أملك، ينقطع أمل الناس إذا انقطعت الأسباب، ويزيد أمل المؤمن كلما انقطعت الأسباب، لماذا؟ لأنه لم يعد ما يشغل قلبي إلا أنت يا رب، فيا رب أعني.

الناس حين تقطع الأسباب يبكون، المؤمن حين تقطع الأسباب يقول: الحمد لله فالمشكلة ستحل لأنني بهذا قد توكلت على الوكيل،..

ولهذا قيل في معنى التوكل أيضاً: التوكل أن ترضى بالله وكيلاً... أترضون بالله وكيلاً؟.. فإذا خرجت من هنا وحصلت لك

مشكلة ستجري إلى الناس، أجل! تجري إلى الناس لكن بالجوارح، أما أن تجري إلى الناس بقلبك فهذا خطأ... هذا هو التوكل.. أن ترضى بالله وكيلاً.. وكّلتك يا رب...

مثل نعرف من خلاله معنى التوكل:

هل ذهب أحدكم للشهر العقاري من قبل وعقد توكيلاً عاماً ؟.. توكيل عام للوكيل يتصرف.. بأموالك كيف يشاء أليس هذا هو التوكيل العام وكلت فلان الفلاني ليتصرف بأموالي كيف يشاء ،وهذا الأمر يحصل كثيراً.. ويسألك موظف الشهر العقاري.. أتوقع؟ فتقول: أوقع.. طبعاً فعندي الثقة به.. وكّلته.. وقد وقعت بأني وكّلت فلاناً... فهل توقع عقد الوكالة مع الله... بالله عليك، أتوكله وأنت لا تثق به.. فهو اسمه الوكيل وأنت لا تصدق ولا تريد أن توكل له حياتك... أرأيتم سخف العقل فأنت توكّل الناس وتوقع عقد الوكالة وتقول: وكّلت فلاناً وأنت مطمئن، أفلا تريدون توكيل الله؟!.. اسم الله الوكيل ولا يجد في الأرض من يوكله.. سبحان الله...

فلو أوكلت ووقعت العقد أيضيعك؟.. أيعقل هذا؟ أيعقل أن يضيع الوكيل من توكل عليه؟ أبداً لا يمكن

ولهذا يقول العلماء: من أكل فلساً من حرام فليس بمتوكل على الله، لماذا؟ لأنه لا يثق بأن الله سيرزقه فسرق... ومن بكى على أولاده وهو يموت لمن يتركهم فليس بمتوكل.. صحيح هذا أم لا؟ الذي حين يحضره الموت يبكي على عياله.. ليس للفراق.. فأنت قد تبكي للفراق ولا يكون هذا خطأ.. لكن يبكي خوف أن يضيع أولاده بعد موته.. فلو بكيت لهذا فلست بمتوكل، لماذا؟ لمن ستتركهم؟ ستتركهم للوكيل.. ألم توكّل الله أم ماذا؟ ألم تكن تعلم أن من أسمائه الحسنى الوكيل أم ماذا؟

فلذلك عبد الله بن مسعود – الصحابي الجليل – حين حضره الموت في عهد سيدنا عثمان بن عفّان الذي ذهب لزيارته، فقال: يا ابن مسعود نأمر لك بمال، قال: ولِمَ؟ قال: يا ابن مسعود عندك ثلاث بنات! قال: أتخشى على بناتي الفقر؟ قال: نعم يا ابن مسعود أخاف أن تعيش بناتك الفقر، قال: لا والله، لقد علّمت بناتي أن يقرأن كل ليلة سورة الواقعة إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: "من قرأ الواقعة كل ليلة لم تصبه فاقة أبداً"[1] – فاقة أي فقر – فمن يقرأ

(1) أخرجه أحمد في فضائل الصحابة (1247)، والبيهقي في الشعب (2497، 2500)، وهذا الحديث ضعيف، انظر: العلل المتناهية لابن الجوزي (112/1)، وكشف الخفاء للعجلوني (556/1)، والسلسلة الضعيفة للألباني (289)، وضعيف الجامع (5773).

سورة الواقعة كل يوم لا يصيبه فقر.. أرأيتم توكّل ابن مسعود.. لماذا المال فهن يقرأن الواقعة كل ليلة كيف سيأتيهن الفقر.. لن يصيبهن الفقر.. ولست بحاجة لمالك يا عثمان.. لا تعطني مالاً من جيبك... فالبنات سيعشن بخير والحمد لله... من يملك هذه الثقة بالله؟.. من يملك هذا التوكل على الله؟..من يسلم نفسه وأولاده لله عز وجل .؟.

انظروا ماذا يصنع الناس على أبواب الأطباء؟..بعضهم يقف على باب الطبيب أربعاً وعشرين ساعة.. يحمل طفله الرضيع – مثلاً – عند طبيب الأطفال، وهذا الطبيب مشهور ويقطع بعض الناس مئات الكيلومترات ليقف على باب الطبيب حتى يعالج ابنه.. لماذا؟..لأنه يثق في الطبيب، واثق بأن الطبيب مجتهد وسيأخذ بيد ابنك، وتقف أربعاً وعشرين ساعة على باب الطبيب، أمر صحيح بالجوارح، لكن ليس الأمر كذلك بالقلب، فليس الطبيب الذي سيشفي ابنك، بل الله سيشفيه، لكن ينبغي أن تذهب للطبيب... وأنا سردت هذه القصة لهدف آخر، نحن نقف على باب الطبيب ليوم كامل وقوفاً، وبالقرب منه طبيب آخر لا يوجد عنده أحداً.. فأنا لا أثق إلا بهذا الطبيب ولا أسلم ابني إلا لهذا الطبيب، أين الثقة في الله؟.. وهل نعطي لغيره ما لا نعطيه له؟ صحيح أم كيف تعطي لغيره من البشر ما لا تعطيه له هو وهو الوكيل!

الناس وقفت على باب الطبيب لأنهم واثقون به، فأين الواقفون على باب الله عز وجل؟ من الذي سيحل مشاكلك.. حزنك من سيحل... الزواج، العمل، المال، الأطفال، المرض... من؟.. سلّم قلبك للوكيل ووقّع عقد الوكالة وقل: حسبي الله ونعم الوكيل، وامضِ إليه، وتوكّل عليه، وخذ بالأسباب بجوارحك، وانظر ما سيفعله معك الوكيل، هل سيتركك أم سيأخذ بيدك؟!

ولهذا فإن محبة الله للمتقين عجيبة، يقول الله تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا﴾ [الطلاق: 2] فالذي يتقي الله يجعل له مخرجاً..

ويقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرۡ عَنۡهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ...﴾ [الطلاق: 5] ﴿وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓ...﴾ [الطلاق: 3] فالله هو المسؤول عنك عندها، لن يجعل لك مخرجاً، بل هو المسؤول عنك، ﴿وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓ...﴾ ولهذا لا ينفع أن تنام من غير توكّل، كما لا يمكن أن تكون مؤمناً وأنت غير متوكّل على الله... ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوۡمِ إِن كُنتُمۡ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيۡهِ تَوَكَّلُوٓاْ...﴾ [يونس: 84].

وقد أخبرنا النبي ﷺ وعلمنا كما في الحديث: "يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفاً من غير حساب ولا عذاب..." تخيّل... سبعون ألفاً لا يرون النار ولا يحاسبون، وهل تعلم ماذا يعني أن تحاسب؟ هل.

تعرف ما خطورة الحساب؟ هل تعرف ما معنى أن تقف أمام الله وأنت تقرأ ذنوبك ذنب ذنب.. كم هذا موجع وكم هذا قاس.. فهناك سبعين ألفاً سيدخلون الجنة بغير حساب، فبدأ الصحابة يفكرون.. من هم؟ صفهم لنا يا رسول الله؟ فقال عليه الصلاة والسلام: "هم الذين لا يكتوون ولا يسترقون ولا يتطيرون"، - لا يعرفون التشاؤم لأن التشاؤم عكس التوكُّل، لا أتطير من فلان الفلاني، ولا من القطة السوداء، ولا من الرقم ثلاثة عشر.. فليس في الإسلام أمر اسمه تشاؤم - ".. لا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون.." [1].

بعض من يسمع هذا الكلام يقول إن الأمر سهل فلن أتشاءم وسأتوكل عليك يا رب.. فهل أكون بهذا من السبعين ألفاً؟... لا.. أرأيت التوكُّل بالمعنى الذي تكلمنا عنه، فلو حققت التوكُّل بالمعنى الذي تكلمنا عنه تكن من السبعين ألفاً... لكن تنبه، فالصحابة قالوا بأن السبعين ألفاً قليل جداً، فقال النبي ﷺ في رواية أخرى صحيحة "مع كل ألف سبعون ألفاً، وثلاث حثيات من حثيات ربي عز وجل"[2]...

---

(1) أخرجه البخاري (6541)، ومسلم (220) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(2) أخرجه الترمذي (2437)، وابن ماجه (4286)، وأحمد (21800) عن أبي أمامة رضي الله عنه، وانظر: العلل المتناهية (1536/2).

وتكملة الرواية الأولى: "وعلى ربهم يتوكلون"، فقام أحد الصحابة فقال: يا رسول الله ادعُ الله أن أكون منهم – وهو عكاشة ابن محصن – فقال له النبي ﷺ: "أنت منهم"، فقام آخر من الصحابة فقال: يا رسول الله ادعُ الله أن أكون منهم، فقال ﷺ: "سبقك بها عكاشة" فالشاهد في هذا الحديث أن سيدنا عكاشة كان متوكلاً..

فهل تعرف كيف تتوكّل على الله؟ فهل تعرف كيف تعيش وقلبك مع الله عز وجل.. يقول النبي ﷺ: "لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله" لو أنكم تتوكلون بشكل صحيح: حق توكله وماذا يعني حق توكله، أي تعمل بجوارحك وقلبك معلق بالله – "لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصاً وتروح بطاناً"[1] تصحو صباحاً ليس عندها أكل وحين تعود ليلاً يكون بطنها مشبع.. ".. تغدو خماصاً وتروح بطاناً..".

فلنسمع القرآن حين يتكلم عن التوكل.. سوف تجد شيئاً عجيباً جداً، فلا تجد آية في القرآن تتحدث عن التوكّل إلا وقبلها صفات الله عز وجل، لماذا؟ حتى يقول لك انظر على من تتوكل أنت... فكل كلمة توكّل تأتي في القرآن يكون قبلها تعظيم لله عز

---

(1) أخرجه الترمذي (2344)، وابن ماجه (4164)، وأحمد (205) عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

وجل.. حتى يعلمك أن لك أن تتوكّل فهو الملك الجبار المهيمن العظيم، مالك الملك.

يقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ...﴾ [الفرقان: 58] انظر، كلما يأتي التوكل يكون معه تعظيم لله عز وجل.. ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ﴾ أيها المسكين هل تتوكل على الأموات ولا تتوكل على الحي الذي لا يموت، فأنت تتوكل على أناس كلهم أموات، ولا تتوكل على الحي الذي لا يموت.. انظر معنى القرآن ﴿... وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ...﴾ إخوتي.. مشاكلكم.. قلوبكم.. تعلمكم.. اكتئابكم.. لجوؤكم.. لمن غير الله عز وجل.. فتلحقون البشر.. أدركني يا فلان أنا مفجوع.. أدركني يا فلان أنا خائف.. أنا عندي مشكلة!.. أدركني يا الله.. أغثني يا ملك الملوك.. أغثني يا حي، وللملك كان النبي ﷺ إذا اشتد به أمر وأفزعه أمر يكثر من هذا الدعاء: "يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث.."[1] توكّل..!

يقول الله تبارك وتعالى: ﴿فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [التوبة: 129] لماذا؟ لأنه رب العرش العظيم، فهل تتوكل عليه أم لا؟

---

(1) أخرجه الترمذي (3524)، والنسائي في الكبرى ( ).

يقول الله تبارك وتعالى: ﴿رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا﴾ [المزمل: 9] لماذا تتخذه وكيلاً؟ لأنه رب المشرق والمغرب، وهو من بيده كل شيء.

يقول الله تبارك وتعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا...﴾ [الملك: 29] لماذا؟ لأنه هو الرحمن ولا يمكن أن يسلمنا لشر أبداً، لأن الرحمن سيأخذ بأيدينا للخير دائماً، ولهذا سمى نفسه الرحمن، ولأن الرحمن يرحم عباده ولهذا نتوكل على الرحمن.. ﴿قُلْ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا...﴾.

يقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿217﴾ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿218﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ﴾ [الشعراء: 217-219].. وتوكل على من؟!.. على العزيز الرحيم.. هو من تتوكل عليه فهو الذي يعين.. أرأيتم معاني القرآن يا إخوتي؟

فلنتعلم من النبي ﷺ التوكُّل.. اسمع النبي ﷺ هو يعلم غلاماً عمره عشر سنوات أو اثنتا عشرة سنة.. يعلمه التوكُّل وهو في هذا السن وعندنا من بلغ عمره الستين أو السبعين سنة وهم لا يعرفون التوكُّل.. وقد تكون المعاني التي تقال اليوم هناك من يسمعها لأول مرة.. والنبي ﷺ كان يعلم التوكُّل لسن عشرة سنين.

يقول عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: كنت غلاماً، فقال

لي النبي ﷺ: "يا غلام إني أعلمك كلمات.." انظر كيف يغرسها في غلام عمره عشر سنين.. "يا غلام إني أعلمك كلمات، احفظ الله يحفظك.." انظروا التوكُّل.. احفظ الله داخل قلبك يحفظك طوال حياتك وفي الجنة والآخرة.. ".. احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك.." إخوتي قد تكونون حافظين لهذا الحديث لكن ينبغي أن يكون راسخاً داخل قلوبكم.. "... احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك.." أرأيت اليقين.. أرأيت التوكل! فلو اتفقت البلد كلها على أن يعطوك عشرة جنيهات لن يستطيعوا إلا لو كان الله قد كتبها لك، "... واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف"[1].. رفعت الأقلام فلن يكتب أي أمر جديد، وجفت الصحف فلن يمسح شيء مما كتب.. من يملك هذا اليقين، من حياته هكذا.. ما الذي سيحصل لي؟

فمن يقدر علي وأنا موصول بالله طالما أنني لم أخطئ.. وإذا أصابني شيء.. فلقد كان مكتوباً، وكان لا بد أن يحصل، وكنت

---

(1) أخرجه الترمذي (2516)، وأحمد (2664) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

سأموت في هذه اللحظة، فليس لو لم يحصل كذا لكان حصل كذا.. "احفظ الله يحفظك.." احفظوا هذا الحديث، اكتبوه فوق سرركم، املؤوا به قلوبكم، "احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو قد اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وأن الأمة لو اجتمعت على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك رفعت الأقلام جفست الصحف..".

ولهذا انظر إلى دعاء الاستخارة فهو قمة التوكُّل على الله عز وجل، ولهذا يعلمنا النبي ﷺ أن نستخير في كل أمور حياتنا.. أعمل في هذه الشركة أم تلك؟ أتزوج فلانة أو تلك؟.. أسافر أم لا؟..أفعل هذا الأمر أم لا؟..أشتري هذه السلعة أم لا؟.. انظر إلى دعاء الاستخارة وانظر إلى التوكُّل الذي فيه.. "اللهم إني أستخيرك بعلمك وأستقدرك بقدرتك وأسألك من فضلك العظيم فإنك تقدر ولا أقدر، وتعلم ولا أعلم وأنت علام الغيوب، اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر – يسمي حاجته – خير لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري فاقدره لي ويسره لي ثم بارك لي فيه، وإن كنت تعلم أن هذا الأمر شر لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري فاصرفه عني واصرفني عنه..

واقدر لي الخير حيث كان ثم أرضني به"[1].. قمة التوكُّل على الله في دعاء الاستخارة، وجماله أنك تسقط اختيارك لاختيار الله عز وجل، تقول: يا رب ليس لي اختيار في حياتي، فاختر لي أنت يا مالك الملك، فتخيَّل، يوجد بعض الناس من ضعف التوكُّل عنده يصلي الاستخارة وهو يعلم ما سيفعل.. الاستخارة ينبغي أن تكون حين تصليها مسقط لاختيارك إلى اختيار الله عز وجل.. أما ثواب من يصلي الاستخارة.. فلا يمكن أن يحصل له إلا الخير..

ستصلي الاستخارة أتزوج فلانة أم لا؟ امض في الإجراءات لأنه من الأخذ بالأسباب ، فلا يعني أني حين أصلي الاستخارة منتظر ليحصل أمر ما... خذ بالأسباب وتقدم بالخطبة.. وأرسل أوراق العمل.. اسألي عن الخاطب.. اسأل عن العمل.. ثم ماذا؟، فإن تيسَّر الموضوع فيكون ذلك من فضل الله.. نتيجة الاستخارة أن تيسَّر الأمر، وإن توقف الموضوع فتكون هذه نتيجة الاستخارة لأن الاستخارة لا تأتي إلا بخير... لذلك حاول أن تسقط اختيارك في الاستخارة.. فليس لي أي اختيار يا رب.. اختر لي أنت ما تشاء.

كل أدعية النبي ﷺ من أذكار اليوم والليلة تركز على معنى التوكُّل.. فحين تخرج من البيت تقول: "بسم الله توكلت على الله،

---

(1) أخرجه البخاري (1166)، وأحمد (14297) عن جابر رضي الله عنه.

لا حول ولا قوة إلا بالله"[1] توكلت عليك، لماذا وأنت خارج من البيت؟ لأنك بهذه اللحظة تبدأ بمواجهة الحياة.. يا رب اختر لي وافعل لي ما تريد فأنا توكلت عليك ووضعت قلبي بين يديك.. انظر التوكل.

دخلت للنوم ستفقد روحك تتوكل وتضع رأسك على الوسادة وأنت متوضئ على شقك الأيمن وتقول: "باسمك ربي وضعت جنبي وبك أرفعه.." انظر إلى التوكُّل، فأنا وضعت جنبي بإذنك ولن أرفعه إلا بإذنك.. "باسمك ربي وضعت جنبي وبك أرفعه فإن أمسكت نفسي فارحمها وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين"[2].

وهذا يعلمنا النبي ﷺ ويمنعنا من القول توكلت على الله وفلان ولكن إذا كان لا بد فنقول: "توكلت على الله ثم فلان.." يقول بعض الناس: إن اعتمادي على الله وعليك، فهذا خطأ.. الصواب يا فلان إن اعتمادي على الله ثم عليك، ينبغي أن تضع ثم لتفصل بها اعتمادك وتوكلك وثقتك على الله عن اعتمادك وتوكلك على الناس

---

(1) أخرجه أحمد (473) عن عثمان رضي الله عنه، وأبو داود (5095)، والترمذي (3426) عن أنس رضي الله عنه.

(2) أخرجه البخاري (6320)، ومسلم (2714) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

لأن الأول ليس كالثاني فالأول هو الله عز وجل.

فلنلقِ همومنا كلها لله، فلنفوّض الأمر لله ونوقّع عقد الوكالة، كالابن الضعيف.. الابن الطفل الصغير حين يرتكب خطأ ويعلم بأنه سيتأذى ويشعر أن الجيران أو أحد سيؤذيه يركض نحو أباه ويقول له: افعل لي أي أمر، أدركني.. سلّم نفسك وقلبك لله كتسليم الطفل الضعيف نفسه لأبويه وهو يثق بأن أباه لن يسلمه إلا للخير، فهل يوجد أحد يمكن لأبيه أن يضيعه بإرادته، فما بالكم بعلام الغيوب الخبير الحكيم، وهل يضيعك الله تبارك وتعالى، وكّله في كل الأمور..

يقول أحد التابعين: "يئست من نفع نفسي لنفسي فكيف لا أيأس من نفع غيري لنفسي.." صحيح هذا أم لا؟

إذا كنت عاجزاً عن نفع نفسي فهل يكون غيري قادراً على نفعي. "... ورجوت الله لغيري، فكيف لا أرجو الله لنفسي.." فأنا أقول: يا رب الطف بفلان في مشكلته حين أكون قلقاً عليه، فالأولى أن أدعو الله لنفسي..

هذا من علامات التوكُّل أن تريح نفسك من الهم بعد التخطيط، إذا كنت تخطط لمستقبلك فليس هذا مضاداً للتوكل فالتخطيط قمة التوكُّل، فالنبي ﷺ كان يخطط، وسيدنا يوسف عليه السلام وضع خطة لخمس عشرة سنة كيف تخرج مصر من الكبوة

الاقتصادية التي كانت تعانيها. ها هو يخطط أمراً لا يتعارض مع التوكُّل.. لكن الذي يتعارض هو أن تبقى بعد التخطيط مهموماً.. يقول ابن عطاء كلمة جميلة: "أرح نفسك من الهم بعد التدبير".. أرح نفسك من الهم بعد التخطيط.. ".. فما تكفَّل الله لك به لا تشغل به نفسك.." أليس هذا صحيحاً؟ لماذا تشغل نفسك بما قد تكفَّل الله به... لقد تكفل بأنه سيصلح حالك لكن توكَّل عليه.. أرنا توكلك وانظر ماذا سيفعل معك الله...

نريد أن نتوكل على الله في الرزق، يقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿22﴾ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ﴾ [الذاريات: 22-23] والله إن الله أحياناً يرسل رزق السنة في شهر، ويرسل رزق الشهر في يوم، ورزق اليوم في نصف ساعة... وأنت طوال السنة تشغل قلبك بما تكفل به الله وسيأتيك آخراً، فلتشغل نفسك بما أنت بحاجة إليه – العبادة – فهو قد تكفل لك بالرزق وأمرك بالعبادة، فتشغل نفسك بما تكفل به وتترك ما أمرك به...

أحياناً – والتجار يعلمون هذا الأمر – يبقى طوال السنة لا يعمل، فيرسل الله له صفقة بيع في نصف ساعة، وقد بقي سنة كاملة يطلب الرزق... ويكون في المحل من الصباح إلى المساء وحين أراد أن

يترك محله ليلاً فيرسل الله له الرزق... فأحياناً يرسل الله رزق السنة في ساعة، ينبغي أن يكون عندكم يقين في هذا الكلام.

"نفث سيدنا جبريل في روع النبي ﷺ أن نفساً لن تموت حتى تستكمل رزقها وأجلها"[1] ما الذي تخافون عليه.. خائفين على أرزاقكم.. لماذا تخاف على رزقك.. الله متكفل.. فكل واحد منكم مكتوب له رزقه لماذا يخاف عليه ويقلق عليه، فلتعبد الله ولتعمل من غير أن تكون مهموماً.. من غير أن تحمل هموم الدنيا فوق رأسك.. ".. إن نفساً لن تموت حتى تستكمل رزقها وأجلها.." حتى أجلك لا تخف أن تموت قبل أن تستكمل جميع أجلك، فإنك ستموت في اليوم الذي كتب الله لك أن تموت فيه، فلا يمكن أن تموت ناقصاً لشيء من عمرك - كما نقول نحن - ينبغي أن تدرك هذا الكلام.

هناك قصة شهيرة وجميلة جداً أن المعتصم خليفة المسلمين كان يقف عنده رئيس الشرطة وكان يوجد شخص من الناس في السجن فقالوا: أتذكر يا أمير المؤمنين فلان... فقال: نعم، أعطوني ورقة، وكتب فيها لرئيس الشرطة: يصلب - أي الذي في السجن - فأخذ رئيس الشرطة الورقة وأخذ الرجل وأطلق سراحه، فغضب المعتصم،

---

(1) أخرجه الدارقطني في العلل (875)، والقضاعي في مسند الشهاب (1151) عن ابن مسعود رضي الله عنه، وانظر: كشف الخفاء (155/1، 268).

قال: قلت: يصلب، قال: لا يا أمير المؤمنين كتبت يطلق، فنظر إليها فإذا هي يطلق، فقال: أعطني ورقة وكتب بل يصلب.. فأخذ رئيس الشرطة الورقة وذهب إلى السجن وأطلق الرجل، فغضب المعتصم غضباً أشد من الأول فقال: كيف فعلت؟ فقال: يا أمير المؤمنين كتبت يطلق، فاشتد غضبه أكثر وقال: اكتبوا والله ليصلبن، فذهب رئيس الشرطة وأطلق الرجل للمرة الثالثة، فغضب المعتصم أكثر فقال: انظر يا أمير المؤمنين مكتوب والله ليطلقن، فقال المعتصم: نعم، نعم يطلق.. فمن أراد الله إطلاقه لا يقدر المعتصم أن يصلبه.. الوكيل هو القادر فأنت ملكه وسبحان الله مِمَّ تخاف؟.. أنت ملك الله عز وجل في كل حياتك.

كثير من الناس يعانون في زواجهم من بعض الأزواج المتسلطين، فتجد هذه الآية – سبحان الله – وكأنها للنساء في سورة الطلاق، ولماذا في سورة الطلاق ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ...﴾ [الطلاق: 3] السورة كلها تتكلم عن الطلاق وهذه الآية في الوسط.. فيا من تعانين من زوجك توكلي على الله، دعي حملك لله.. يا أيها الزوج الذي تعاني من زوجتك.. دع حملك لله ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ...﴾.

الجأ إلى الله في كل كرباتك ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ...﴾

[النمل: 62] من الذي يجيب المضطر غير الله عز وجل..

﴿قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ تَدْعُونَهُۥ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَىٰنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿63﴾ قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ...﴾ [الأنعام: 63-64] أيها الناس يا من عندكم كربات فلتلجأوا إلى الوكيل.. وقّع عقد التوكيل وقل: وكّلتك يا رب، قلها بقلبك وليس بلسانك، قلها بصدق ودع حملك لله، وانظر الراحة التي ستكون فيها، وانظر كيف ستكون المشاكل حولك وأنت مرتاح.. لأن معك الوكيل.. فأنا متوكّل على من سمى نفسه الوكيل.. المتكفل بشؤون عباده سبحانه وتعالى مالك السماوات والأرض.

أعظم التوكل على الله

يظن الناس وللأسف أن أعظم التوكُّل أن تتوكل على الله في رزقك أو في عيالك أو في الدنيا.. أبداً.. أعظم التوكُّل أن تتوكل على الله في الدعوة إلى الله... مساكين من لا يعرفون حلاوة الدعوة إلى الله فيعرفون قيمة التوكُّل، أجمل توكُّل على الله توكُّل الدعاة إلى الله.. لماذا؟.. لأنهم يشعرون وهم متوكلون بحب شديد لله عز وجل.. فالذي يتوكل على الله في الرزق فقط أو في الزوجة فقط، أو في مشاكل الدنيا، هذا أمر جيد، لكنه لم يعرف التوكُّل الحقيقي..

حاول أن تدعو إلى الله وانظر إلى حلاوة التوكُّل.. انظر لحلاوة توكل من يدعو إلى الله.

سيدنا إبراهيم عليه السلام ماذا فعل؟ كسَّر الأصنام.. ما الذي سيحصل؟ فلننظر على عظمة توكله على الله تعالى، ولننظر كيف واجه أمة لوحده، كسر بيده طواغيت ذلك العصر، فنقمت البلدة كلها عليه واضطهدوه واجتمعوا على أن يحرقونه بالنار، ماذا يعني هذا؟ هل يسلمه الوكيل إلى هؤلاء الكفرة؟ لا، لا، فمن كان مع الله كان الله معه، لننظر كيف أرادوا الانتقام قاموا أولاً وحفروا له حفرة ﴿قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا...﴾ [الصافات: 97] فالمساحة التي شغلتها النار تأخذ من خمسة إلى ستة طوابق، بنيان ضخم كله نار، ظلُّوا يوقدون فيه أسابيع لأنهم أرادوا أن ينتقموا منه انتقاماً شديداً.. ﴿قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ﴾ والبلد كلها خرجت تشيِّع إبراهيم للإلقاء في النار.. وتروي الروايات أن أي شيء حيث كان يقترب من النار التي أشعلوها يأخذه اللهيب.. حتى تساءلوا من سيأخذ به ويرميه؟- وهم بالتأكيد أوقدوا النار خارج العمران من كثرة لهيبها - فأوقدوها لكن من سيقترب من النار لإلقائه فقد يحرق معه، فأحضروا المنجنيق ليقذفوه بواسطته داخل النار.. تخيَّلوا هذا العذاب وهذا الموت.. ماذا فعل سيدنا إبراهيم عندها؟..

هل كان خائفاً ويرتعش؟!..لكن انظر إلى سيدنا إبراهيم في هذه اللحظة الحرجة وهو على المنجنيق يرفع يديه إلى رب البريات قائلاً: حسبي الله ونعم الوكيل كيف يمكن أن تصل لهذه الدرجة؟،لا يمكن أن يضيعني ولن أموت قبل أجلي... أرأيت توكُّل إبراهيم عليه السلام.. وظل يردد حسبي الله ونعم الوكيل، حسبي الله ونعم الوكيل.. حسبي الله ونعم الوكيل، فما رؤي يقول غيرها، فلما ألقي في النار جاء الأمر من الله ﴿قُلْنَا يَـٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَـٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ۝٦٩ وَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَـٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ﴾ [الأنبياء: 69-70].. أرأيت ماذا يفعل التوكُّل على الله.. ويبقى ويخرج ويمضي في دعوته متوكلاً على الحي الذي لا يموت، .. متوكِّل!.. وكيف يخاف المتوكِّل!.. كيف يرعب المتوكِّل!.. كيف يضيع من سلم قلبه لله. كيف يخاف..

انظروا إلى سيدنا نوح الداعية المتوكِّل على الله.. يقول الله تبارك وتعالى: ﴿۞ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦ يَـٰقَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِى وَتَذْكِيرِى بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوٓا۟ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ ٱقْضُوٓا۟ إِلَىَّ وَلَا تُنظِرُونِ﴾ [يونس: 71].

سيدنا هود قال: ﴿إِنِّىٓ أُشْهِدُ ٱللَّهَ وَٱشْهَدُوٓا۟ أَنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا

تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِن دُونِهِۦۖ فَكِيدُونِي جَمِيعًا...﴾ [هود:54-55] انظروا التوكُّل.. لا يهمني.. إخوتي هذا ليس تهوراً.. فأنا على صواب لا أفعل أي خطأ، فلا أكون مخطئاً في حق الناس وأقول افعلوا ما تريدون.. هو على صواب إنه يدعو إلى الله.. ﴿فَكِيدُونِي جَمِيعًا﴾ ثم لا تنظرون ﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [هود: 56].

حسبنا الله ونعم الوكيل قالها إبراهيم حين ألقي في النار، وقالها موسى حين قال له أصحابه ﴿إِنَّا لَمُدْرَكُونَ﴾ [الشعراء: 61] وقالها أصحاب محمد ﷺ حين قيل لهم ﴿... إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ [آل عمران: 173].

أعظم التوكُّل إخوتي أن تتوكل على الله في الدعوة إلى الله.. جرِّب.. ادعُ أصحابك وخذ بيدهم ثم توكَّل على الله.. سيهتدون.. وإذا حصل لك أمر أو سخروا منك سيعزك وسيكرمك.. توكَّل على الله كتوكُّل الأنبياء، فليفعل الناس ما شاؤوا، وليفتروا الكذب وليقولوا على لسانك كلام لم تقله، ويقذفونك بأمور ويتهمونك... ألست متوكِّلاً على الله؟سيعزك وسينصرك وسيقف معك...

انظروا إخوتي إلى توكُّل النبي ﷺ.. لمحات في حياة النبي ﷺ

جميلة تريك كيف كان توكُله... النبي ﷺ في عز الاضطهاد في مكة في عز الإباء.. وقربه في مكة صحابي مضطهد والضرب شديد والإيذاء شديد، وفي سنة واحدة وشهر واحد يموت اثنان وهما أكثر الناس وقوفاً بجانبه، من؟..أبو طالب عمه والسيدة خديجة زوجته... لاحظوا المعنى.. فلا شيء يحدث في هذا الكون اعتباطياً، فلا تظنوا أن هناك همسة في الكون صدفة... فلا تظن أن الجلسة التي تجلسها في المكان الذي تجلس فيه قد جاءت على سبيل الصدفة فكله بتقدير الله عز وجل، فلقد توفي في شهر واحد أعز شخصين على قلب النبي ﷺ.. العم الذي كان يحميه من قريش والزوجة الحضن الذي كان يسمعه ويأخذ بيده... أريد أن أسأل سؤالاً: ما الحكمة من موت أكثر شخصين ينصران النبي ﷺ في شهر واحد؟ فلو كان الأمر بيدي لقلت لا بد أن يموتا بعد فتح مكة أليس كذلك؟..فلو أن أحداً بيده سير الأحداث لقدر لأن يكون الأمر بعد فتح مكة.. حين ينتصر الإسلام، أتدرون لماذا قبضا وكان النبي ﷺ في أمس الحاجة لهما؟؟ حتى يعلم الله تبارك وتعالى النبي ﷺ التوكُل.. كيف؟.. من يقف بجانبك يا محمد؟ عمك وزوجتك، فها هما قد ماتا! فمن لك غيرنا يا رسول الله.. من لك سوى الله عز وجل...

أحياناً من حب الله لك أن يقطع عنك كل الأسباب، من

الذي يقف بجانبك فلان، ومن أعز إنسان على قلبك فلان، فهذا سيترك العمل وهذا سيموت وتشعر بأنك قد ضعت أبداً، فهو يقول لك: أنا أريدك أن تلجأ إلي لوحدي.. إخوتي هذا المعنى جميل جداً وأنت في المصائب تزداد بعداً عن الله.. مع أنه ينبغي أن تقول في المصائب: "يا رب لقد قطعت علي كل السبل لأنك تريدني أن ألجأ إليك يا رب".

ماتت خديجة ومات أبو طالب ليلجأ النبي ﷺ إلى الله وحده.. فلم يعد لك يا رسول الله إلا الله أن تلجأ إليه، فلقد أخذت منك كل الأسباب.. فحين تجد يا أخي أن كل الأسباب تغلق في وجهك فلا تحزن واعرف أن الله يريدك أن تلجأ إليه وحده حتى تعلم أنه هو الوكيل.. فلست راضياً أن تتعلم بأنه الوكيل بمزاجك... فانظر كيف أغلقت الدنيا بوجهك فالجأ إلي...

وأمر آخر فالله تبارك وتعالى يغار على قلوب عباده.. ماذا يعني يغار على قلوب عباده؟.. الله يحب أن يتعلق قلب العبد به وحده حين يكون عبده طائعاً، وأحياناً ينشغل العبد عن الله بأمور دنيوية فيأخذها الله منه حتى ينشغل بالله وحده ويتوكل عليه وحده.

انظر إلى إبراهيم حين تعلق بإسماعيل، وأصبح إسماعيل يملأ حياته.. أخذه الله منه وأمره بذبحه لحين أن وضعه على السكين

وامتلأ قلب إبراهيم بحب الله تركه له.

انظر إلى يعقوب لما تعلق بيوسف تعلقاً شديداً وأصبح يوسف يملأ حياته كلها وأصبح يملأ قلبه، أخذه الله منه عشرين سنة حتى عاد القلب مملوءً بحب الله عز وجل فرده إليه مرة أخرى.

نريد يا إخوتي أن نتعلم هذا التوكُّل الذي علمه الله للنبي ﷺ.. انظروا إلى النبي ﷺ في إحدى الغزوات حين كان كل واحد منهم ينام تحت الشجرة، والنبي ﷺ قد علّق سيفه على الشجرة ونام تحتها فيأتي رجل كافر ويستل سيف النبي ﷺ ويضعه على رأسه صلتاً ويقول له: "من يمنعك مني؟!"... فلو أن أحدهم وضع سكيناً في رقبتك وقال لك: من يمنعك مني؟ ستقبل رجليه وتقول له: أُقبل يدك.. ارحمني، أنا صغير، وتبكي – لكن انظر إلى النبي ﷺ، السيف في الرقبة والصحابة نائمون والرجل كافر، "من يمنعك مني" فقال النبي: كلمة واحدة.. قال: "الله".. فسقط السيف من يد الرجل.. كيف قالها النبي ﷺ حتى يقع السيف من يد الكافر، كم كان حجم الإخلاص فيها، اليقين والثقة كيف كانا؟ فسقط السيف من يد الرجل فأخذه النبي ﷺ ووضعه في رقبته وقال له: "وأنت من يمنعك مني".. فقال الرجل: يا محمد كن خير آخذ، فقال النبي ﷺ: "أتشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله"، قال: لا، فخلى النبي ﷺ سبيله

على أن لا يعين عليهم قوماً آخرين وعلى أن لا يقاتل المسلمين أبداً[1].

انظر إلى سيدنا يونس حين كان في بطن الحوت.. أتتخيلون يا إخوتي شخصاً في بطن الحوت في وسط الليل في قاع المحيط، أريدك أن تتخيل لو أن أحدهم أغلق بالمفتاح عليك باب خزانة ثم أغلق باب الغرفة بالمفتاح ثم باب الشقة وذهب، بعد كم ثانية ستنهار، أتعلم لماذا سوف تنهار؟ لأنك لست متوكّلاً، أتدري لو توكلت ستفعل كما فعل سيدنا يونس داخل بطن الحوت، إنه ليس في خزانة، إنه في غياهب، فالذي داخل الخزانة قد يطرق لكن من كان داخل الحوت ماذا سيفعل؟ فهو في بطن الحوت في وسط الليل في قاع المحيط ﴿... فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٨٧ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ...﴾ [الأنبياء:87-88] ... توكل على الله، أين هذا الإحساس؟ لا يمكن أن يضرني شيء وأنا متوكّل على الله إلا لو كان الله قد كتبها علي.. فأنا لاجئ لك يا الله فأمري كله بيدك، فالنفع والخير بيدك كله يا رب العالمين.

---

(1) أخرجه مسلم (843)، وأحمد (14512) واللفظ له عن جابر رضي الله عنه.

انظر إلى الفضيل بن عياض حين كان ولده يموت، بقي الفضيل بن عياض عشرين عاماً لا يضحك كان رحمه الله عابداً زاهداً، وفي يوم موت ولده رأوه مبتسماً، فقالوا له: يا إمام لِمَ لم تضحك من عشرين سنة واليوم تبتسم؟

قال: شيء أحبه الله فأحببته، شيءٌ أراده الله وأنا أحب ما يريد الله وما يختار.. كيف هذا؟!. معنى صعب علينا.. لسنا مطالبين أن نصل إليه، ولكن أن نحاول في التوكُّل على الله ونحاول أن نقترب من هذا الكلام.

أذكر قصة لا يمكن أن أنساها، رجل كان سيدخل الجيش لكن هذا الشخص كان يعاني مشاكل اقتصادية، ولو دخل الجيش كانت عائلته ستنهار، وله عم ذو رتبة عالية في الجيش، وبقيت العائلة كلها تقول: اذهب قبل الكشف الطبي وخذ بطاقة من عمك، لا تنسى البطاقة، لا تنسى البطاقة، فعمك سيخرجك من الجيش - ويصح أن تأخذ البطاقة - فهو يقول: بدأت أصحح نيتي فالبطاقة التي سآخذها بالجوارح وقلبي متوكِّل على الله، ويقول: ولكن وأنا أصحح نيتي لم أستطع.. فلما وجدت أني لن أتوكُّل قررت أن لا آخذ البطاقة، إنه يربي نفسه لا أستطيع التوكُّل على الله لن أذهب ومعي البطاقة وذهب..

ويقول: ذهبت للكشف الطبي ووقفت في الصف.. انظر لكل من يقف أمامي وهو يدخل على الطبيب الذي يكشف ويعطيه البطاقة وهكذا، أو يقول له مريض أعاني من هذا أو من هذا.. حتى وصل دور الذي يقف أمامي مباشرة فهو ذو جسم ضخم ورياضي فحين سأله الطبيب هل تعاني من أمر فقال: من مرضٍ نفسي حتى وصل الدور إليّ – راوي القصة – فيقول: "وقفت أمام الطبيب، فقال: هل تعاني من أمر؟ فقلت: لا.. أليس لديك "واسطة"؟ فقلت: لا، فقال: أمتأكد أنت، فقلت: طبعاً، فلمحت بطرفي أنه سيرشحني ضابطاً، لم أندم لحظة واحدة – طبعاً هذه القصة ليست معي فهذا الشخص مهندس وأنا خريج كلية تجارة – فقلت في نفسي: لن أندم أبداً فأنا توكلت على الله، فيقول: وأنا خارج من باب الغرفة وجدت الطبيب ينادي ويقول: تعال، فرجع، فقال له: قف بالجنب، فكتب تقوس في العمود الفقري، إنه مهندس معماري وأنتم تعرفون كيف يجلسون لرسم اللوحات لحين أن يحصل فعلاً تقوس في ظهورهم.. فيقول: أنا لا أعاني من أي أمر في ظهري فأخذ إلى اللجنة التي بعدها ثم التي بعدها ثم إلى اللجنة العليا ونال إعفاءً، ويقسم بأنه قد تعلم من يومها ماذا يعني التوكُّل على الله.

فحياتنا مليئة بعشرات المواقف والمشاهد، ولكنها تحتاج إلى تفكر وتأمل ونظر، أي تلك المواقف كان فيها توكلاً على الله عز وجل وماذا حصل فيها ؟؟

وهذه قصة سمعتها عن شخص سجن ظلماً في فترة قديمة جداً، يقول: دخلت السجن وزوجتي معها طفلين أحدهما رضيع ولا يوجد في البيت إلا خمسين قرشاً، وحرارة الطفل الرضيع أربعين درجة.. وهو يموت وهذه اللحظة هي التي دخل فيها السجن... فيقول: حين دخلت كنت أقول لماذا فعلت بي هذا يا رب، لقد كنت منهاراً لم يعد يوجد عندي توكُّل، وبعد أن خرج يقول: عشت حياتي متوكلاً على الله فلا يهمني ما يحصل بعد ذلك، فما الذي حصل؟ يقول: في الليلة التي سجنت فيها، وكانت زوجتي لا تملك مالاً وابني يموت، ففي الساعة الواحدة والنصف وجدت زوجتي أن الباب يقرع، وإذا برجل يقول: أنا الطبيب أين المريض! فذهلت! دخل الرجل ففحص الطفل وأعطاه حقنة وقال لها: سيكون الولد بخير، فقالت له: من أتى بك إلى هنا؟ فقال: أليست هذه الشقة الخامسة والعشرين؟ فقالت: لا إنها الشقة الخامسة عشر، فسبحان من أمرض شخصاً في الشقة الخامسة والعشرين وسبحان من جعل الطبيب يخطئ في رقم الشقة.

هذه الحكايات التي أسردها قد تصدقونها وقد لا تصدقونها، فهذه القصص قد سمعتها وقد تكون صحيحة أو تكون خاطئة، ولكن كـل شخص منـا قد رأى في حياته قصة كهذه، لكن الله لم يترك أحداً منا إلا وأراه بأنه هو الوكيل، وعلمه، لكننا ننسى أو نغفل.. هذه أمثلة أحببت سردها.

انظر إلى قصة سيدنا يوسف كم هي متعلقة بالوكيل، فكل قصة سيدنا يوسف تسير بالعكس، ماذا يعني.. ولد يحبه أبوه – فهل هذا أمر جيد أم لا؟..إنه أمر جيد فماذا تكون النتيجة – يرمى في البئر.. وهل هذا أمر جيد أم سيئ؟..أمر سيئ.. ثم تكون النتيجة أن يذهب إلى قصر العزيز، وهل هذا أمر جيد أم سيئ؟..جيد.. فتكون النتيجة أن يدخل السجن، وهل هذا أمر جيد أم سيئ؟..سيئ، ثم ستكون النتيجة أن أصبح عزيز مصر.. ما هذا! وكأن الله يقول لك: لا تتعلق بالأسباب والأمور المنطقية وتبحث كيف تمشي وتحسبها، توكَّل على الحي، وكأن قصة سيدنا يوسف عليه السلام قد مضت بهذا الشكل حتى تتعلم التوكُّل على الله.. وهذا هو التوكُّل يا إخوتي.

أخيراً.. كيف يأتي التوكُّل.. كيف أكون متوكلاً.. كيف أجعل نفسي متوكلاً؟.. تبقي نفسك متوكلاً بأمر بسيط جداً.. ما

هو؟ دوام التعلق بالله عز وجل، أن تبقى دائماً تقول: يا رب.

ثانياً: الذكر والدعاء.. يكاد يكون علاج كل مشكلة بالذكر والدعاء، وهما أعظم سلاحين عند المؤمن.. ادعُ الله أن يجعلك من المتوكلين.. واذكر الله كثيراً ستجد أنك حين تتصرف بعدها تكون متوكلاً.

تنبهوا يا إخوتي.. إن التوكُّل يأتي بالتدريب فلن تصبح بعد هذا الكلام متوكلاً قمة التوكُّل، بل سوف تتدرج كسيدنا موسى.. سيدنا موسى أول عمره لم يكن قد تعلم التوكُّل كما ينبغي ﴿وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ...﴾ [طه: 69] حين رأى أن العصا تحول لثعبان ماذا فعل ﴿وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ۚ يَا مُوسَىٰ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ...﴾ [القصص: 31] هذا في المرة الأولى، أما المرة الثانية وقف أمام السحرة أمام ثلاثين ألف ساحر ﴿قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِمَّا أَن تُلْقِيَ وَإِمَّا أَن نَّكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ﴾ [الأعراف: 115] ﴿قَالَ بَلْ أَلْقُوا ۖ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ﴾ [طه: 66] انظر ماذا حصل له ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُّوسَىٰ﴾ [طه: 67] خاف أقل من المرة السابقة، ففي المرة الأولى وهي أسهل ولأن عصاً تحول ثعباناً ولّى هارباً، ففي المرة الثانية حين تدرب على التوكُّل وأمامه ثلاثين ألفاً أوجس في نفسه خيفةً موسى. انظر إلى الأمر الثالث حين كان

سيدنا موسى متوكلاً على الله تماماً وكل حياته متوكلة على الله عز وجل ما الذي حصل ﴿... قَالَ أَصْحَـٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ﴾ [الشعراء: 61] فرعون وراءهم وهذه أصعب مما فات.. انظروا ماذا سيقول موسى ﴿قَالَ كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ﴾ [الشعراء: 62] انظر كيف تنقل في التوكُّل..

فالإنسان قد يبتدأ غير متوكِّل ويمكن له أن يتدرج، كيف يتدرج؟ قد تتدرج بأمر بسيط، فنصيحتي لكم.. ابقَ متذكراً الله فستجد نفسك متوكلاً، تذكر هذا الدرس دائماً واكتب حديث النبي ﷺ: "احفظ الله يحفظك..." فوق سريرك، إن شاء الله كل هذا يعينك على التوكُّل..

وآخر ما نختم به دعاء كان النبي ﷺ يدعو به وهو كله توكل: "اللهم إني عبدك وابن عبدك وابن أمتك ناصيتي بيدك ماضٍ في حكمك عدلٌ في قضاؤك.."[1] وانظر دعاءه ﷺ: "اللهم لا تكلني لنفسي طرفة عين ولا أقل منها"[2] لا تتركني يا رب أحرك نفسي ولا

---

(1) أخرجه أحمد (3704)، وابن أبي شيبة في المصنف (29318)، وأبو يعلى في مسنده (199/9)، وابن حبان (972) عن ابن مسعود رضي الله عنه، وانظر: مجمع الزوائد (186/10).

(2) أخرجه أحمد (27898)، وأبو داود (5090).

حتى طرفة عين تخيل! وفي حديث آخر: ".. طرفة عين ولا أقل منها فإنك إن تكلني إلى نفسي تكلني إلى ضعف وعورة وخطيئة وإني لا أثق إلا في رحمتك"[1].

نريد أن نتعلم التوكُّل كهذا.. أخشى أن يأتي بعد هذا الكلام شخص ويقول: لن أحدث بهمومي أبي وأمي وأصحابي حتى لا أكون قد خرَّبت توكلي.. إخوتي إن التوكُّل عمل القلب أما الجوارح فليس لها علاقة.. الجوارح تأخذ بالأسباب بكل الأسباب، ولو أخذت بتسعة وتسعين سبباً وتركت سبباً واحداً لا تكون متوكلاً بل أنت متواكل..

نريد أن نتعلم التوكُّل بشكل صحيح وأن لا يستهزأ بنا ويقال: إن المتدينين يظنون بأنهم يدعون لا يأخذون بالأسباب ولا أي أمر آخر.. خذ بالأسباب ودع قلبك بين يدي الله.. جربوا هذه العبادة.. فحين أنزل من البيت أقول الدعاء بلساني وقلبي: "بسم الله توكلت على الله ولا حول ولا قوة إلا بالله"[2]، وحين أريد النوم سأقول الدعاء وأنا أشعر به: "باسمك ربي وضعت جنبي وبك

(1) أخرجه البيهقي في الشعب (476/1).
(2) أخرجه أحمد (473) عن عثمان رضي الله عنه، وأبو داود (5095)، والترمذي (3426) عن أنس رضي الله عنه.

أرفعه..."[1] سأسأل الله بدعائي أن يجعلني من المتوكلين.. فمن يعاني مشكلة فليقل في الأسبوع القادم هذا أسبوع ردها وتفويضها لله عز وجل مع الأخذ بالأسباب.

(1) أخرجه البخاري (6320)، ومسلم (2714) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

الباب الرابع

محبة العبد لله

لا أحد يستطيع أن يعيش في هذه الدنيا من غير حب، فالحياة من غير حب حياة باهتة لا قيمة لها. فالقلب الخالي من الحب قلب جامدٌ قاسٍ. جسدٌ يحيا بلا حب جسدٌ هزيل وميت. فكل الناس وكل واحد ينبغي أن يعيش في الحب. ولذلك فإن الإنسان الذي يفقد عاطفة الحب عادة يكون جسداً ميتاً أو إنساناً ليس بحي ويصاب بالاكتئاب وغير ذلك لأنه فقد الحب للحياة.

وكلما كان الحب كبيراً، كلما زادت قيمة ونبض الحياة، والمقصود أن المرء كلما ارتبط بحب كبير كلما زاد نبض الحياة وكانت حياته أفضل وأحب.

ماذا نحب؟ وماذا يحب الناس؟

الناس يحبون المال! إن المال يزول ويضيع ونموت ونتركه ويوزَّع بعد الموت...

يحبون الجاه والسلطة! إنها أيضاً تزول وتتغيَّر...

يحبون النساء والنساء تحب الرجال.. هذه الشهوة تزول وتفتر أو تنتهي بمأساة لو كانت بغير طاعة الله، أو تكون سطحية وتنتهي وتزول أو تنتهي بموت أحد الطرفين، أو تنكسر بسبب خيانة أحد الطرفين، فكل العلاقات إلى زوال...

ولذلك فإن الحب الذي ينبغي السعي إليه هو الحب الذي يبقى دائماً ولا يزول.. الحب الذي يزيد في قوتك، ولا تخاف أبداً أن ينتهي بقسوة أو بجحود أو خيانة أو انكسار، حب لا يزول..

هل نحن نحب الله بصدق؟ وهل حب الله فريضة علينا أم هو فضلٌ منّا؟ هل تحب أولادك أكثر أم تحب الله؟ وهل تحب زوجتك أكثر أم تحب الله؟

إن هذا الكلام عن حبٍّ مباح، فما بالكم بمن يحب المعاصي أكثر من الله!.. فما بالكم بمن تعلق بفتاة لا يربطه بها أية علاقة وتجده يحبها وتحبه؟!.. ولكن أين حب الله تبارك وتعالى؟!.. فما بالكم بالذي يرتكب المعاصي، وما بالكم بمن يتعاطى المخدِّرات..

إنها أمور متشعبة، لكن لنتكلم في الحلال، فالذي يحب ماله – والمال حلال – أكثر من الله ماذا نقول له؟...

تأمل هذه الآية الكريمة التي تحتاج منا لتدبر وتفكر، يقول الله تبارك وتعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [التوبة: 24].

لقد ضرب الله تعالى في هذه الآية ثمانية أمثال، ووضع الأمثال الثمانية في كفة، وفي الكفة الثانية حب الله تعالى ووزنهم فلو رجحت كفة الأمور الثمانية قيد ذرة أو شعرة فتربصوا بما سيحصل لكم، ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾، ففاسق من أحب أي شيء من الأمور الثمانية أكثر من الله، ومع كون حب الأمور الثمانية مباح.

فالأمور الثمانية قد أمرنا بها الله وهي:

آباؤكم: فلقد أمر الله تعالى ببر الوالدين...

أبناؤكم: أمر الله برعايتهم في القرآن وأمرنا النبي ﷺ بذلك...

إخوانكم: أيضاً..

أزواجكم: فلقد أوصانا النبي بالزوجات "خيركم خيركم لأهله"[1]

أمــوالٌ اقترفتموها وتجارتكـــم ومســـاكن ترضونها وهي البيوت الجميلة التي اعتدتم السكن فيها، فهذه الأمــور الثلاثة مباحة والإسلام يأمر بهم ويوصي بهم، فهذه الآية ليست دعوة لترك الأمــور الثمانية هذه، لكن الآيه هذه تقارن.. فالله لم يأمــرنا بحبه وانتهى، بل طلب منا كنا نريد اكتشاف صدقنا من كذبنا، فلنتأمل واحدة واحدة من هذه الأمور الثمانية ولننظر أهي إلينا أم الله؟..

﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ...﴾ فيا من تعمل ليل نهار ولا تودي الصلاة في وقتها وتؤخر كل صلاة إلى وقت الصلاة الأخرى، وتصلي الظهر قبل دقيقتين من وقت العصر، والعصر قبل دقيقتين من وقت المغرب، فهذه أمور يقاس بها، قس من تحب أكثر... وكذا وكذا وكذا من طاعة الله، فطاعة من تقدم؟ وتسمع كلام من؟ وترضي من؟ فهذه

---

(1) أخرجه الترمذي (3895)، والدارمي (2260)، وابن حبان (4177) عن عائشة رضي الله عنها، وانظر: كشف الخفاء (1234).

الآية في الواقع شديدة فهي تخاطب كل واحد منا...

ومن خلال هذا أصبحت معرفة الله ومحبة الله فرض عين على كل مسلم، فواجب على كل مسلم أن يعرف الله.. فلقد خلق الإنسان ليعرف الله ويحبه، فهل يعقل أن تشتغل بالفرع وتترك الأصل، فحب الزوجة وحب الأولاد وحب المال والعشيرة، فالله هو الذي أعطاك القدرة على الحب والله هو الذي غرس هذا الحب في قلبك وأخبرك بأن الأصل أن تحب الله عز وجل فإيَّاك أن تضع هذه الأشياء قبل حب الله عز وجل...

أين نحن الآن من هذا الكلام؟؟

بعض الناس يحبون المال أكثر من حبهم لله! ولهذا يقول النبي ﷺ: "تعس عبد الدرهم"[1] فلقد سماه عبد الدرهم. بعض الناس يحبون النساء أكثر من حبِّهم لله!..

يقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [البقرة: 165].

فالله يخبر في هذه الآية أنه يوجد أشخاص، وقد يكون هؤلاء

(1) أخرجه البخاري (2887) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

الأشخاص مسلمين، ﴿... يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا...﴾ أي شركاء، والشراكة هنا ليست شراكة عقيدة ولا شراكة ربوبية ولا شراكة في الخلق، فهو - أي المُتَّخِذ من دون الله أنداداً - لا يقول أنا أعبد فلاناً مع الله أو أن فلاناً خلق مع الله، فهي ليست شراكة خلق ولا شراكة ربوبية أو عبودية... إنها شراكة محبة... فالنِّدِّية ليست ندية ربوبية إنها ندية محبة، حتى ندية المحبة مرفوضة.

يتساءل العلماء عن المقصود بقوله تعالى: ﴿... يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ...﴾ هل معناها أنه كما يحب المؤمنون الله، فأولئك الأشخاص يحبون أندادهم، أم المقصود بها ﴿... يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ...﴾ أي أنهم يحبون الله وكحبهم لله يحبون الأنداد؟

فالصنف الأول لا يحبون الله أبداً إنما يحبون الأنداد التي يعبدونها كما يحب المسلمون الله تعالى.

أما الصنف الثاني فإنهم يحبون الله تعالى ولكنهم يحبون أندادهم كحبهم لله، فأي صنف هو المقصود بالآية...

يرجح العلماء أن يكون مقصوداً بالآية الصنف الثاني، فهؤلاء الناس يحبون الله تعالى ولكنهم جعلوا مع الله أنداداً وسوّوا بينهم وبين الله في المحبة.. فيقول مثلاً: ربي وعيالي، فيقوم بأداء الصلوات الخمس ولكنه يأخذ المال الحرام ليحسن معيشة أولاده، لقد اتخذ مع الله نداً

له، وهذا الند لم يشركه مع الله بالعبودية، ولكن الند هنا ند حب، فلقد سوى بين حبه لله وحبه لأولاده فللملك أخذ من المال الحرام الذي لا يرضي الله لأنه يحب أولاده أكثر... وهذه هي الندية التي نهت عنها الآية.

ولا تظنوا من كلامي أن من فعل هذا مرة يكون قد اتخذ نداً، فهذا الكلام لا ينطبق على أخطاء المرّات، فكل البشر يقع في مثل هذه الأخطاء، ولكن المقصود أن يكون ذلك سـمة حياتك.

فالأصل في حياتك ينبغي فيه أن لا تتعارض أمور الدنيا ومشاغلها مع أوقات قد أمر فيها الله تعالى بصلاة مثلاً، فلا يمكن أيضاً أن تتعارض الموضة – وقد تكون هي الند – وتكون الأولوية للموضة، أمّا لو أخطأ الإنسان مرة فلا يحسب ندية...

والمقصود في اتخاذ الند هو من عاش عمره وأصبح سمته في حياته أن يضع أوامر الله في كفة وأهواءه في كفة، ويستوي عنده الأمرين فلا يقدر أن يرجح كفة أوامر الله على أهوائه...

خطورة الصحبة!

فمن خطورة اتخاذ الأصحاب أن تبقى خمس أو ست سنين مع علمك بحرمة الأمر، لكن يكون عندك هوى أو ميل آخر تتبعه، فتبقى خمس أو ست سنوات متخذاً للند أرأيت الخطورة وهو ليس

ند كفر أو شرك ولكنه ند حب.

فالذي أمضى عشر سنوات لا يغض بصره فهذا لا يسوّى بالذي يغض بصره ويخطيء مرة فيندم ثم يخطيء مرة أخرى فيندم، فالذي ينظر ويندم لا تنطبق عليه الآية فهو لم يتخذ نداً، فهو يقاوم ويجاهد نفسه، ولكن الذي ترك نفسه على هواها وأصر واستكمل الأمر وأصبح لا يلوم نفسه واعتاد على هذا، هذا هو المقصود بهذه الآية والمطلوب أن يخاف على نفسه.

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾. [البقرة:165]

فالذين آمنوا أشد حباً لله، هم أشد حباً لله من حب الأنداد لأندادهم...

لذلك فإن من يمضي عمره يسوي بين أوامر الله وأهوائه ويقدم أهواءه دائماً، فمهما أمره الله فهو دائماً يقدم هواه وما تمليه عليه نفسه...

يقول الله تعالى مصوراً حال الذين اتخذوا من دون الله أنداداً حين يدخلون النار: ﴿قَالُوا۟ وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ۝٩٦ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝٩٧ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الشعراء: 96-98].

حين دخل النبي ﷺ المدينة، أول كلمة قالها

وكان الناس كلهم يأخذون بخطام ناقته، فحينها قال النبي ﷺ: "أيها الناس أحبوا الله من كل قلوبكم"، أي لا تترك في قلبك ذرة إلا وتكون مليئة بحب الله عز وجل، بحيث أنك حين تختار أو تقارن دائماً يكون الاختيار بحق أن حب الله أولى؛ فهذا هو دليل الحب... "أيها الناس أحبوا الله من كل قلوبكم"[1]، وفي حديث آخر قال النبي ﷺ: "أيها الناس أحبوا الله لما يغذوكم به من النعم"[2]... أحبوا الله بقدر النعم التي أعطاكم إياها، أحبوا الله لكماله، أحبوا الله لنعمه عليكم، أحبوا الله لأفضاله عليكم، أحبوا الله لحلمه عليكم، أحبوا الله لهدايته لكم، أحبوا الله لإرساله الرسل لكم.

وسأنصحكم بتجربة مفيدة جداً، بإمكان كل شخص أن يجربها وستجعله يحب الله فعلاً.

أحضر ورقة وقلماً، وارسم خطاً يقسم الصفحة إلى نصفين، يمين ويسار، واكتب في أعلى النصف من الجهة اليمنى، (نعم الله علي) وابدأ بكتابة نعم الله عليك، أنت تحتاج لدفاتر كثيرة ولن

---

(1) أخرجه ابن إسحاق كما في السيرة النبوية لابن هشام (30/3)، وانظر: جامع العلوم والحكم لابن رجب ص (366).

(2) أخرجه الطبراني في الكبير (2639، 10664) عن ابن عباس رضي الله عنهما، وانظر: ميزان الاعتدال في نقد الرجال (32/8).

تكتف بورقة واحدة. واكتب في أعلى النصف من الجهة اليسرى (المعاصي التي ارتكبتها في حق الله) واكتبها جميعها ولا تترك شيئاً وكن صريحاً مع نفسك، وانظر للورقة بعد أن تنتهي، فسترى هذا الحديث أمام عينيك: "أحبوا الله لما يغذوكم به من النعم".

يقول النبي ﷺ: "ثلاثة من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار"[1].. فتكون كارهاً أن تعود إلى المعاصي.

إن أعظم مرض يصيب القلب أن يتعذر عليه أداء الوظيفة التي خلق من أجلها، فالقلب خلق لمعرفة الله وحبه، فلو عرفت كل الأشياء التي في الدنيا وأجدت كل المهارات التي في الدنيا ولست قادراً على معرفة الله وحبه فإن قلبك يكون مريضاً و لم تعرف شيئاً! لأن قمة المعرفة وأساس المعرفة أن تعرف ربك وتحب ربك. ولو تلذذت بكل لذات الدنيا، وفرحت بكل أفراح الدنيا، وتمتعت بكل شهوات الدنيا، و لم تتلذذ في حياتك بمعرفة وحب الله عز وجل فلا تكون قد تذوقت لذة في الدنيا و لم تذق فرحة في الدنيا.

فكما أن نعيم الجنة لا يقارن بالنسبة إلى لذة النظر إلى وجه الله

---

(1) أخرجه البخاري (16)، ومسلم (43) عن أنس رضي الله عنه.

تبارك وتعالى فكذلك نعيم الدنيا فإنه لا يساوي شيئاً مقارنة بنعيم محبة الله عز وجل.

كل الناس يقولون: أنا أحب الله، ولما كثرت الادعاءات وأصبح كل الناس يدّعون محبة الله تعالى، قام الله تعالى بامتحانهم، والامتحان هو آية في القرآن سميت آية المحنة، وهي تمتحن وتظهر الصادق من الكاذب في هذه الدعوى، يقول الله تبارك وتعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ [آل عمران: 31].

فلا تدعي المحبة بالكلام، بل أثبت هذا بأعمالك، فقل بكلامك ما تشاء فقد تكون صادقاً وقد تكون كاذباً، لكن الصادق حقيقة من كان حاله يقول: أنا أحب الله تعالى... تماماً كالزوج الذي يقول لزوجته: أنا أحبك ويكرر ذلك مراراً وهو يهينها ويعذبها ومع ذلك فإنه كلما يراها يقول لها: أنا أحبك... فهل تصدقه أم لا؟ لا يمكن أن تصدقه..

ونفس الفكرة لمن يدعي محبة الله، المهم ما يقوله حاله وما هي حقيقة صلته بربه، فلا يكفي الكلام.. ولذا إذا أردت معرفة حبك لله قس نفسك بهذه الآية ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي﴾ فهل تنفذ سُنة النبي ﷺ أم لا؟ فإن كنت لا تنفذ سُنة النبي ﷺ ولا تعيش وفق أوامر النبي ﷺ ولا تصلي السنن ولست حريصاً على طاعة الله،

ولا تصلي الفرائض، وتؤخر الفروض عن وقتها وتصوم شهر رمضان باستهتار.. فمن كان يرتكب كل هذه الأمور، كيف له أن يدَّعي محبة الله عز وجل.. وهو فعلاً كاذب.. ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾. [آل عمران: 31]

درجات محبة الله

الواقع أن محبة الله لها مثل، وأنا أخجل أن أطرح هذا المثل، ولكني وللأسف لم أجد مثالاً يُفهم ويكون واضحاً في أذهان الناس كمثل تعلق الرجال بالنساء وتعلق النساء بالرجال، للأسف الشديد فأنا مضطر أن أقول هذا المثال حتى يعرف الناس كيف ينبغي لهم أن يحبوا الله عز وجل..

فالذي يحب امرأة، يبدأ أولاً بالتعلق بها، فيبدأ بالسهر والتفكير والتأمل، وحين يكلمه الناس يجدونه غارقاً في التفكير، فتكون شاغلة لباله، وعقله معها ويفكر بها. وحين يقول الناس له: ماذا تفعل؟ لا يجد هو نفسه أنه يفعل أي أمر خاطئ، لأنه لا يرى أنه يفعل أي شيء خاطئ فهو متعلق بها فقط، ولم يرتكب أي حرام!...

وبعد التعلق يزيد الميل لدرجة أن يصل إلى مرحلة يقيس فيها الأمور هل يفعل الأمور التي ترضيه هو أكثر أم الأمور التي ترتضيها هي!

وبعد ذلك يزداد حبه أكثر لدرجة يسميها العشاق والشعراء: الصبابة، وهي انصباب القلب كالماء حين ينصب من أعلى لأسفل، فيفقد السيطرة على قلبه، فكما أن الماء حين ينصب من أعلى لأسفل لا أحد يستطيع السيطرة عليه، فمن فرط حبه لها لم يعد يستطيع التحكم بقلبه، فيصبح مستعداً لانتظارها مثلاً تحت بيتها ست أو سبع ساعات، ومستعداً للسفر إلى أي مكان والانتظار، فلا يهم، المهم أنه ذهب للمكان الذي يجد فيه الحبيب، كقيس وليلى، فقيس من فرط حبه لليلى، فبمجرد مروره على الديار التي تسكن فيها ليلى كان يحاول تهدئة قلبه فيقول:

أمرُّ على الديارِ ديار ليلى   أقبل ذا الجدار وذا الجدار

وما حب الديار شغفن قلبي   ولكن حب من سكن الديار

وبعدها يزداد الحب فيصل إلى مرحلة الغرام، ومرحلة الغرام أن يصبح قلبه غير قادر على مفارقة محبوبته في أي حال من الأحوال...

ولذا حين يخاطبنا الله عن حال الكفار حين يدخلون جهنم وأنهم لن يفارقوا العذاب أبداً فيقول تعالى: ﴿إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾ [الفرقان: 65] فلن يفارقوا العذاب أبداً تماماً كغرامهم في الحياة الدنيا...

حين يصل إلى مرحلة الغرام يصل إلى درجة أنه يعرف أنه يمشي مع هذه الفتاة وأنه يقع بفعله هذا بالمحظور، وهي أيضاً تعلم، ولكنهما لا يستطيعان الكف عن هذا الفعل، فيصل إلى درجة أن القلب ملتصق بالحب، ولا يستطيع أن يترك ذلك الحب القلب أبداً.

ويزيد الأمر ويصل إلى درجة الشغف، وهذا أعلى درجة من درجات الحب، والشغف يعني أن الحب تمكن لدرجة أنه وصل إلى شغاف القلب، أي أعماق القلب.. ﴿۞ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي ٱلْمَدِينَةِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفْسِهِۦ ۖ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ۖ﴾ [يوسف: 30] فمن كثرة حبها له أصبحت تفعل أموراً بغاية الجرأة، حتى قالت: هيت لك، وغلقت الأبواب، ووصلت لمرحلة من الجرأة لم تصلها إلا مع الشغف الشديد.

الأمثلة التي طرحتها يحصل تعلق القلب فيها حتى يصل إلى هذه الحالات وهي حرام...

كذلك حب الله والله المثل الأعلى

هل بدأت يوماً تفكّر بالله كثيراً؟ أليست هذه أولى درجات الحب في الدنيا؟ فهل نعطي للعبيد ما لا نعطي لله! فنبذل من الحب والطاعة لعباده ولا نبذل له ربع هذا الحب وبعد ذلك ندعي حبه!

فمن الذي سهر الليالي يقرأ القرآن أو يتفكّر في الله عز وجل؟!

فهذه أولى درجات الحب... سهر وقراءة قرآن...

وبعد ذلك يزداد الميل في قلبه لله أكثر، فيبدأ بحضور الدروس، ويتحمل الوضعية الصعبة في الجلوس من شدة الازدحام لأن الحب بدأ يزداد وبدأ يتعلق في القلب أكثر.

وبعد ذلك يزداد الحب أكثر، وكما في المثال السابق يبدأ المحب بمقارنة ماذا يحب هو وماذا تحب هي، فهنا أيضاً يبدأ العبد قبل الشروع بأي عمل فيسأل: هل هذا العمل يرضي الله تعالى أم لا؟اوبعد ذلك يزداد الحب حتى يصبح مالكاً للقلب فيصبح هواه تبعاً لربنا، وهذا من قمة الحب أن يكون هواك تبعاً لمرضاة الله عز وجل..

وبعد ذلك يزداد الحب أكثر فأكثر لغاية أن يبذل طاقته في إرضاء الله، فكما في المثال السابق أن المحب يسافر لمحبوبته وينتظرها ساعات ويتحمل العذاب حتى ترضى! - يصل بحبه لله أنه يسهر ويبذل الجهد ويتعلم القرآن ويحفظ..

ويزداد الحب أكثر فأكثر لدرجة وصوله إلى شغاف قلبه مع الله عز وجل، فيكون مطلبه في الدنيا إرضاء الله عز وجل، فهو إنما

يعيش في هذه الدنيا فقط لإرضاء الحبيب جل جلاله وتطبيق أوامره وفعل جميع محابه.

ويزداد الحب أكثر فأكثر لغاية أن تصبح حياتك كلها وقف لله عز وجل، فيصبح قلبه وكأنه قد خُتِم عليه: "وقف لله تعالى" فلا تكون له لذة ولا فرحة ولا هم ولا عمل إلا إرضاء الله تعالى، فهو يعمل ويتزوج ويرفه عن نفسه وكل شيء ونيَّته إرضاء الله تعالى وإعلاء دينه..

وبعد ذلك يزداد الحب أكثر فأكثر، ومن فرط حبك تتمنى أن يحبه كل الناس كما تحبه أنت، فتتحول إلى داعٍ إلى الله، ولا تستطيع أن ترى الناس مبتعدين عن الله وأنت ساكت لا تتدخَّل...

فقد جاء في حديث الرجل الذي كان يعبد الله في قرية كلها عصاة "فقال الله لجبريل: اخسف بهذه القرية الأرض، فقال: يا رب فيها عبدك فلان الذي لا يزال راكعاً وساجداً؛ فقال: يا جبريل به فابدأ.. إنه لم يتمعَّر وجهه فيَّ ساعة قط"[1].

فمن قمة الحب أن يكون المحب لله غير قادر على رؤية الناس يخطئون في حق الله تعالى، فهو يريد الناس كلهم أن يحبوا الله لأنه

(1) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (7595) عن جابر رضي الله عنه، وانظر: مجمع الزوائد (270/7).

علم أن حبه جميل للغاية...

ويزداد الحب حتى يصل إلى مرحلة التذلل، ولهذا فإن الله كلما تحدث عن النبي ﷺ في القرآن تحدث عنه بصفة العبد ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ﴾ [الإسراء: 1] فأعلى قيمة له أن يناديه بلفظ العبودية لأنها قمة الحب.

ويزداد الحب حتى يصبح عبداً في الحقيقة، فيكون خاشعاً في محرابه، يصلي ليلاً فتهبط دموعه، وترتفع يديه إلى السماء، ويشعر بفرط حاجته لله، ويشعر بقربه كثيراً ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ [ق: 16] فيشعر بقرب عجيب، ويتلذذ بذله إلى الله...

أنا أخشى أن يكون الكثير لا يعرف هذا المعنى، ويظنوني أني أتكلم بأساطير وأوهام، ولكن الذي أتكلم به قد عرفه أشخاص كثر وعاشوه، وأنا أعتقد أن الكل قد عاش مثل هذه الأمور لحظة من عمره، حتى يعرّفه الله تعالى حلاوة القرب إليه، ولكن المؤمن حقيقة هو الذي يعيش مثل هذه الأمور يومياً، فكل يوم يشعر بالعبودية والذل والخشوع والقرب من الله تبارك وتعالى..

ثم يزداد الحب — ولكن هذه المرحلة ليست لنا — فيصل إلى أن يكون خليلاً للرحمن، وهذه انفرد بها اثنان فقط، سيدنا إبراهيم

عليه السلام وسيدنا محمد ﷺ، ولا أحد يستطيع الوصول إليها.. ﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾ [النساء: 125]، ويقول النبي ﷺ: "إن الله اتخذني خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلاً" وهذا الحديث صحيح[1].

أين نحن وفي أي درجة من درجات حب الله تبارك وتعالى!

من كان يحب أحداً، فإنه يحب كل ما يذكره به، فهل أنت تحب المؤمنين؟

من كان يحب أحداً، فإنه يكره من يذكر حبيبه أمامه بسوء، ويكره من يفعل ما يزعج حبيبه، فلماذا تحب الفساق؟ ولماذا تحب الناس المبتعدين عن طاعة الله، ولماذا تتخذ أصحاب السوء؟

نماذج المحبين

فانظر إلى سيدنا موسى وهو يقول كما جاء في قول الحق تبارك وتعالى ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ﴾ [طه: 84] تأمل منزلة العجلة إلى الله، وهذا حب عالٍ، فمن فرط حبه لله هو عاجز عن الانتظار...

فمتى يأتي الليل حتى أقف وأصلي بين يديك، ومتى تأتي

---

(1) أخرجه مسلم (532) عن جندب بن عبد الله رضي الله عنه.

صلاة الفجر فأنا متألم عن الفجر الذي أضعته البارحة، ﴿... وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ...﴾ من يملك هذا الحب، فالذي يحب شخصاً ويعرف أنه موجود فإنه يسارع إليه! فأين دليل حبك؟ فهل سارعت يوماً في الإقبال على الله؟ فهل اشتقت مرة في حياتك حين كان الإمام يقرأ إلى السجود لتضع رأسك بين يدي الله؟ هل عرفت الآن منزلة سيدنا موسى عليه السلام؟ وهل عرفت الحب، ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ﴾.

انظر إلى حب سيدنا إبراهيم كما جاء في قول الحق تبارك وتعالى ﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ [الصافات: 99].

فهل قلت يوماً أنا قادم إليك يا رب.. فهذا سيدنا إبراهيم يقول: مشتاق للقدوم إليك يا رب.

وانظر إلى النبي ﷺ، فهو يقول: "وجعلت قرة عيني في الصلاة"[1] فلا يملأ عينه في الدنيا إلا الصلاة بين يدي الله عز وجل..

وانظر ماذا يقول النبي ﷺ في ركوعه: "خشع لك سمعي وبصري ومخي وعظمي وعصبي"[2].

---

(1) أخرجه أحمد (11884)، والنسائي (3939) عن أنس رضي الله عنه.

(2) أخرجه مسلم (771)، وأحمد (731) عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

فهل ركعت يوماً وشعرت أن مُخّك وعظمك خاشع لله عز وجل! فالنبي ﷺ لا يقولها على سبيل المبالغة، بل هو يشعر أن عظمه خاشع لله عز وجل.

ويقولون: "كنا نسمع للنبي ﷺ وهو يصلي لصدره أزيز كأزيز المرجل من البكاء"[1] إنه الخشوع والصلة بالله.

يقول حذيفة بن اليمان رضي الله عنه: صليت مع النبي ﷺ ذات ليلة، فافتتح البقرة، فقلت: يركع عند المائة، ثم مضى، فقلت: يصلي بها في ركعة فمضى، فقلت: يركع بها، ثم افتتح النساء فقرأها، ثم افتتح آل عمران فقرأها، يقرأ مترسلاً، إذا مر بآية فيها تسبيح سبّح، وإذا مر بسؤال سأل، وإذا مرّ بتعوذ تعوذ، ثم ركع فجعل يقول: "سبحان ربي العظيم" فكان ركوعه نحواً من قيامه، ثم قال: "سمع لمن حمده"، ثم قام قياماً طويلاً قريباً مما ركع، ثم سجد فقال: "سبحان ربي الأعلى"، فكان سجوده قريباً من قيامه[2].

فلا يمكن أن تقف وتتحمل هذه المدة إلا لو كنت مستمتعاً،

---

(1) أخرجه أحمد (15877)، وأبو داود (904)، والنسائي (1214) عن عبد الله بن الشخير رضي الله عنه.

(2) أخرجه مسلم (772) عن حذيفة رضي الله عنه.

وأنا أتحدى! فلا أحد يستطيع الوقوف هذه الفترة إلا إن كان مستمتعاً وهو يشعر بالقرب من الله عز وجل.

علم رسول الله ﷺ أن أكثر ما يحب الله تبارك وتعالى أن يموت الإنسان شهيداً في سبيل الله فقال ﷺ: "والذي نفسي بيده لوددت أني أقتل في سبيل الله، ثم أحيا ثم أقتل، ثم أحيا ثم أقتل، ثم أحيا ثم أقتل"[1].

وانظر إلى مناجاته ﷺ، فهو يقول: "اللهم ارزقني حبك وحب من ينفعني حبه عندك، اللهم ما رزقتني مما أحب فاجعله قوة لي فيما تحب، اللهم وما زويت عني مما أحب فاجعله فراغاً لي في ما تحب"[2].

ومن دعائه ﷺ: "اللهم إني أسألك لذة النظر إلى وجهك الكريم وأسألك الشوق إلى لقائك"[3].

هل أحدٌ منا مشتاق للقاء الله عز وجل! إنه قمة الحب!..

---

(1) أخرجه البخاري (2797)، ومسلم (1876) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(2) أخرجه الترمذي (3491)، وابن المبارك في الزهد (430)، وانظر: جامع العلوم والحكم ص (363)، وميزان الاعتدال في نقض الرجال (250/3).

(3) أخرجه النسائي (1305)، وأحمد (17861) عن عمار رضي الله عنه، وانظر: مجمع الزوائد (177/10).

نماذج المحبين من الصحابة

عثمان بن مظعون :

فهو يتحدث عن نفسه فيقول رأيت الصحابة يعذبون في مكة، فكلما كان صحابي يؤذى أعرف أنه يقترب من الله خطوة و يحبه الله أكثر، وأنا لم يكن أحد يستطيع ضربي لأني كنت في جوار الوليد بن المغيرة، فقلت: لماذا هم يأخذون الثواب ويتقربون من الله خطوات وأنا لا، فذهبت للوليد بن المغيرة وقلت له: يا وليد أردّ عليك جوارك، فقال: يا بني أوجدت جوار من هو خير مني، قال: نعم، قال: من؟ قال: جوار الله عز وجل، .. فبعد أن رد عليه جواره دخل وسط قريش، فكانوا يقولون الشعر، وكان شاعر يتكلم اسمه لبيد و كان يقول:

ألا كل شيء ما خلا الله باطل، – ومن عادة العرب ألا يقاطعوا الشعراء — ولكنه كان يريد افتعال عراك معهم، فقاطعه، وقال: صدقت.. فلم يرد عليه لبيد وأكمل قائلاً: وكل نعيم لا محالة زائل.. فقال عثمان: كذبت، نعيم الجنة لا ينفد، فقال لبيد: يا معشر قريش متى كان يهان الشعراء في مجالسكم؟ فقالوا: دعه يا لبيد إنه في جوار الوليد بن المغيرة، فقال عثمان بن مظعون: لا رددت عليه جواره، فقاموا إليه يضربونه حتى جرت عينه بالدماء، وكان الوليد

بن المغيرة قادم من بعيد يضحك، فقال: يا بني لقد كنت في جوار عزيز، فقال عثمان بن مظعون: لا والله جوار الله أعز، وإن عيني السليمة لمشتاقة لما أصاب أختها في الله. فجاء النبي ﷺ فوضع يده الكريمة الشريفة على عين سيدنا عثمان بن مظعون فدعا له حتى برئت[1]...

عبد الله جحش :

قبل غزوة أحد كان جميع الصحابة يدعون الله أن ينصرهم على قريش، فلما بدأ عبد الله بن جحش بالدعاء قال: "اللهم إني أسألك إذا لقينا العدو غداً، ترزقني رجلاً شديداً بأسه، شديداً حرده، أقاتله فيك، ويقاتلني، ثم يأخذني فيجدع أنفي وأذني، فإذا لقيتك غداً قلت: يا عبد الله فيمَ جدع أنفك وأذنك؟ فأقول: فيك وفي رسولك، فتقول: صدقت..."[2].

أبو الدحداح :

أبو الدحداح أحد أصحاب النبي ﷺ، يملك بستاناً وهو أضخم

---

(1) أخرج القصة الطبراني في الكبير (8316)، وأبو نعيم في الحلية (103/1 – 104)، وابن حجر في الإصابة (461/4)، وانظر: مجمع الزوائد (34/6).

(2) أخرجه الحاكم (2409)، وأبو نعيم في الحلية (109/1)، والبيهقي في السنن الكبرى (12549)، وانظر: مجمع الزوائد (301/9)، وسير أعلام النبلاء (112/1).

بستان في المدينة، فيه ستمائة نخلة، فبينما هو جالس عند النبي ﷺ سمع آية واحدة وهي قول الله تبارك وتعالى: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾ [البقرة: 245]. فقال: يا رسول الله، أيريد منا ربنا قرضاً حسناً؟ قال: "نعم يا أبا الدحداح"، قال: يا رسول الله ابسط يدك، فمد النبي ﷺ يده، فوضع أبو الدحداح يده في يد النبي ﷺ وقال: يا رسول الله إني قد أقرضت ربي حائطي – أي بستاني –.. فخرج من عند النبي ﷺ إلى البستان ليخرج زوجته وابنه الطفل الصغير، فكانت زوجته داخل البستان ومعها الصبي وفي يده تمرة يضعها في فمه، فجعل ينادي من الخارج يا أم الدحداح اخرجي والصبي من البستان، البستان صار قرضاً لله عز وجل، وزوجته – المرأة المؤمنة – تقول: لبيك يا أبا الدحداح، وتُخرج التمرة من فم الصبي وتقول له: كخ كخ.. هو لله.. هو لله..[1].

عبد الله بن حذافة السهمي :

فعبد الله بن حذافة أسره الروم بعد وفاة النبي ﷺ في عهد أمير

---

(1) أخرجه الطبراني في الكبير (301/22)، وأبو يعلى في مسنده (4986)، والحكيم الترمذي في نوادر الأصول (61/2)، وانظر: مجمع الزوائد (114/3).

المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأخذوه إلى ملك الروم، وكان قد أسر مع عشرين من المسلمين.. فقال له ملك الروم: ءأنت سيد هؤلاء؟ فقال عبد الله بن حذافة: نعم، قال له: إني أعرض عليك أن تتنصر وتدخل في ديني وأعفو عنك، فقال: والله لو قطّعتني قطعاً قطعاً ما تركت ديني، فقال ملك الروم: فأعرض عليك نصف ملكي وتدخل في ديني، فقال: والله لو أعطيتني ملكك وملك كل ما أوتي العرب من ملك ما تركت دين محمد قيد أنملة، فقال: إذن أقتلك، قال: افعل ما تريد، فأخذوه وصلبوه وقال ملك الروم لقنّاصة الروم: اضربوا عليه السهام عند يديه، وظلت السهام تضرب على يدي الرجل الثابت ويقول له ملك الروم: تخرج من دينك وتدخل في ديني، ويرفض سيدنا عبد الله بن حذافة، ثم يضربوه بالنبال عند قدميه ويرفض عبد الله بن حذافة، فلما استمر الأمر على ذلك قال: أنزلوه وأحضروا إناءً عظيماً وأوقدوا تحته النار واملؤوه بالماء والزيت، وأحضروا اثنين من أصحابه وألقوهم أمام عينيه في الماء المغلي، وأوتي باثنين من أسرى المسلمين وألقوا في الماء المغلي فماتوا، فيقول: أتترك دينك أم أفعل بك مثل هؤلاء؟،فقال: افعل ما بدا لك، فقال: خذوه فألقوه، فأخذوه فلما وقف أمام القدر، بكى! فقال الرومان: أبشر يا ملك الروم لقد جزع – خاف – فقال: ردوه، قال: تخرج من دينك

وتدخل في ديني، فأبى، قال: ويحك فما الذي أبكاك؟!،قال: وقفت أمام النار وأمام القِدْر وليس لي إلا نفس واحدة فتمنيت لو كان لي بعدد شعر جسدي أنفس تخرج نفساً بعد نفس في سبيل الله عز وجل[1].

ونحن ما زلنا نقاوم أنغض بصرنا أم لا؟! وما زلنا نقول: لسنا قادرين على مقاومة المعاصي! وما زلنا نقول: لسنا قادرين نحن ضعفاء! انظروا إلى هذا الرجل وكم بذل من الحب.. فهو لا يبكي لأنه سوف يموت، إنه يبكي لأن ليس له إلا نفس واحدة وكان يتمنى أن تكون له أنفس كثيرة تزهق في سبيل الله.

عروة بن الزبير :

عروة بن الزبير ابن أخت السيدة عائشة رضي الله عنها وأخوه عبد الله بن الزبير، ذهب يوماً لزيارة أمير المؤمنين في دمشق ومعه ابنه الصغير، فحين وصل إلى دمشق وبينما كان ابنه يلعب مع الخيل دهسته الخيل فمات، وبعدها بيومين أصابه في قدمه مرض شديد، فقال الأطباء بأنه لا بد أن تقطع رجله، فقالوا له: نسقيك المسكر حتى لا تتألم حين نقوم بقطعها، فقال: لا أستعين بمعصية الله على قطع قدمي، قالوا: فنسقيك المرقط – وهو المخدِّر – قال: لا أحب

(1) انظر: الإصابة لابن حجر (58/4).

أن يسلب جزء من جسدي ولا أجد ثواب ذلك، قالوا: فنأتي بالرجال يمسكوك، قال: أنا آتيكم بالرجال، قالوا: كيف، قال: دعوني أصلي، فإذا دخلت في صلاتي وخشعت بين يدي ربي حتى وجدتموني كأني خرجت من الدنيا فانتظروني حتى أسجد فإذا سجدت فأنا مع ربي فافعلوا ما بدا لكم، فيسجد ويأتي الطبيب ويبدأ بقطع القدم ولا يسمع لعروة بن الزبير إلا سبحان الله والحمد لله والله أكبر..

وكلما اشتد الألم اشتد هو بالتكبير "الله أكبر لا إله إلا الله" حتى كثر الدم فجاء الطبيب بماء مغلي يضعه على القدم فأغشي على عروة ولم يخرج منه إلا التسبيح والذكر، فلما أفاق نظر وقال: أعطوني هذه القدم التي قطعت فجاؤوه بها، فقال: اللهم لك الحمد شيء من جسدي سبقني إلى الجنة، ثم نظر إليها وقال: اللهم إنك تعلم أني ما مشيت بها إلى معصية قط، ثم قال: يا رب كان لي أربعة أطراف فأخذت مني واحدة وأبقيت لي ثلاثة فلك الحمد كل الحمد، وكان لي بنون سبعة فأخذت واحداً وأبقيت ستة فلك الحمد كل الحمد، فلك الحمد على ما أعطيت ولك الحمد على ما أخذت ولك الحمد على ما أبقيت[1]...

---

(1) انظر: سير أعلام النبلاء (430/4)، وشعب الإيمان للبيهقي (198/7).

امرأة من التابعين :

امرأة من التابعين قالت شعراً في حبها لله عز وجل فتقول وهي تناجيه:

فليتك تحلو والحياة مريرة	وليتك ترضى والأنام غضاب
وليت الذي بيني وبينك عامر	وبيني وبين العالمين خراب
إذا صح منك الود فالكل هين	وكل الذي فوق التراب تراب

الجنيد :

وهو من التابعين، وكان يوماً يجلس بين عدد من التابعين وهم يتحدثون ويتساءلون من الذي يحب الله أكثر؟،فقال أحدهم: يحب الله أكثر من كان يقوم الليل، وآخر يقول: يحب الله أكثر من يصحب الطائعين ويترك الفاسقين، حتى وصل الأمر إلى الجنيد، فقالوا: هات ما عندك يا عراقي، فقال الجنيد: المحب لله عبدٌ ذاهبٌ عن نفسه متصلٌ بذكر ربه قائمٌ بأداء حقوقه ناظر إلى الله بقلبه، فإن تكلَّم فبالله، وإن نطق فبذكر الله وإن تحرك فبأمر الله، وإن سكن فمع الله، فهو لله وبالله ومع الله!

عبد الله بن عباس :

ومن النماذج سيدنا عبد الله بن عباس، فلقد قالوا: أحب عبد

الله بن عباس الله حباً شديداً حتى أنه لو قيل له: يا ابن عباس إن القيامة غداً ما استطاع أن يزيد في عمله شيئاً.

ابن تيمية :

يقول ابن تيمية: "إن في الدنيا جنة من لم يدخلها لم يدخل جنة الآخرة، قالوا: وما هي. قال: جنة معرفة الله ومحبة الله والشوق إلى الله والأنس بالله عز وجل"، ويقول: "مساكين أهل الدنيا خرجوا من الدنيا وما ذاقوا أحلى ما فيها"، فقيل له: وما أحلى ما فيها، قال: "حلاوة الأنس بالله". يقول: "إنه يمر بالقلب أوقات، أقول لو أن أهل الجنة في مثل ما أنا فيه من حلاوة القرب من الله لكفاهم هذا".

كيف نصل إلى محبة الله

1 – اترك الإصرار على المعاصي، أنا لا أقول لك: لا ترتكب المعاصي، فكلنا سيخطئ، ولكن إن أردت أن تصل إلى طريق المحبة، فلا تصر على معصية، فالأمور التي تعرف أنك مصر عليها فاسْعَ إلى إيقافها وجاهد نفسك على إيقافها، فسترتكب المعاصي لكنك ستتوب منها، فلو فعلت هذا، فهذا نصف الطريق إلى محبة الله عز وجل، والباقي كلُّه مكمِّل.

- لا تظنوا أن المحب لله معصوم، فلا تظنوا أن درجة حب الله أن

تكون معصوماً من الزلل، درجة الحب لله أنك حين تزل فإنك تعود بسرعة، تخطئ فتتوب بسرعة، فالتوبة والندم ملاصقين لدرجة المحبة. وهذه ليست دعوة لارتكاب المعاصي، ولكنها دعوة لأخبرك بأنك لست معصوماً، فلو أخطأت تب إلى الله بسرعة، وإياك والإصرار على معصية.

- يقول التابعون: كيف يشرق قلب صور الدنيا منطبعة بداخله؟ أم كيف يرحل إلى الله وهو مقيّد بشهواته؟ أم كيف يدخل على الله وهو لم يتطهر من نجاسة غفلاته؟

2 – اترك أصحاب السوء على الفور، وليس المقصود بأصحاب السوء الأشخاص الغافلون عن ربهم، بل أصحاب السوء الضائعون الذين يأخذون بيدك إلى المعصية دائماً.

3 -- صلِّ الصلاة في مواعيدها وابق على ذلك شهراً.

4 – ابدأ الصلاة في المسجد صلاة صلاة، ثم صلاتين، وابق شهراً على ذلك ثم ثلاثة، وإياك أن تبدأ دفعة واحدة، هذا الكلام موجه لمبتدئ يريد الانتقال إلى طاعة الله وهو بعيد.

5 – أكثر من ذكر الله، فاذكره ولو ثلث ساعة في اليوم وأكثر من الدعاء. وخاصة بالثبات على الإيمان والحفظ من المعاصي ومن الدعاء: "اللهم أرني الحق حقاً وارزقني اتباعه، وأرني الباطل

باطلاً وارزقني اجتنابه".

6 – احفظ الجزء الثلاثين من القرآن، وبعد أن تحفظه صلِّ به قيام الليل ولو يوماً واحداً في الأسبوع. ثم احضر حلقة يدرس فيها القرآن.

7 – احرص على صحبة الصالحين، ابحث عن أصحاب متدينين، وادع والجأ إلى الله أن يرزقك بأصحاب متدينين.

8 – حدث أصحابك في الدين وخذ بأيديهم...

والله من سيفعل هذه الخطوات لن يزل إن شاء الله.. من سيفعل هذه الأمور سيصل إلى طريق المحبة... فطريق المحبة ليس صعباً، ولا تظن أن قربك من الله مرتبط بحضور درس فقط أو قراءة كتاب، فالمسألة ليست مسألة درس أو قراءة كتاب، فالذي يعطي الدرس اليوم سيموت غداً.. والإسلام ليس متوقفاً على شخص، ولم يكن كذلك أبداً، فالإسلام لا يرتبط بمجهود شخص...

هل أنت مرتبط بالإسلام وقررت السير إلى الله، قد تقول بأن هذه الأمور صعبة، أليس التعليم صعب وبقيت خمس عشرة سنة تتعلم، لماذا لم تقل إنه صعب؟.وكذلك الزواج صعب وتربية الأولاد صعبة، والعمل صعب؟،والنجاح في الحياة صعب، وتحصيل الأمور صعب، لماذا حين نصل إلى الدين يقال: إن الخطوات كبيرة وسنقع..

حين تبدأ بالخطوات سيتعرض لك الشيطان، وسيبذل كل جهده خلال هذه السنة - فهذه الخطوات تحتاج من ستة أشهر لسنة - فخلال هذه الفترة سيتعرض الشيطان لك، ونفسك ستقاوم ليل نهار، وسيهزأ بك أصدقاؤك، وسيقاومك الناس، وستقع في المعاصي والزلل مرة بعد أخرى، وستعرض عليك الفتن مرة بعد أخرى، وستبقى في امتحان مستمر... لا تخف فالله معك.. وحافظ على هذه الخطوات، والله سيسدد خطاك خطوة خطوة، وسيرقيك وأنت لا تعرف كيف ترقى، وستجد أن الله يؤيدك وأنت لا تعرف كيف، ويرتقي بك ويفهمك ويرفعك وسيدخلك منزلة المحبة، وستجد أنك أصبحت تشعر بالمعاني التي تتكلم بها عن السلف، وقلبك يرفرف في ركعة وتخشع لله...

الباب الخامس

حب الله للعبد

القلب بمنزلة الملك الذي له جنود، فمن هم جنود القلب؟ إنهم الأعين واللسان والحواس، فإذا أردت معرفة حال قلبك، فانظر لجنوده، أليس يقال: إذا صلح الملك صلحت الرعية، وإذا فسد الملك فسدت الرعية!.. انظر إلى قلبك وستعرف من خلاله حال جوارحك، وانظر إلى جوارحك وستعرف حال الملك.. ولهذا يقول النبي ﷺ: "ألا إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب"[1]

.. ويعلمنا الله تبارك وتعالى بأن الأعمى ليس أعمى النظر، يقول الله تبارك وتعالى: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَـٰرُ وَلَـٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ﴾ [الحج: 46] فالذي يعمى هو القلب، فانظر

(1) أخرجه البخاري (52)، ومسلم (1599) عن النعمان بن بشير رضي الله عنه.

فهل أنت مبصر القلب أي مبصر البصيرة أم قد أصابك العمى.

إن القلوب هي محل نظر الله عز وجل.

يقول النبي ﷺ: "إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم"[1]. فمحل نظر الناس هو ثيابك التي ترتديها أو سيارتك التي تركبها أو لون عينيك أو تسريحة شعرك، لكن محل نظر الله هو القلب وما حاله!

فاحذر! أن يكون محل نظر الناس إليك على أشياء أنت تجملها، ومحل نظر الله إليك – وهو القلب – على أشياء سخيفة وخبيثة ورذيلة، فيكون نظر الناس إلى أمور مجمّلة، ونظر الله إلى أعضاء كلها خبث! فتكون تزين كل ما يراه الناس، وتهمل ما يراه وينظر إليه الله!.. انظر إلى قلبك فإن محل نظر الله إليك هو هذا القلب!

ولهذا كان هدف هذه السلسلة المحافظة على القلب، الذي سمي قلباً لشدة تقلبه، حتى أن النبي ﷺ وهو المعصوم من دعائه الشهير الذي كان يردده مرات عديدة: "يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك"[2].

---

(1) أخرجه مسلم (2564) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(2) أخرجه الترمذي (2140)، وأحمد (11697) عن أنس رضي الله عنه.

أنا أوجه هذا الكلام لأشخاص قد مضى عليهم عشرون عاماً وهم غافلون عن قلوبهم، وهو ينظر في المرآة كل يوم عشر مرات، كيف يمكن أن يجمّل وجهه، ولم ينظر في حياته إلى قلبه وكيف يقوم بتجميله، كيف يكون هذا القلب سليماً، كسيدنا إبراهيم ﴿إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الصافات: 84] أي نقي خالٍ من الأدران، خالٍ من الخبائث، خالٍ من الغل، خالٍ من الضغينة، خالٍ من الحقد، خالٍ من الحسد، خالٍ من حب شهوة تملكته لعشر أو خمس عشرة سنة...

ولأهمية هذا الموضوع، إصلاح القلوب والحرص على جعلها وإبقائها نقية، وأن يكون القلب هو محل الاهتمام قبل الوجه والشعر والزينة وكل المظاهر الخارجية... هذا كان عبد الله بن رواحة رضي الله عنه يأخذ بيد أبي الدرداء ويقول له: "اجلس بنا نؤمن ساعة فإن القلب أسرع تقلباً من القدر إذا استجمعت غلياناً"[1].

محبة الله عز وجل

إن الحديث عن محبة الله في معظم الكتب يتناول الحديث عن محبة الناس لله، فتجد مئات الكتب التي تتكلم عن محبة أشخاص لله..

---

(1) أخرجه ابن المبارك في الزهد (1395)، والحكيم الترمذي في نوادر الأصول (273/1).

ولكن القليل تكلموا عن حب الله لعباده، ولهذا وجدت أن من المفيد التحدث عن هذا المعنى...

. كيف يحب الله عبده؟.. وما علامات هذا الحب؟ ونماذج الناس الذين أحبهم الله.. ولعلك تسأل ما هو هدف هذا الكلام؟، فيكفي أن نعرف كم يجب علينا أن نحب الله... وستفاجسأون بكمية من الأحاديث والآيات التي تصف كم يحب الله عباده! أما هدف هذا الكلام فهو تصحيح مفهوم كثير من الناس في علاقتهم بالله عز وجل، فهناك الكثير من الناس علاقتهم بالله علاقة عبادة لا روح فيها يفهمون من تلك العبادة أنها أوامر وعليهم التنفيذ ويقومون بأدائها أداءً روتينياً.

وأحياناً يقول بعضهم: لماذا أمرتني بهذا يا رب! أنا مضطر لأنفذ رغماً عني... فهذا النمط من التفكير سببه أن هذا الشخص غير فاهم لمعنى الكلام عن محبة الله للعبد!

فالكلام كله سوف يدور حول محبة الله لعباده حتى أنتقل بك من شخص يعبد الله بروتينية، وحركات تؤدى أو أمور مجهدة لقلبك، إلى عبادة تؤدى بحب...

يقول الله تبارك وتعالى: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ [المائدة: 54]، كان من الممكن أن يأمرنا بحبه وكنا سنطيع! ولكنه قدّم

في الآية حبه لعباده على حبهم لهم، وكأن الله يعلمنا بأن هناك علاقة جميلة جداً فالموضوع ليس موضوع أنه ينبغي أن تصلوا خمس صلوات وتفعلوا هذا.. فالموضوع موضوع محبة، الموضوع الذي بيننا وبين الله الخالق علاقة جميلة، أساسها الحب، وأساس هذا الحب يبدأ من الله عز وجل وهو الغني عنا، ثم تثنى هذه العلاقة بحبنا إلى الله ونحن الفقراء إليه، أرأيت! ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ...﴾.

يقول النبي ﷺ: "إن الله إذا أحب عبداً نادى جبريل: يا جبريل إني أحب فلاناً فأحبه، فيحبه جبريل، فينادي جبريل في أهل السماء: يا أهل السماء إن الله يحب فلاناً فأحبوه، فيحبه أهل السماء، ثم يوضع له القبول في الأرض"[1]...

ينبغي أن ننظر كم أن الله تعالى رحيمٌ بنا ويحب عباده ويكرمهم... احذروا أن تكون علاقتكم مع الله علاقة خوف أو رعب أو علاقة نار، أحياناً ينبغي أن نشعر بهذا المعنى، لكن أصل العلاقة الحب.

وانظر كيف أن الله تبارك وتعالى يعلن حبه للعبد، فبعض الناس يخجلون أمام أصدقائهم أن يقولوا نحن نحب الله كثيراً حتى لا يسخروا منهم ويتهمونهم بالرجعية.

---

(1) أخرجه البخاري (3209)، ومسلم (2637) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

فالله تبارك وتعالى يعلن في السماء "يا جبريل إني أحب فلاناً فأحبه" وكذلك جبريل عليه السلام لا يكتم حبه فينادي جبريل في السماء "يا أهل السماء إن الله يحب فلاناً فأحبوه" ولا يكفي أن يبقى هذا الحب في السماء بل ينزل الحب إلى الأرض ويعلمه الناس، ولكن كيف يعلموه؟! "..ثم يوضع له القبول في الأرض".

إن الله يحب أصنافاً كثيرة من البشر، ولقد قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ﴾ التوابون هم الذين كانوا يعصون، ولكن عندما يتوب وينيب ويخلص في توبته فإن الله يحبه ويتحقق فيه الكلام السابق وهذا بنص القرآن ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: 222].

ويقول تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: 195].

ويقول سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة: 4].

ويقول جل جلاله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ [المائدة: 42].

فإن حب الله ليس مخصوصاً لطائفة معينة من الناس كالأنبياء فقط، بل إنك إذا فزعت ولجأت بتوبة إلى الله من ذنب أنت مصر عليه تحصل بذلك على حب الله تبارك وتعالى...

ماذا يحصل إذا أحب الله عبداً...

يقول الله تبارك وتعالى في الحديث القدسي: "من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب"..

ومن هو الولي؟،فهل ينبغي أن يكون شيخاً معمماً، أو خريج جامعة شرعية، أو الذين يقول عنهم الناس أنهم من أولياء الله الصالحين، وهل الولاية محصورة بهؤلاء؟،لا، فأنت قد تكون ولياً، فالولي قد يكون شاباً بين الناس ولا يختلف عنهم في الظاهر شيئاً، ولا أحد يتوقع أن يكون هذا ولياً، فالآية واضحة ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿62﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ﴾[يونس:62-63]فبمجرد أن تؤمن وتتقي الله تكون من الأولياء.. ومعنى أن تتقي الله أي أن يكون الغالب على حياتك كونك تبحث عن طاعة الله وترك معصية الله، فإذا كنت كذلك فمن عاداك فإن الله يعلن عليه الحرب... انظر إلى هذا الحب، وهل تتخيل أن يعلن الله الحرب على من يعادي فلان أو فلانة... فلو أن امرأة صالحة تقية نقية وزوجها يؤذيها، يُعلَن عليه الحرب من الله عز وجل... فهل تتخيلون درجات الحب...

ونحن بهذا الكلام نريد تأكيد فكرة النظر إلى العلاقة مع الله على أنها علاقة حب قبل كونها علاقة أوامر وتكليف.

كيف نصل إلى الله!

"من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها ولئن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنَّه"[1].

فالذي يريد أن يكون وليّاً فما عليه إلا التقرب بما افترضه الله عليه، الصلوات الخمس وغيرها مما افترضه الله تعالى "وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه". فالموضوع سهل، فبإمكان فتاة صغيرة لا يزيد عمرها عن ست عشرة سنة أن تكون من أولياء الله عز وجل بمجرد أنها قد حافظت على فرائضها وعلى صلاتها وعلى حجابها وكل الفرائض...

"... ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه..." فبعد أن أتممت الفرائض ابدأ بالنوافل، فالسيدات اللاتي يقلن إننا نتقي الله ونصلي... و... و... ولكنني لست محجبة... فالذي ينبغي أن يكون أولاً هو الفرض وبعدها ننتقل إلى النوافل، فعلى أي فتاة مسلمة أن تكمل بإقبالها على الله تعالى، ولكن لكي تصل إلى منزلة المحبة فعليها

---

(1) أخرجه البخاري (6502) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

إتمام الفرائض ثم الإتيان بالسنن..

".. ولا يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به.." فلا يسمعك إلا الحلال الجميل، ولو سمعت حراماً يجعلك تستفيد منه فتعرف أخطاء الظالمين فلا تقع في مثلها! "، "... كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به.." تخيَّل أن يكون الله بصرك الذي تبصر به.. إنه حقاً لحب كبير.. فيا أيها الذين أضعتم عمركم في البحث عن حب وهمي، فلن تصلوا إليه إلا إذا كنتم في الحلال وعبر زواج.. فقد مضى عليكِ عشر سنين وأنت تبحثين عن حب شاب غفل بلكِ عن حب كحب الله تعالى... فمسكين أنت يا من غفلت عن معرفة الله حق المعرفة.

"... كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها ولئن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه...".

هل رأيت إلى أين وصلت درجة الحب! هل رأيت كيف يمكن هذه العلاقة أن تكون جميلة لأي درجة.

أرأيت الحب! ولذلك يقول العلماء كلمة جميلة للغاية، فهم يقولون: "ليس العجب من عبد يتودد إلى سيده، لكن العجب كل العجب في ملك يتودد إلى عبيده".

يقول تعالى في الحديث القدسي: "من تقرَّب إليَّ شبراً تقرَّبت إليه ذراعاً، ومن تقرَّب إلي ذراعاً تقرَّبت إليه باعاً، ومن أتاني يمشي أتيته هرولة"[1].

تأمل كلمة هرولة، وهل أنت متخيّل هرولة مِنْ مَن على من - إنها هرولة تليق بجلاله -، معاذ الله أن نشبِّه أو نجسِّم، لكن انظر إلى الأمر، فالله في عليائه يتودد إليك، وماذا تساوي أنت أيها المسكين حتى يتودد إليك ويأتيك هرولة، من أنت!!

فالنبي ﷺ يقول: "ما السماوات السبع مع الكرسي إلا كحلقة ملقاة بأرض فلاة، وفضل العرش على الكرسي كفضل الفلاة على الحلقة.."[2].

فما هو حجمك؟!ومع ذلك فإنه تعالى يتودد إليك ".. ومن أتاني يمشي أتيته هرولة..".

وتأمل كم يحبنا الله تعالى، يقول النبي ﷺ: "ينزل ربنا تبارك وتعالى - نزولاً يليق بجلاله - إلى السماء الدنيا في الثلث الأخير من الليل.." هذا الوقت الذي نكون فيه نائمين، أو الذي يكون الشبّان

---

(1) أخرجه البخاري (7405)، ومسلم (2675) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(2) أخرجه ابن حبان (77/2)، وأبو محمد الأصبهاني في العظمة (570/2)، وأبو نعيم في الحلية (167/1).

والشابات منتظرين أولياءهم ينــاموا حتى يشاهدوا قناة فضائية تبث معصية، أو إنترنت يتكلموا فيه ولا أحد يراهم، أو عبر تليفون يرتكبون معصية، هذا الوقت الذي تكثر فيه المعاصي أو النـــوم! "..ينزل ربنا تبارك وتعالى إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل يقول: هل من سائل فأعطيه، هل من مستغفر فأغفر له، هل من تائب فأتوب عليه، هل من داع فأجيبه"، وذلك كما يقول النبي ﷺ: "في كل ليلة"[1].

وهذا يعني أن الإنسان لو بقي سنيناً وأياماً غافلاً عن الله، بل لو بقي العمر كله وكل البشرية غافلة عن الله في هذا الوقت لم يتوقف الله تبارك وتعالى، عن النزول كل ليلة يعرض التوبة والمغفرة وقضاء الحوائج... سبحانه وتعالى.

إنها علاقة جميلة، وربنا تبارك وتعالى يريد أن ينشئ هذه العلاقة المبنية على المحبة بينه وبين العبيد الفقراء المعرضين.. ولتعرف كيف يريد الله أن ينشئ هذه العلاقة، تأمّل هذا الحديث القدسي، يقول الله تبارك وتعالى: "قسمت الصلاة بيني وبين عبدي قسمين، فإذا قال العبد في صلاته ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، قال

(1) أخرجه البخاري (1145)، ومسلم (758)، وأحمد (9308) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

الله: حمدني عبدي، وإذ قال: ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾.. قال الله تعالى: أثنى عليَّ عبدي، ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾.. مجَّدني عبدي.." لذلك يقول أحد التابعين: (أحب حين أقرأ الفاتحة أن أتمهل لأتخيل رد ربي).

"... ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾.. هذا بيني وبين عبدي ولعبدي ما سأل ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾.. هذا لعبدي ولعبدي ما سأل.."[1].

ما هو تقسيم الصلاة؟ ولماذا قسمت الصلاة بيننا وبين الله عز وجل؟ وما الهدف؟

ولذلك لما فهم سيدنا علي بن أبي طالب هذه العلاقة، فهم أن هناك علاقة حب، وأن المسألة ليست مسألة أمر بالصلاة أو الزكاة أو غير ذلك، بل فهم أن المسألة مسألة حب، فقال: "لو قيل لي يوم القيامة سنجعل حسابك لأبيك وأمك لرفضت لأن الله أرحم بي من أبي وأمي..".

هناك علاقة حب يكلمنا عنها الله تبارك وتعالى في آيات

---

(1) أخرجه مسلم (395) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

وأحاديث كثيرة، ولعلك تسأل، ولماذا كل هذا الحب؟! وسأضرب لك مثالاً حتى يسهل الفهم:

من يصنع منا شيئاً بيده هل يحبه أم لا، الذي كتب قصة وتم نشرها هل يحبها أم لا.. أولادك لماذا تحبهم كثيراً! لأنهم قطعة منك وتشعر بأنك تمتلكهم، كل من أنتج شيئاً فهو يحبه فمن بنى شركة أو مصنعاً يكون مرتبطاً بما بناه لأنه يخصه ويحبه.. وحتى تعلم سبب هذا الحب كلُّه تأمَّل قول الله تعالى مخاطباً إبليس حين رفض أن يسجد لآدم قال: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: 75]. فآدم أبوك قد خلق بيد الله عز وجل.

ويقول الله تبارك وتعالى: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ﴾ [الحجر: 29] العلاقة وطيدة، وينبغي أن نفهم درجات هذه العلاقة.

دلائل حب الله للعبد

ما دليل حب الله للعبد، قد تقول: إن الآيات والأحاديث السابقة إنما هي لتأكيد أن الله يحبنا..

أنا أطرح هذا السؤال لأن كثيراً من الناس يقولون نحن نحب الله ولكن هذا لا يعدو أن يكون كلاماً.. فأحدهم يدعي أن قلبه

ممتلئ بحب الله، وإذا سألته: هل تصلي؟ يجيبك: لا! ويدعي أن قلبه عامر بالإيمان! وهو لا يفعل أي أمر! فكل الناس تدعي حب الله عز وجل وهذا كلام!

إن الله تبارك وتعالى حين يكلمنا عن حبه لنا، ينبغي أن يكون الكلام عملياً، فدلائل حب الله للعبد:

1 - من دلائل حب الله لنا عدم تعجيل العقوبة، لماذا؟ لأنك قد تتوب.

- يقول العلماء: إن ملك الشمال إذا هممت بسيئة فإنه لا يكتبها، وإنما يؤخرك ساعة لعلك تتوب. أما ملك الحسنات فحين تفكر بالحسنة فإنه يكتبها مباشرة.
- فلا يوجد تعجيل للعقوبة، وهذا من دلائل حب الله..
- يقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ﴾ [الكهف: 58].
- وتأمل قول الشاعر:

من كان في سخطه محسناً فكيف يكون إذا ما رضي

2 - قبول التوبة، ﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ﴾ [غافر: 3]. فمن دلائل حبه لك قبوله توبتك وببساطة، تأمّل الآية: ﴿وَمَن يَغْفِرُ

﴿ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: 135] فهل لكم شخص آخر يغفر لكم! وهل لكم شخص آخر يرحمكم!

3 – من دلائل حب الله للعبد أن الحسنة بعشر أمثالها وأن السيئة بمثلها، ومن هم بحسنة ولم يفعلها فإنها تكتب له حسنة لأنه نواها، أما من هم بسيئة ولم يفعلها لا تكتب عليه، بل إذا تركها من أجل الله تكتب حسنة[1].

- ولو كان الأمر قياساً منطقياً، فالمنطق أن الحسنة تكتب لك حسنة والسيئة تكتب عليك سيئة. ولكن لماذا كانت الحسنة بعشرة أضعاف إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة.. أليس هذا دليل حب، أليس هذا دليل محبة الله تبارك وتعالى لنا؟

4 – إعطاء ثواب كبير على أشياء بسيطة جداً، كصيام يوم عرفة فإنه يكفر سنة ماضية وسنة قادمة[2]، أليس هذا دليل حب! وكيف نتعامل مع رب يحبنا ويكرمنا كل هذا الكرم ويكون ردنا إساءة.

- نحن نقول بألسنتنا بأننا نحب الله ولكن حين ننظر إلى أعمالنا لا

---

(1) كما ورد عند البخاري (7501)، ومسلم (129) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(2) كما ورد في الحديث الذي أخرجه مسلم (1162) عن أبي قتادة رضي الله عنه.

نجد أي دليل على حبنا لله، ولكن الله تعالى حين يقول أحبهم لا يطلب منك أكثر من صيام يوم واحد فيغفر لك سنة ماضية وسنة قادمة.

- صيام يوم عاشوراء يكفر سنة ماضية[1]، لماذا؟ وهل يغفر كل ما ارتكبه المرء في السنة التي سبقت لمجرد أن صام يوماً؟ نعم! لماذا؟ لأنه يحبك ويريد أن يغفر لك ولا يريد إدخالك النار... أما تستحي!
- وكذلك فإن الصلوات الخمس مكفرة لما بينهن إذا اجتنبت الكبائر[2]، فحين يصلي المرء الصلوات الخمس يغفر كل ما بينها من الذنوب..
- رمضان إلى رمضان يكفر ما بينهما، الجمعة إلى الجمعة تكفر ما بينهما[3]، فما هذه الرحمات؟ وما هذا الحب كلُّه؟ العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما[4].

---

(1) انظر: الحديث السابق.

(2) كما في الحديث الذي أخرجه مسلم (233) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(3) انظر: الحديث السابق.

(4) كما في الحديث الذي أخرجه البخاري (1773)، ومسلم (1349) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

- إن قلت: سبحان الله في اليوم مائة مرة تنال ألف حسنة، إنه حب وليس تعامل بعدد إنه رحمة، فكيف ترد على هذا بإساءة أو غفلة؟!
- وكيف تنشغل إحداهن بالموضة أو الأزياء أو تسريحة الشعر والأصحاب عن الذي يحبك كل هذا الحب؟؟
- فمن قال: "سبحان الله وبحمده في اليوم مائة مرة غفرت ذنوبه وإن كانت مثل زبد البحر"[1]...

"الحمد لله تملأ الميزان"[2]، فإذا قلت الحمد لله يُمْلأُ ميزانك بالحسنات...

- "رحم الله رجلاً قام من الليل فأيقظ زوجته فصليا ركعتين"[3] فإن صلى مع زوجته ركعتين رحمهما الله تعالى.. لماذا هذا الثواب الكبير على أمور صغيرة؟ أليس هذا دليل حب؟
- "من قال كل يوم صباحاً ومساءً رضيت بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ نبياً كان حقاً على الله أن يرضيه"[4].

---

(1) أخرجه البخاري (6405)، ومسلم (2691)، والترمذي (3466) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(2) أخرجه مسلم (223) عن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه.

(3) أخرجه أبو داود (1308)، والنسائي (1610)، وابن ماجه (1336)، وأحمد (7362) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(4) أخرجه أبو داود (5072)، وأحمد (18490) عن خادم النبي ﷺ وأخرجه الترمذي (3389) عن ثوبان رضي الله عنه.

- "من قال: بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم ثلاث مرات صباحاً ومساءً لم يضره شيء في ذلك اليوم"[1].
- "من نزل منزلاً فليقل أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق فإنه لا يضره شيء"[2] أي يؤمن من لدغ العقارب والحيات وكل ما يؤذيه...
- يقول النبي ﷺ: "من صلى عليّ صلاة صلى الله بها عليه عشراً..."[3].
- من يقول كل يوم صباحاً ومساءً: "اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوء لك بنعمتك علي، وأبوء بذنبي، فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت" فإن مات في يومه أو ليلته فهو من أهل الجنة"[4].
- أليس كل ما سبق من دلائل حب الله عز وجل.

---

(1) أخرجه أبو داود (5088)، والترمذي (3388)، وأحمد (476) عن عثمان رضي الله.
(2) أخرجه مسلم (2708) عن خولة بنت حكيم رضي الله عنها.
(3) أخرجه مسلم (384) عن عبد الله عن عمرو بن العاص رضي الله عنهما.
(4) أخرجه البخاري (6306) عن شداد بن أوس رضي الله عنه.

5 – من أدلة حب الله أن أسماء الله الحسنى التي تدل على رحمته أكثر من أسمائه التي تذكر بوعيده وانتقامه، فهو الرحمن، الرحيم، الغفور، التواب، العفو، الرؤوف، الودود، الحليم، الصبور، الكريم، الشكور..

- كل هذه تحمل معاني الحب والود، .. وأحياناً نجد في بعض آيات القرآن اسمين من هذه الأسماء متتاليين، فلا تظن أن كل هذه الصفات مترادفات، فكل اسم يدل على حب من ناحية معينة.
- فعلى سبيل المثال نجد في الآية على لسان سيدنا شعيب: ﴿إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ﴾ [هود: 90] ففرق كبير بين الرحيم والودود كالفرق تماماً بين الغني الذي يطعم فقيراً، والغني الذي يطعم صديقاً، فالذي يطعم الفقير يكون رحيماً، والذي يطعم الصديق يكون ودوداً.. فالرحيم يعطيك لأنك محتاج، والودود يعطيك كي تبقى المحبة...
- ﴿إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ﴾ تأمل كلمة ودود.. حين تقول: إن فلاناً ودود جداً، هذا يعني أنك كلما تراه فإنه يعاملك بود، فما رأيك بأن من أسماء الله تعالى الحسنى الودود، أي الذي يتودد إلى عباده، فيغمرهم بعطفه...

6 – من دلائل حبه لنا أنه تعالى يطلب منا ويحثنا أن نقوم بدعائه

ليقضي حوائجنا، .. ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: 60].

- ويقول النبي ﷺ: "من لم يسأل الله يغضب عليه"[1]، هو تعالى الذي يريدك أن تدعوه، بنو آدم حين تطلب منهم وتلح عليهم يسأموا منك ويضجروا، والله كلما تلح عليه كلما أحبك أكثر..
- يقول النبي ﷺ: "إن الله يحب الملحِّين في الدعاء"[2]، فكان طاووس رضي الله عنه – أحد التابعين – يدعو ويدعو ويلح ويقول: لا ألح لقضاء مسألتي ولكن ألح لأنه يحب الإلحاح...
- وتأمل قوله تعالى: ﴿أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾ [النمل: 62] فمن غيره تعالى يجيب المضطر إذا دعاه...
- وتأمل حين يقول ﷺ: "إن الله حيي كريم يستحي إذا رفع العبد إليه يديه يدعوه أن يردهما صفراً خائبتين"[3].

---

(1) أخرجه الترمذي (3373)، وابن ماجه (3827) عن أبي هريرة رضي الله عنه

(2) أخرجه العقيلي في الضعفاء (452/4)، وابن أبي حاتم في العلل (2087)، وابن عدي في الكامل (163/7)، والحكيم الترمذي في نوادر الأصول (282/2) عن عائشة رضي الله عنها، وانظر: كشف الخفاء (285/1 – 287).

(3) أخرجه أبو داود (1488)، والترمذي (3556)، وابن ماجه (3865)، وأحمد (23202) عن سلمان رضي الله عنه.

7 - من دلائل حبه تعالى لعباده أنه يطمئن عباده، وسأضع بين يديك آيات تشعر بأن الله تعالى يطمئننا.. ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾ [الأنعام: 54] وجاء في الحديث: "لما قضى الله الخلق كتب عنده فوق عرشه إن رحمتي سبقت غضبي"[1].

- وتأمل هذه الآية: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [البقرة: 185].
- وتأمل هذه الآية: ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾ [النساء: 27].
- وتأمل قوله تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ﴾ [النساء: 28].
- وبعد غزوة أحد حين كان الصحابة يرجعون من هذه الغزوة وقد قتل منهم سبعين شهيداً، سيدنا حمزة رضي الله عنه كان من بينهم، والنبي ﷺ جُرِحَ، والقوم في تعب شديد، وحالتهم النفسية صعبة للغاية فنزلت هذه الآيات: ﴿وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿139﴾ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾ [آل عمران: 139-140].

---

(1) أخرجه البخاري (7453)، ومسلم (2751) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

8 - ومن دلائل رحمته تعالى وحبه لعباده أنه قد أعد الجنة بنفسه، يقول تعالى في الحديث القدسي: "أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر"(1).

• أرأيت حب الله تبارك وتعالى...

قد يتبادر إلى الذهن سؤال مفاده: إذا كان الله تعالى يحبنا كل هذا فَلِمَ كل هذه المصائب والبلايا؟

إن الله يبتليك أحياناً حتى تفيق من معصية، وهذا من حبه لك.

ويبتليك أحياناً حتى يرفع درجتك في الجنة، وهذا من حبه لك.

ويبتليك أحياناً حتى يكفر عنك خطيئة كانت ستودي بك إلى النار، وهذا من حبه لك.

ويبتليك أحياناً حتى يذكرك بنعمته عليك وتعرف حين يأخذها منك ما الذي يحدث لك فترجع لتتذكره وتشكره، وهذا من حبه لك.

ويبتليك أحياناً حتى تعرف حقيقة الدنيا فتشتاق للجنة وللقاء الله تعالى.. وهذا من حبه تعالى لك.

---

(1) أخرجه البخاري (3244)، ومسلم (2824) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

ويبتليك أحياناً ليعلمك أن ترضى عن أفعاله وحكمته.. وهذا أيضاً من حبه لك.

ويبتليك أحياناً حتى يدخلك الجنة من غير حساب... ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: 10].

فمن حبه لك لا يريد أن يعرضك لوقفة يوم القيامة، فهو يحبك ولا يرضى لك من حبه إياك أن تشقى وتتعب في وقفة يوم القيامة...

قد يبتليك بزوجة تتعبك فتصبر وترحمها وتحافظ عليها ولا تطلقها وتبقيها لأنك تريد الوصول من غير حساب، فاصبر.. ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾. وكأنه يبتليك ليصفيك لأنه يحبك ويريدك أن تدخل الجنة ولا يرضى لك أن تدخل النار... ووالله إنه من حبه لعبده يبتليه قليلاً ثم يُقلب الابتلاء إلى نعمة...

انظر لحال الأنبياء:

هذا نوحٌ عليه السلام يُستهزأ به ويضرب حتى يغشى عليه من كثرة الضرب، لكنها فترة قصيرة بالنسبة لعمر الدنيا وينجو في السفينة ويهلك أعداؤه.

وهذا الخليل إبراهيم عليه السلام يلقى في النار، ولكنه بعد هذا

بقليل يُكَرَّم ويرفع قدره في العالمين، فكل الناس يحبون سيدنا إبراهيم عليه السلام.

وهذا الذبيح إسماعيل عليه السلام يضطجع مستسلماً للذبح طاعة لله رب العالمين فينزل الفداء من الله تعالى إكراماً له على طاعته وصبره.

وهذا يعقوب عليه السلام يفقد بصره حزناً على فراق يوسف، ولكنها فترة قليلة ويعود الحبيب يوسف عليه السلام إليه ويرد الله على يعقوب عليه السلام بصره.

وهذا الكليم موسى عليه السلام يعمل يرعى الغنم عشر سنين، ولكن الله سيرفعه بعد ذلك ويجعله كليم الله عز وجل.

وهذا عيسى عليه السلام، بالأمس تتهم أمه العذراء بحملها فيه، ولكنه بعد قليل يصير هو وأمه أعظم خلق الله عند الله في زمانه.

وهذا نبينا محمد ﷺ، بالأمس كان يقال له: اليتيم، ويبتعد عنه الناس ليتمه، ولا يجد مرضعة ترضعه، ويطرد من بلده ويبعد، ولكن بعد ذلك يعرج به إلى السماء في أعلى مقام عند الله، وبعدها يدخل مكة فاتحاً، ويقول للذين طردوه: "اذهبوا فأنتم الطلقاء"[1].

هل يحب الله عباده أم لا؟!!

---

(1) أخرجه ابن إسحاق كما في السيرة لابن هشام (74/5)، والطبري في تاريخه (161/2)، والبيهقي في السنن الكبرى (18055).

علامات حب الله للعبد

1- الحماية من الدنيا :

من علامات حب الله للعبد أن يحميه من الدنيا، فلا يدع الدنيا تأكله، ولا يدع الدنيا تسيطر عليه، فلا يكون طوال الأربع والعشرين ساعة لا يرى إلا الدنيا...

فإذا وجدت نفسك طوال الأربع والعشرين ساعة متذكراً لله، فهذه من علامات حب الله للعبد.

يقول النبي ﷺ: "إن الله ليحمي عبده المؤمن من الدنيا - وهو يحبه - كما تحمون مريضكم الطعام والشراب تخافون عليه" رواه الحاكم وهو صحيح[1].

ويقول النبي ﷺ: "إذا رأيت الله يعطي العبد من الدنيا على معاصيه ما يحب فإنما هو استدراج"[2] ثم تلا رسول الله ﷺ: ﴿فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ﴾ [الأنعام: 44].

---

(1) أخرجه ابن أبي عاصم في الزهد ص (11)، والحاكم (7465)، والبيهقي في الشعب (10450).

(2) أخرجه أحمد (16860) عن عقبة بن عامر رضي الله عنه، وانظر: مجمع الزوائد (20/7).

2- التدين :

من علامات حب الله تعالى للعبد أن يجعله متديناً، فإذا وجدت نفسك مقبلاً على التديُّن، حتى لو كنت في بداية التديُّن وأنت في أول الطريق لكنك في كل يوم تقبل على التديُّن خطوة، فهذه من علامات حب الله.

وحتى الأخوات اللاتي لم يرتدين الحجاب، ولكنهن بدأن وهن يتقدمن في التديُّن فهي تمشي في طريق محبة الله عز وجل.. والدليل على هذا حديث النبي ﷺ: "إن الله عز وجل يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب ولا يعطي الدين إلا لمن أحب فمن أعطاه الله الدين فقد أحبه"[1].. فإذا وجدت نفسك مقبلاً على التدين فاعرف أن هذا من علامات حب الله عز وجل لك.

3- التفقه في الدين :

من علامات حب الله تعالى التفقه في الدين.

وهذه مسألة متدرجة كالتدين أي يمكنك تحصيلها شيئاً فشيئاً، ففي بادئ الأمر قد تكون لا تعرف شيئاً أبداً، فتبدأ بالتجويد ثم

(1) أخرجه أحمد (3663)، والحاكم (3671)، والبيهقي في الشعب (5524)، وأبو نعيم في الحلية (166/4) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، وانظر: مجمع الزوائد (53/1).

بحفظ جزء من القرآن فهذا من علامات حب الله تعالى لك.

4- الرفق :

من علامات حب الله تعالى للعبد أن يعلمه الرفق، فيجعله حليماً، فالشخصية العصبية والتي تفتعل المشاكل لأتفه الأسباب تشعر بأن هذه العلامة بعيدة بعض الشيء، والدليل قوله ﷺ: "إذا أراد الله عز وجل بأهل بيت خيراً أدخل عليهم الرفق"[1].

5- تيسير الطاعة :

من علامات حب الله للعبد أن ييسر له الطاعة، فمن علامات حب الله للعبد أن يفتح له سبل الطاعة...

6- تعسير المعصية :

ومن علامات حب الله للعبد تعسير المعصية، فلا يستطيع ارتكاب المعصية، فإذا كان معتاداً على ارتكاب هذه المعصية فقد يجد أنها تعسرت فلا يستطيع ارتكابها.. وهذا من علامات حب الله للعبد.

7- حسن الخاتمة :

من علامات حب الله للعبد أن يختم له بالعمل الصالح

---

(1) أخرجه أحمد (23906)، والحكيم الترمذي في نوادر الأصول (412/1) عن عائشة رضي الله عنها، وانظر: مجمع الزوائد (19/8).

ويموت على العمل الصالح، وهذا أمر هام جداً، فبعض الناس يبقى طوال عمره طائعاً لكنه يموت وهو يعصي الله تبارك وتعالى، فأبو بكر يقول: لو أن إحدى قدمي داخل الجنة والأخرى خارجها ما أمِنت..

ولذلك حين ترتكب المعصية خف من الموت واحذر أن تموت على المعصية.

فمن دلائل حب الله للعبد أن يميته على العمل الصالح.

وجاء في الحديث: "إذا أحب الله عبداً عَسَّلَه" قيل: ما عسَّلَهُ يا رسول الله؟ قال: "يوفقه للعمل الصالح بين يدي أجله حتى يرضى عنه جيرانه - أو قال - من حوله" رواه الحاكم[1].

نماذج من أحبهم الله

1 - الرسول ﷺ: حين انقطع الوحي عن النبي ﷺ في مكة مدة ستة أشهر، تألم النبي ﷺ ألماً شديداً، وأصابه خوف شديد، وتسرب الخبر لقريش فبدأوا يقولون: وَدَّعك ربك يا محمد!

- فأنزل الله تعالى سورة الضحى: ﴿وَالضُّحَىٰ ۞ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ۞ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۞ وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ

---

(1) أخرجه الحاكم (1258) عن عمرو بن الحمق رضي الله عنه.

﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ۝٥ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ[1]﴾.

- وتأمل بماذا بدأت السورة، بدأت بالقسم بالضحى، هذا الوقت الرقيق الباكر، ثم القسم بالليل، فحين أقسم الله تعالى أقسم بأوقات رقيقة، فالليل إذا سجى هو الليل إذا كان فيه نسيم عليل وكان ساكناً رقيقاً.
- ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ ۝٦ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ۝٧ وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ﴾ [الضحى: 6-8].
- وبعد سورة الضحى أنزل الله تعالى سورة: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝١ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۝٢ ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ ۝٣ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ [الشرح: 1-4].

وهذا الوقت بعد ألف وأربعمائة عام لا يتوقف الزائرون أمام بيت رسول الله ﷺ آلاف الآلاف يأتون من كل بلد للصلاة في مسجده عليه الصلاة والسلام ثم للسلام عليه ﷺ.. ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾ [الشرح: 5-6].

2 - السيدة خديجة: حين كانت تحتضر نزل سيدنا جبريل عليه

---

(1) الضحى، 1-6 والحديث أخرجه البخاري (4950)، ومسلم (1797) عن جندب بن سفيان رضي الله عنه.

السلام من السماء فيقول: يا محمد إن الله يُقرِئ خديجة السلام ويقول لك يا محمد: بَشِّر خديجة بقصر من قصب في الجنة - والقصب أي لؤلؤ - لا صخب فيه ولا نصب.."[1].

- تأملوا الحب، فهي ستموت بعد قليل وستشاهد كل هذا في الجنة، فلماذا ينزل سيدنا جبريل عليه السلام من السماء ليبلغ هذه الرسالة؟
- حتى تعلموا أن الله حين يحب عبداً فإنه يكرمه كثيراً... هذا الكلام لأجلنا نحن، حتى نعرف مكانة خديجة رضي الله عنها ومكانة من أحبه الله تعالى...
- إن الله حين يحب عباده فإنه يحبهم حباً شديداً، فمن يسعى إلى هذه المنازل ويبحث عن هذه النماذج؟ وكيف نغفل عن هذه العلاقة، وكيف نزهد فيها وكيف نأباها.

3 - عبد الله بن حرام:

ما ت عبد الله بن حرام شهيداً يوم أُحد وجاء ابنه جابر بن عبد الله بن حرام، وقد مثل الكفار بأبيه.

يقول: وقد جئت أقول للصحابة: دعوني أنظر إلى أبي وهم

(1) أخرجه البخاري (3821)، ومسلم (2432) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

ينعونني أن أنظر إليه، فقال لهم النبي ﷺ: دعوه ينظر إلى أبيه، فنظرت إلى أبي وقد مثل به فجعلت أبكي ثم أضع وجهي في كمي وجعلت عمتي فاطمة تبكي، فقال النبي ﷺ: "تبكين أو لا تبكين، ما زالت الملائكة تظله بأجنحتها حتى رفعتموه"[1] ثم يقول بعد ذلك جابر: ولقد لقيني رسول الله ﷺ فقال لي: "ما لي أراك يا جابر منكسراً؟"، قلت: يا رسول الله استشهد أبي يوم أحد وترك عيالاً وديناً، قال: "أفلا أبشرك بما لقي الله به أباك؟"، فقلت: بلى يا رسول الله قال: "يا جابر ما كلم الله أحداً إلا من وراء حجاب وكلّم أباك كفاحاً بغير حجاب، فقال له: يا عبدي تمنّ عليَّ أعطك، قال: يا رب تحييني فأقتل فيك ثانية، فقال الرب سبحانه: إنه سبق مني أنهم إليها لا يرجعون، قال: يا رب فأبلغ من ورائي"، قال: فأنزل الله تبارك وتعالى تكريماً لطلب عبد من عباده: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿169﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[2].

---

(1) أخرجه البخاري (1244)، ومسلم (2471) عن جابر رضي الله عنه.

(2) آل عمران، 169، 170 والحديث أخرجه الترمذي (3010)، وابن ماجه (190) عن جابر رضي الله عنه.

إنها نماذج جميلة، ولكن نحن أيضاً سننال هذه المنازل ، فما منكم من أحد في الجنة إلا ويحاضره ربه محاضرة فيقول له: "يا فلان إني راضٍ عنك فهل أنت راضٍ عني" وهذه قد قيلت لأبي بكر رضي الله عنه في الدنيا ولن تقال لنا في الدنيا ولكن يكفيك حباً ومحبة وقرباً أن تقال لك في الجنة من الله لك مباشرة...!

أو يقول لك تمنّ يا عبدي واشتهِ كما قال لعبد الله بن حرام، أو يناديك باسمك كما نادى أُبي بن كعب، أو يقول لك: اذهب يا عبدي فادخل الجنة!

فإذا كان الصحابة قد نالوا مثل هذه الأمور في الدنيا، فإن الذين أطاعوا الله في الدنيا وأحبوه في الدنيا ولو بمقدار قليل، فإنهم سيرون هذه المحبة في الجنة.

انظر إلى محبة الله تعالى لنا إلى أين وصلت... ولكن أجمل هذه المحبة تتحقق للذين يجلسون مجالس الذكر التي يتعلمون فيها أمر دينهم، فقد جاء في الحديث: "إن لله ملائكة يطوفون في الطرقات يلتمسون حلق الذكر، فإذا وجدوا قوماً يذكرون الله تنادوا هلمُّوا إلى حاجتكم فيحفّونهم بأجنحتهم من الأرض إلى السماء.." حديث طويل، يسأل الله تعالى فيه الملائكة: "كيف وجدتم عبادي؟ فيقولون: وجدناهم يحمدونك ويسبحونك ويذكرونك ويمجدونك فيقول:

وهل رأوني، فيقولون: لا يا رب لم يروك، فيقول: فكيف لو رأوني؟ يقولون: لو رأوك كانوا أشد لك عبادة، وأشد لك تمجيداً وتحميداً وأكثر لك تسبيحاً، فيقول: ما يطلبون؟ فيقولون: الجنة؟ فيقول: وهل رأوها يقولون: لا يا رب! فيقول: فكيف لو رأوها يقولون: لو أنهم رأوها كانوا أشد عليها حرصاً وأشد لها طلباً وأعظم فيها رغبة، فيقول: فمم يتعوذون يقولون: من النار، فيقول: وهل رأوها يقولون: لا يا رب، فيقول: فكيف لو رأوها يقولون: لو رأوها كانوا أشد منها فراراً وأشد لها مخافة، فيقول الله: أشهدكم يا ملائكتي أني قد غفرت لهم[1]...

وماذا تريدون أكثر من هذه المحبة من الله عز وجل للفقراء المساكين مثلنا.

إخوتي الجأوا إلى الله تعالى، وكما يقول العلماء: لا تسأم من الوقوف على بابه ولو طردت، فلو رجعت للمعاصي ثانية، لا تسأم من الوقوف على بابه ولا تقطع الاعتذار ولو رددت، فإن فتح الباب للمقبولين فادخل دخول المتطفلين، وابسط إليه يدك وقل له: مسكين فتصدق علي يا أرحم الراحمين.

---

(1) أخرجه البخاري (6408)، ومسلم (2689) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

الباب السادس

مجاهدة النفس

المجاهدة في اللغة مأخوذة من كلمة جهد وهو البذل، أي بذل الجهد واستفراغ الطاقة.

وكلمة مجاهدة مختلفة عن كلمة جهاد، فمجاهدة مفاعلة من جهد وهي أكثر قوة وأكثر بذلاً من كلمة جهاد، فالمجاهدة تحتاج لجهود أكثر من جهاد، ولذلك فنحن نتكلم اليوم عن مجاهدة النفس.

النفس

علمنا الله تبارك وتعالى في القرآن أن هناك ثلاثة أنواع من الأنفس:

النوع الأول: النفس الأمّارة بالسوء، وكلام العلماء عن النفس الأمّارة بالسوء مؤلم للغاية، فهذه النفس هي مأوى الشر في الجسد، وهي مُسْتَقَرُّ الشر، مُسْتَقَرُّ القبائح والرذائل. والله تعالى يصف نفساً

تـــتكلم ﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ﴾ [يوسف: 53].

النوع الثاني: النفس اللوامة: وهي النفس التي تكثر من لوم صاحبها، معنى ذلك أن صاحب هذه النفس يقع في الرذائل فتوبخه هذه النفس، وتندم وتستشعر الندم والتقصير في حق الله؛ يقول عنها الله تبارك وتعالى: ﴿لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۝١ وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ﴾ [القيامة: 1-2] ونجد أمراً يدعو إلى التأمل، فهذه الآيـة فـي سورة القيامة، وكأن الله تعالى حين يحدثنا عن القيامة ربط بين النفس اللوّامة وبين يوم القيامة، وســورة القيامــة من مطلعها إلى منتهاها تتحدث عن يوم القيامة، وفي الوقت نفسه تزلزل النفس من الداخل، وتأمل: ﴿لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۝١ وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ ۝٢ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ﴾ [القيامة: 1-3] تابـع الآيات وهي تتحدث عن يوم القيامة ﴿فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ ۝٧ وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ ۝٨ وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ﴾ [القيامة: 7-9] إلى قوله: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى﴾ [القيامة: 36]... وطوال السورة يبقى الحديث عن القيامة والنفس اللوامة ولذا تجد كثيراً من الناس يتأثرون بها ويحفظونها، ولارتباط النفس اللوامة بيوم القيامة، لذا بدأت السورة بــهما ﴿لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۝١ وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ﴾ [القيامة: 1-2].

ويقسم الحق تبارك وتعالى بالاثنين معاً، يوم القيامة والنفس اللوَّامة، ولذلك فإن النفس اللوَّامة هذه هي دائماً بحاجة إلى أن تذكّر بالآخرة، فمن أراد أن تكون نفسه لوَّامة فليذكرها دائماً باليوم الآخر، ومن أراد أن تكون نفسه دائماً خائفة ومستعدة للقاء الله عز وجل في يوم القيامة، فليبقها نفساً لوَّامة، إن لام نفسه على الذنوب يتذكر يوم القيامة، وإن تذكر يوم القيامة تصبح نفسه لوَّامة، الاثنان يؤثران في بعضهما كعلاقة طردية بينهما.

وقد جاء مثال النفس المقابلة للنفس اللوَّامة في نفس السورة، فحين تكلم الله عن النفس اللوَّامة في سورة القيامة ضرب مثالاً للنفس المقابلة للنفس اللوامة فقال تعالى: ﴿بَلْ يُرِيدُ ٱلْإِنسَـٰنُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُۥ﴾ [القيامة: 5].. فصاحب النفس المقابلة للنفس اللوَّامة وهي النفس الأمَّارة بالسوء، يريد الفجور في حياته المستقبلية ﴿بَلْ يُرِيدُ ٱلْإِنسَـٰنُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُۥ ۝٥ يَسْـَٔلُ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ [القيامة: 5-6] فصاحب النفس الأمارة يتساءل أيان يوم القيامة! لأنه يريد أن يفجر في حياته المستقبلية ولا يريد أن يتذكر يوم القيامة، لأن نفسه ليست لوَّامة.. ولشدة العلاقة بين النفس اللوَّامة ويوم القيامة كان الاثنان في سورة واحدة.

النوع الثالث: النفس المطمئنة: فكما أن النفس الأمَّارة هي

مستقر الشر، فإن النفس المطمئنة هي مستقر الإيمان ومستقر النور، وهذه النفس – النفس المطمئنة – أعز على الله وأحب إلى الله من الكعبة، لأنها مستقر الإيمان في الأرض، فهي نفس خاشعة، نفس متوكلة على الله، نفس واثقة في الله، نفس محبة لله، تأنس بالله وتشتاق إلى الله... والله تعالى يكرمها يوم القيامة وذلك كما أخبرنا ربنا في القرآن، يقول تعالى: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿27﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿28﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿29﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى﴾ [الفجر: 27-30].

وقد سمّاها مطمئنة ولم يسمها مؤمنة، لأن كل الناس حيارى إلا هذه النفس، فمن عرف الله تعالى لا يحتار أبداً، ومن عرف الله واعتاد معرفته تعالى والوصول إليه سبحانه وامتزجت روحه بحب الله عز وجل.. كيف يحتار! وكيف يخاف ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾ [الرعد: 28].

فلو اطمأن القلب تماماً وأصبحت عادته الاطمئنان صارت نفسه نفساً مطمئنة.

فأنواع الأنفس إذن:

- نفس أمّارة بالسوء.
- نفس لوّامة.

-نفس مطمئنة.

أي واحدة من هذه الأنفس أنت؟

هل أنت من أصحاب النفس الأمّارة أو من أصحاب النفس اللوّامة أم من أصحاب النفس المطمئنة؟..

قد تجد بعض الأشخاص أنفسهم ليست من أي نوع من هذه الأنفس الثلاثة، لأن هناك نفس رابعة لم تذكر بعد، وهي لا تستحق أن تذكر، وهي: النفس الغافلة الغير جادة. فلا يكون الشخص عاصياً ولا طائعاً ولا هو مستقر الشر ولا هو مستقر الخير.. فلا يرتكب المعاصي فيندم ولا يشعر بحب العودة إلى الله فتكون نفسه لوّامة... فلا يكون أي واحد من أصحاب الأنفس الثلاثة، فهو ضائع وبلا قيمة، وهو شخص يعيش فقط لا هدف ولا غاية

وللأسف فإن أصحاب هذه النوعية من النفس – النفس الغافلة – كثيرون جداً!..

ولماذا لم تذكر؟.. لأنها لا تستحق أن تذكر، لأنها غير جادة وغير صادقة... وأخشى أن يكون من يقرأ هذا الكلام من أصحاب هذه النفس.. فهو يقرأ الكلام ولكنه لا يلوم نفسه، ولم يشعر قط بطمأنينة، وفي الوقت عينه ليس هو مستقر الشر، فهو فقط يعيش ويحيا كبقية الناس... نفس سيئة غافلة!

تجد التعقيب وصدق كلامي حين يتكلم الله تعالى عن أنواع الناس فيقول تعالى: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْءَاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا﴾ [الإسراء: 18-19].. فلا يكفي أن تطلب الآخرة، فحتى تكون النفس مطمئنة وحتى تكون النفس جادّة لا بد أن يسعى لها سعيها وهو مؤمن ﴿.. فَأُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾ كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾ [الإسراء: 19-20].

فالآيات تشير إلى صنفين، فأين الصنف الثالث الصنف الذي في الوسط، صنف لا يسأل عن دنيا ولا عن دين، الصنف الذي يعيش كبقية الناس، فإن كان أصحابه طائعين فإنه يذهب معهم، وفي نفس اليوم إن قابل مرة قرناء السوء فإنه يمشي معهم ويسير في ركبهم... فماذا يريد هذا ولماذا يعيش وما هو هدفه فهو يعيش فقط!

فالسيدة التي كل همها في حياتها أن تربّي أولادها وتأكل وتشرب وتعيش.. هذه نفسٌ غير جادة، فهذه النفس لا تستحق أن تذكر.

بعد هذا الكلام، أي نفس أنت؟ اسأل نفسك أي نفس أنت من الأنفس الأربعة هذه؟ ماذا تحب لنفسك أن تكون؟ فلا يكفي أن تحب لنفسك ما تريد أن تكون، المهم ما ستفعل؟

هذه هي أنفسنا، قمنا بتعريتها ووضعناها أمام أعيننا، فإما نفس أمّارة بالسوء أو نفس لوّامة أو نفس مطمئنة أو لا تستحق أن تذكر...

وأنبه، أن الشخص الواحد أحياناً قد يتنقّل بين هذه الأنفس الثلاثة، فأحياناً تكون نفسه نفساً ثابتة من الولادة حتى الممات، فهي والعياذ بالله نفس أمارة بالسوء من المولد إلى الممات.. وبعض الأحيان يعيش الإنسان ويموت غافلاً، وللأسف فهم كالبهائم، وتأمل كيف تصوّرهم الآية: ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾ [الأعراف: 179].

أحياناً تثبت النفس على أمر من المولد إلى الممات. فهي نفسٌ غافلة منذ الولادة إلى الممات، لا يمنع أنها سمعت موعظة في يوم ما ولكن أصل حياتها غافل، فأصل حياته مثلاً لعب الكرة والأصدقاء والرحلات وعمل ثم تزوج وأنجب أولاداً ومات.. إنه غافل! فهو لم يخلق لهذا، فأصل حياة الإنسان أن يكون طائعاً من المولد إلى الممات،

وقد تمر به فترة في مرحلة إلى أن يأتي ما يوقظه فأصبحت نفسه مطمئنة أو نفس لوَّامة، فكلاهما خير، فبعد أن عرف دوره في الحياة أصبح مؤمناً وأصبح من أصحاب النفس المطمئنة أو النفس اللوَّامة. فمن الممكن أن تكون حالة الإنسان من المولد إلى الممات مستقرة على نفس من حالات الأنفس الأربع التي سبق ذكرها.

ومن الممكن أن يمر الإنسان في حياته في تذبذب عجيب، ففي فترة تكون نفسه مطمئنة باكية من خشية الله، وفي فترة تكون لوَّامة بعد معصية، وفي فترة تكون غافلة! وأحياناً يمر بعض الناس في اليوم الواحد في الحالات الأربع للنفس، فحين يستيقظ صباحاً تكون نفسه مطمئنة، فحين ينزل إلى الشارع تكون نفسه أمَّارة بالسوء، وفي الليل تكون نفسه لوَّامة، فإذا دخل غرفته يعود من أصحاب النفس الأمَّارة بالسوء ويبقى متذبذباً بين هؤلاء.. فماذا أنت وأين أنت من بين هذه الأصناف.

للنفس حالتان ، حالة في الدنيا وحالة في الآخرة، في الدنيا تفعل النفس ما تريده، يقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۞ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۞ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۞ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾ [الشمس: 7-10].

وفي الآخرة أمر من اثنين، إما طائع وإما ضائع، أما إن كنت

طائعاً لله عز وجل فتسمع قول الله عز وجل: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: 17].

وإن كانت النفس في الدنيا ليست لوّامة ولا مطمئنة، فينظر المرء إلى نفسه وهو يرى العذاب، والله يصور هذه النفس وهي تقف أمام العذاب ﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ﴿56﴾ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿57﴾ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِى كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الزمر: 56-58].

الفرق بين وساوس الشيطان ودواعي النفس

كيف نعرف أن الوسوسة من الشيطان أو من النفس؟ حتى نعامل كل واحدة بما يجب أن نعاملها به..

الشيطان يوسوس للمعصية بداية، فإن جاهدته أو رفضته تركك مباشرة وذهب إلى معصية أخرى، لأنه لا يريد منك معصية بذاتها، فهو يريدك أن تقع في كل أشكال المعصية وأي أنواع المعصية، فأي معصية تقبلها منه فهو سوف يقبلها منك، فهو لا يريد معصية بعينها، هو يريدك أن تقع في أشكال المعاصي.

أما النفس، فإنها مختلفة تلح على معصية بعينها، فإذا وجدت أن نفسك تلح عليك فلا تظن أنه الشيطان إنها النفس، لأنها تشتاق إلى لون معيّن وتلح عليه، فابتداءً هي لم تحضره، فبداية وسوس به الشيطان، ففعلته مرة، فتلقفته النفس وأعجبها فعندئذٍ تقوم بالإلحاح والإصرار، ولذلك كان مرجع اعتياد المعصية إلى النفس التي اعتادت على المعصية لدرجة أن الشيطان لم يعد يزيّن هذه المعصية، بدليل أن بعض الذين اعتادوا على معصية معينة لا يجدون لذة للمعصية أثناء ارتكابها وهو لا يفعلها إلا من باب الاعتياد، فنفسه تتألم لو ترك المعصية، فلم يعد يريد أن يتعب نفسه، وهذا منشأه من ترك المجاهدة...

فالشيطان يبدأ – ولذلك هو خطير – فهو يفتح أمامك مائة طريق لارتكاب المعاصي، ولكن النفس تختار واحداً وتتشبث به كالطفل، فتجاهدها أنت كالأب الذي يمنع ابنه عن التعلق بشيء يضره فتستقيم.

فمعنى مجاهدة النفس فطام النفس عن الهوى... التفرقة بين النفس والشيطان تعرفها في شهر رمضان، ففي رمضان تصفد الشياطين، فما منشأ المعاصي التي تجتاح الأمة في شهر رمضان؟.. إن منشأها أنفساً خبيثة، أنفساً ضعيفة، فمن المفترض أن يكون المرء في

غاية القوة خلال شهر رمضان، فكيف تأتي المعاصي؟ تأتي المعاصي من أنفس ضعيفة، أنفس قد مضى عليها عشرين عاماً لم تفطم بعد، لم يرفض لها طلب، لا يستطيع صاحب هذه النفس أن يقول لها: لا، إنه ضعيف أمام نفسه، وأصبح أسيراً لنفسه.

المجاهدة من بذل الجهد، يقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ﴾ [العنكبوت: 69] إن جاهدت في الله فإنه سيهديك، البعض يظن أن معنى هذه الآية أن المقصود فيها هو من حمل السلاح في سبيل الله، وهذا أعظمها وهو لون من ألوان الجهاد، ولكن هناك معنى آخر، فليس معنى الجهاد فقط أن تجاهد أعداء الله بالسيف أو السلاح، بل إن معنى الجهاد أشمل وأوسع فالجهاد في اللغة هو: بذل الجهد، بذل الطاقة لله عز وجل، وهذا معنى الجهاد.

وقد قسم العلماء الجهاد إلى أربعة عشر جزءاً، وجزء من هذه الأجزاء جهاد النفس، ولذلك حين جاء معاذ بن جبل إلى النبي ﷺ وكان معه في سفر فسأله: أخبرني بعمل يدخلني الجنة فأجابه النبي ﷺ بكذا وكذا ثم قال له: "ألا أدلك على رأس الأمر وعموده وذروة سنامه؟" فقال: نعم يا رسول الله، فقال النبي ﷺ: "رأس الأمر

الإسلام وعموده الصلاة وذروة سنامه الجهاد"[1] فبعض الناس يقولون إن ذروة سنام الإسلام أن تجاهد أعداء الله بنفسك، لكن المعنى أعم من هذا فذروة سنام الإسلام أن تجمع الأربعة عشر نوعاً من أنواع الجهاد، وهذا ليس كلامي إنه كلام العلماء.

سوف يأتي وقت على الأمة لا يوجد فيه جهاد بالنفس، وهل هذا يعني أنه لم يعد هناك جهاد ولا يطلق على أحد من هذه الأمة مجاهداً هذا ليس بصحيح.. فأنواع الجهاد أربعة عشر نوعاً ومقسمين:

- مجاهدة النفس خمسة أنواع.
- مجاهدة الشيطان نوعين.
- مجاهدة العصاة والفاسقين ثلاثة أنواع.
- مجاهدة الكفار أربعة أنواع.

هذا كلام علماء السلف الأقدمين وابن القيم رحمه الله هو الذي يقول هذا الكلام .

قد تكون مجاهداً وأنت لم تخرج من مسجدك ولم تجاهد بالنفس وهذا المعنى ينبغي أن يفهم، لأنك حين تعرف أن مجاهدة

---

(1) أخرجه أحمد (21563)، والترمذي (2616).

النفس جزء من الجهاد - أنا لا أقلل من الجهاد بالنفس، فهو من أعلى مراتب الإسلام والشهادة في سبيل الله من أعلى القمم - لكنك قد تكون مجاهداً وأنت في بيتك...

البعض يظن حين يسمع كلمة مجاهدة يقول: إنها مقاومة للنفس... والواقع أن هذا الفعل أفضل أعمال الإسلام، فالصحابة أمضوا في مكة ثلاث عشرة سنة ولم يحارب أحد منهم الكفار، فهل الصحابة لم يكونوا مجاهدين في مكة؟ وهل لأحد أن يقول بأن النبي ﷺ لم يكن مجاهداً في مكة؟ فالصحابة بماذا كانوا مجاهدين في مكة؟

بالأنواع الأخرى التي سأذكرها الآن:

جهاد النفس خمسة أنواع

1 - مجاهدتها في دفع ما تأمرك به من شهوات.

2 - مجاهدة النفس في تعلُّم العلم، فعار أن يكون آلاف من المسلمين لا يعرفون قراءة القرآن، ينبغي أن يتعلم كل مسلم دينه، وأن يتعلم العلم لله عز وجل.

3 - مجاهدة النفس في العمل بما تعلَّم.

4 - مجاهدة النفس في دعوة الناس إلى العمل بما تعلمته أنت وعملت به.

5 – الصبر على مشاق الدعوة.

فإذا أتممت هذه المراحل من جهاد النفس فإنك تصبح في منزلة الرّبانيين ومن الذين إذا أقسموا على الله أبر قسمهم[1].

جهاد الشيطان

1 – مجاهدة الشيطان في دفع شهوات يعرضها عليك بالصبر.

2 – مجاهدة الشيطان في دفع شبهات يلقيها عليك باليقين بالله، كأن يقول لك من خلق الله؟ أو يقول لك: ما يدريك أن هناك جنة وناراً! حين يفعل معك هذا الفعل لا تقل بأن نفسك خبيثة! فالشيطان هو الذي يلقي هذا، فإذا استعذت بالله وطردتها فإنها تطرد. فإذا أتممت المرحلتين من جهاد الشيطان تكن إماماً للمؤمنين يجتبيك الله ويجعلك قائداً للمؤمنين، فإذا صبرت على الشهوات وطردت الشبهات باليقين بالله يجعلك إماماً من أئمة الدين.

جهاد العصاة

1 – جهاد العصاة باليد: لو كانت لك الولاية عليهم كأهل بيتك أو

---

(1) وهذا كما ورد في الحديث الذي أخرجه مسلم (2622) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

من كنت مسؤولاً عنهم في عملك، فإن لم تكن مسؤولاً لا يجدر بك أن تجاهد باليد.

2 – جهاد العصاة باللسان: إن لم تستطع جهاد العصاة باليد فقم بجهادهم باللسان، فلا تسكت إن رأيت أمراً محرماً. أنكر على العاصي، ولكن بأدب، وإياك أن تكون لا مبالياً، فلا يوجد مسلم لا يبالي إذا رأى حرمات الله تنتهك.

3 – جهاد العصاة بالقلب: وهذا أضعف الإيمان.

جهاد الكفار

جهاد الكفار بالقلب بأن تكرههم ولا تودهم ولا تتشبه بهم ولا تنبهر بهم.

وجهاد الكفار باللسان.

وجهاد الكفار بالمال تنفقه في سبيل الله.

وجهاد الكفار بالنفس.

فالجهاد بالنفس هو جزء من أربعة عشر جزءاً، وصحيح أن هذا الجزء مهم لكن يوجد مراتب أخرى عظيمة جداً

فأنت من الممكن أن تكون مجاهداً إن قاومت الشهوات، ولا يعني هذا أنك لا تعصي، بل تعصي، ولكن الأصل في حياتك أن تكون مجاهداً.

لذلك أود منك أن تتمنى بأن تكون مجاهداً في سبيل الله: بصبرك على طاعة الله، وبدفعك لشبهات وشهوات الشيطان، وبالدعوة إلى الله، وبأمرك بالمعروف، ونهيك عن المنكر، بالطريقة المناسبة، فإن فعلت هذا أصبحت مجاهداً..

أفضل الخلق من أتمّ مراتب الجهاد، ولذلك فإن رسول الله ﷺ هو أفضل الخلق، لأنه الوحيد الذي مكّنه الله بإكمال هذه المراتب، لا أريد أن أقول الوحيد، لكنه كان المثل والقدوة في استكمال كل مراتب الجهاد، ثم انظر إليه وهو يوصل الدعوة في الآفاق حين يقول الله تعالى له ﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفۡسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمۡ﴾ [الكهف: 6]، انظر للبذل فهو يقف ويجاهد وينفق من ماله ويجاهد الشيطان ويهدي أصحابه، ثم يصبح أصحابه من بعده مجاهدين في سبيل الله عز وجل، ويدفعون الشياطين ويقاومون أنفسهم ويجاهدون أنفسهم حتى يأتي عمر بن الخطاب رضي الله عنه ويقول له النبي ﷺ: "والله يا عمر ما لقيك الشيطان سالكاً فجاً قط! لا سلك فجاً غير فجك"[1]. فلقد وصل في مجاهدة شيطانه لدرجة أن شيطانه يخاف منه، يخاف أن يمشي في طريق يسير فيه عمر...

---

(1) أخرجه البخاري (3294)، ومسلم (2397) عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه.

هذه أنواع المجاهدة، .. فكم أكملت أنت من هذه الأربعة عشر نوعاً؟

أتتعلم دينك؟ أحفظت شيئاً من القرآن؟ هل قرأت تفسير شيء من القرآن؟ هل قرأت كتاب فقه السنة؟ هل قرأت كتاب رياض الصالحين؟ هل قرأت كتاباً في سيرة النبي ﷺ؟ هل قرأت في تفسير ابن كثير؟ هل تعلمت قراءة القرآن؟ هل حضرت حلقة لتعلم القرآن؟ فهذا هو المطلوب منك حتى تتعلم...

هل تنفذ ما تسمعه في الدرس وما تتعلمه؟ هل أخذت بيد أحد أصحابك؟ هل حدَّثت الناس في الدين، هل حرصت أن تنفذ فيما تتعلمه، حديث النبي ﷺ: "بلِّغوا عني ولو آية؟"[1] هل قاومت نفسك ودفعت شهواتك، هل قلت لنفسك لن أرتكب هذه المعصية!.. هذه مراتب الجهاد. فكم أكملت منها أنت؟

الخلق متفاوتون عند الله عز وجل لتفاوتهم في مراتب الجهاد، تريد إكمال هذه الأمور؟ ما الذي يمنعك؟ إنه جهاد النفس.

مجاهدة النفس

يقول أحد التابعين: إن أول شيء يستحق أن تجاهده نفسك

---

(1) أخرجه البخاري (3461) عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما.

التي بين جنبيك، فإنّك إن انتصرت على نفسك كنت على غيرها أقدر، وإن انهزمت أمام نفسك كنت عن غيرها أعجز.

يقول أحد التابعين: "ما الدابة الجموح أحوج إلى لجام من نفسك". فأكثر ما يحتاج لجاماً هو نفس الإنسان، فإنها تجري وراء الشهوات، أفلا ينزعج من نفسه هذا الذي يرى نفسه تقوده وتأخذ به حيث تريد هي!

يقول أحد التابعين: "لا تجد المؤمن إلا يحاسب نفسه محاسبة الشريك لشريكه، ماذا أردت بأكلتي، ماذا أردت بشربتي".

يقول أحد التابعين: "أعداء النفس ثلاثة: الدنيا، والشيطان، والنفس، فحارب الدنيا بالزهد فيها، وحارب الشيطان بدفعه، وحارب نفسك بمجاهدتها".

ويقول آخر: "الذي لا يجاهد نفسه عبد ذليل أسير".

ودليل هذا قوله تعالى: ﴿أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾ [الفرقان: 43] وينادى يوم القيامة: من عبد شيئاً فليأت خلفه... فتخيَّل أن يقف أحدهم يوم القيامة خلف هواه، فليس معنى عبد هواه بأن سجد له وركع، وليس معنى ذلك بأنه لم يكن مسلماً، لكن كل ما كان يحركه في دنياه هواه. تخيَّل الفرق الشاسع بين عبد

لله عز وجل وبين عبد للدرهم وعبد للنساء وعبد للشهوات... لماذا لا تجاهد نفسك وكيف تترك نفسك هكذا

يقول ابن القيم: لما سجن ابن تيمية، دخلت عليه وهو مسجون فنظرت إليه فبكيت، فقال لي ابن تيمية: أتبكي لحالي قلت: نعم، قال: لا والله يا بني لست أنا المحبوس لست أنا المأسور، المحبوس من حبس قلبه عن ربه، والمأسور من أسره هواه.

عبد الله بن عمر رضي الله عنه يوصي أحد أصحابه فيقول له: ابدأ بنفسك فجاهدها وابدأ بنفسك فاغزها.

من كان يريد الغزو فليغزُ نفسه أولاً، وكيف يغزوها؟.. يترك تناول الدخان، فكيف يكون عبداً للسيجارة! وكيف تأمره هذه السيجارة؟ وكيف يعرف أنها خطأ وستؤدي به إلى الموت ومع ذلك يشربها؟.. لا ينبغي أن تملكه عادة... ابدأ بنفسك فاغزها.. فلا يضع داخل فمه أي شيء محرم ويجب أن يجاهد نفسه.

فإذا كان يعرف البنات ويصاحب البنات بشكل يغضب الله تبارك وتعالى فليبدأ بجهاد نفسه، ويجب أن يغض بصره، وينبغي أن يحاول ويبذل الجهد، أوَ ليس هذا مجاهدة النفس! ينبغي أن يصاحب الصالحين وأن يصبر على صحبتهم ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ﴾ [الكهف: 28] فإذا كان سريع

الغضب، فيجب أن يجاهد نفسه ويوقف الغضب، يقول النبي ﷺ: "ليس الشديد بالصرعة ولكن الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب"[1].

اسأل نفسك هذا السؤال، من المسيطر الذي يحكم السيطرة على الآخر؟ هل نفسك هل التي تسيطر عليك؟ أم أنت مسيطر على نفسك!؟

فلا يقولن شخص: أنا أغضب بطبعي! أو يقول: حاولت و لم أستطع أن أترك الذنب الفلاني.. أين المجاهدة؟!والله تعالى يقول: ﴿وَٱلَّذِينَ جَـٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ [العنكبوت: 69].. فلا يمكن أن تجاهد في الله ويتركك "من تقرب إليَّ شبراً تقربت إليه ذراعاً"[2].

نماذج من جاهدوا في الله حق المجاهدة

1 - ربيعة بن كعب الأسلمي رضي الله عنه، يقول: كنت أبيت عند النبي ﷺ أخدمه، أعد له وضوءه، فجئته ليلة، فقال: "يا ربيعة سلني"، فقلت - أي ربيعة -: يا رسول الله دعني أفكر، فجلست أتذكر الدنيا وزوالها، فقلت: لا أطلب إلا الآخرة،

---

(1) أخرجه البخاري (6114)، ومسلم (2609) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(2) أخرجه البخاري (7405)، ومسلم (2675) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

فعدت إليه وقلت: أسألك مرافقتك في الجنة، فقال ﷺ: "يا ربيعة أوَغير ذلك"، قلت: هو ذاك، فقال له النبي ﷺ: "فأعني على نفسك بكثرة السجود"[1].

فكل من أراد مرافقة النبي ﷺ في الجنة فليكثر السجود إلى الله، فالكلام ليس لربيعة خاصة...

سأضرب مثالاً في المائة سنة الأولى من عمر هذه الأمة، أي منذ بعثة النبي ﷺ وحتى مرور مائة سنة على الدعوة، يعني تاريخياً بعد منتصف عهد الخلافة الأموية، فلننظر: لقد كان عدد مرات تطبيق حد الزنى في الدولة الإسلامية كلها ست مرّات، ففي مائة سنة لم يحصل تطبيق لحد الزنى إلا ست مرّات! كيف هذا؟!..إنها أمة تعلّمت المجاهدة، فهذه الأمة كانت قبل بعثة النبي ﷺ بسنة واحدة تنتشر فيهم الفاحشة حتى لقد كان يُعَلّق في مكة رايات حمراء أمام بعض البيوت التي تدل على أنها بيوت للخنا والفاحشة إعلاناً لمن أراد أن يأتي إليها ففي داخل مكة كانت الفاحشة تملأ كل مكان، فمن يوم بعثة النبي وبدء الدعوة خرّج النبي ﷺ رجالاً علّمهم المجاهدة فتعلموها وأصروا عليها مائة سنة، ولم يطبّق حد السرقة إلا أربع مرات فقط في المائة سنة الأولى.

---

(1) أخرجه مسلم (489).

وعمر بن الخطاب ذهب لأبي بكر وطلب أن يعزله من القضاء لأنه أمضى في القضاء سنتين و لم يأته أحد يتخاصم مع آخر!

كيف وصلوا إلى هذا، مع أنهم كانوا قبل سنين معدودة – قبل الإسلام – عصاة يَئِدون بناتهم... وهذه الشخصية هي نفسها انقلبت إنساناً آخر وحصلت ما حصلت من السؤدد والعز حين جاهد صاحبها نفسه.

فأنت تستطيع مجاهدة نفسك، لأنك مسلم وفي دولة مسلمة، والشعائر موجودة والمساجد موجودة، والأصحاب الصالحين موجودون، فتستطيع أن تكون صالحاً لو أردت أنت ذلك! لو جاهدت نفسك.

2 – حين استخلف سيدنا أبو بكر سيدنا عمر بن الخطاب قال له: يا عمر أول ما أُحذرك نفسك التي بين جنبيك... فهل سمع الكلام عمر ؟!

سمع الكلام حتى مات ولزم الكلام...

يقول أنس بن مالك كنت ماراً بجانب جدار في المدينة: سمعت صوت عمر يبكي، فاقتربت من ظهر الجدار أسمعه ولا يعرف بوجودي فسمعته يقول وهو يبكي: "عمر بن الخطاب أمير المؤمنين بخٍ بخٍ.. كنت بالأمس عميراً والآن صرت عمراً، لتتقيَّن الله يا ابن الخطاب أو ليعذبنَّك".

ويصعد يوماً على المنبر ويقول: يا أيها الناس إني كنت أرعى الغنم بمكة، كنت أغسل تحت الغنم وأحلب الغنم مقابل تمرات يعطونني إيّاها، ثم نزل عن المنبر، فقال له علي بن أبي طالب: يا أمير المؤمنين ما أراك إلا وبّخت نفسك، فقال عمر: هذا ما أردت أحببت تأديب نفسي فقلت لها تذكّري، وأعلنت ذلك على الملأ.

3 - علي بن أبي طالب رضي الله عنه وأرضاه يظل الليل يصلي ويصلي ويصلي، ويأتي في آخر الليل يسمعونه يقول وقد مسك بلحيته ويبكي يقول: "يا دنيا غرّي غيري ءَإليَّ تشوفت قد طلّقتك ثلاثاً، فخطرك عظيم، وسفرك قصير، آه آه من قلة الزاد وبعد المسير".

4 - عبد الله ابن رواحة: يوم غزوة مؤتة وجد أنه كلما أخذ الراية أحدٌ فإنه يقتل، حتى جاء دوره في أخذ الراية، فتردد في أخذها هنيهة، وبدأ يقول هذه الأبيات:

أقسمت يا نفس لتنزلنه	لتنزلنه أو لتكرهنه
إن أجلب الناس وشدوا الرنه	ما لي أراك تكرهين الجنة
يا نفس إلا تقتلي تموتي	هذا حمام الموت قد صليت
وما تمنيت فقد أعطيت	إن تفعلي فعلهما هديت

وأخذ الراية وبينما هو داخل في وسط المعركة أتاه ابن عمه بفخذ من لحم مشوي، وقال له يا ابن رواحة إنك تقاتل منذ ستة أيام خذ فتقوى بهذه، فأخذها ونهش منها نهشة لحم ثم نظر إليها وقال: ما هذا يا ابن رواحة أما زلت في الدنيا! والله ما ينبغي لك أن تكون في الدنيا.. خذ يا ابن عمي ودخل فقاتل فقتل، فقال النبي ﷺ عنه وعن أصحابه الذين قتلوا: "رفعوا لي في الجنة على سرر من ذهب"[1] فما بين مجاهدة النفس والجنة ثانية واحدة!

5 – أحد التابعين يقول مخاطباً نفسه: "يا نفس لا أنت من أهل الملوك فتنعمين كما تنعَّم الملوك، ولا أنت من العباد فتقتربين من الله كما يقترب العباد، فأين أنت يا نفس، لا من هؤلاء فتنعمين في الدنيا، ولا من هؤلاء فتنعمين في الآخرة!".

6 – مالك بن دينار، دخل السوق فوجد شيئاً من الطعام الذي يحبه فاشتراه، ثم وجد شيئاً آخر من الأكل الذي يحبه فاشتراه، ثم وجد شيئاً ثالثاً، فوقف وقال: لا والله لا أشتريها! وقال: "يا نفسي اصبري فوالله ما أمنعك عنه إلا لكرامتك علي".

7 – وجد عمر بن الخطاب يوماً شخصاً يمشي في السوق ويستلف

---

(1) أخرجه ابن هشام كما في السيرة (30/5)، وأبو نعيم في الحلية (120/1)، وانظر: مجمع الزوائد (160/6).

مالاً ليشتري فاكهة يحبها، فقال: لم تفعل ذلك؟ قال: أشتهيها! فقال له: أوَ كلما اشتهيت شيئاً اشتريته؟! قال: نعم! فضربه عمر رضي الله عنه بدرته..

إخوتي يجب أن نقاوم شهواتنا، يجب أن تكون رجالاً في تعاملنا مع الله تبارك وتعالى.. فلو جاهدنا أنفسنا سنكون رجالاً عظماء..

لا يعقل أن نسمع أن الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه حمى النبي ﷺ ونام في فراشه في الهجرة وهو لمّا يتجاوز العشرين عاماً، فلو كان أسير شهواته ما استطاع أبداً فعلها ...

تحرروا من شهواتكم حتى تكونوا رجالاً، وحتى يرضى الله عنكم، ويكون عندكم قيمة لهذا الدين، قاوم شهوتك يوماً يرفعك الله درجتين قاوم شهوتك يومين وثلاثة وشهراً وسنة يجعلك الله من خاصة عباده... وهل تظنون أن العلماء والوعّاظ قد ولدوا أو قد أصبحوا مرة واحدة شخصيات عظيمة، لا ولكنهم جاهدوا أنفسهم حتى كبّرهم الله تعالى...

فعلي بن أبي طالب رضي الله عنه نام في فراش النبي ﷺ وكان عمره عشرين سنة، – ماذا فعلت أنت حين كان عمرك عشرين سنة – وحين سئل عن هذه الليلة قال: كانت أهدأ ليلة عشتها في حياتي

لماذا؟ لأنه كان رجلاً رغم صغر سنه.

أما النساء اللاتي تقلن بأنهن لا تستطعن مقاومة المعصية ولا تستطعن التفرغ للعبادة لأن أزواجهن يظلمهن، ها هي أسماء بنت أبي بكر في الهجرة هي التي كانت تحمل الطعام من مكة إلى غار ثور سيراً على الأقدام لمسافة تقدر بخمسة كيلومترات يومياً، وكانت حاملاً في شهرها السابع، وعمرها ثلاث وعشرين سنة، فحين هاجر النبي ﷺ كانت أول من ولد في المدينة، أي أنها كانت حاملاً واعتمد عليها النبي ﷺ.

فمن نصر النبي ﷺ في الهجرة؟ الذين نصروه هم شباب صغار. أين الشباب اليوم؟ أين مقاومتك لنفسك؟ وهل يعقل أن كل مقاومتك في الحياة أكلة لذيذة ونزهة ممتعة وأغنية جميلة فقط! هل هذه قضيتك في دنياك

لقد فوجئت بقصة من أفلام الكرتون وهي قصة تعرض في أفلام الأطفال، وسأستشهد بها لأنها قصة معبرة مع كونها طفولية اسمها "أليس في بلاد العجائب"، فحين كانت أليس تمشي ظهر لها قط صغير، فقالت له وهي تقف على مفترق طرق: يا قط أين أذهب؟ فقال لها القط: أين تريدين؟ قالت: لا أعرف. قال: فامشِ في أي طريق! طالما أنك لا تعرفين أين تريدين الذهاب فكل الطرق لا تختلف!

أنت ما هو هدفك وماذا تريد؟ حدد هدفك، فماذا تريدون يا إخوتي! تريدون الله؟ فالطريق إليه تعالى واضح، ولستم بحاجة إلى محاضرات طويلة، أنتم بحاجة إلى تذكرة من آن لآخر واسلك طريق الله.. لكنْ حدد هدفك، فإن لم تكن تعرف ماذا تريد سوف تتخبّط في الدنيا وستموت وأنت لا تدري ماذا تريد، وستقف يوم القيامة وأنت لا تعرف أين تقف ولمن تذهب.. حدد هدفك.

لقد فتح محمد الفاتح القسطنطينية وهي إسطنبول لأنه سمع حديثاً عن النبي ﷺ – وبين محمد الفاتح والنبي ﷺ ستمائة سنة – فلقد سمع حديثاً أن الصحابة قالوا: يا رسول الله أي المدينتين تفتح أولاً قسطنطينية أم رومية؟ فقال: "مدينة هرقل أولاً" يعني القسطنطينية[1]، وسمع حديثاً يبارك ذلك الجيش الفاتح وهو قول النبي ﷺ: "لتفتحن القسطنطينية فلنعم الأمير أميرها،ولنعم الجيش ذلك الجيش"[2].

تخيّلوا شاب في مجلس علم سمع هذا الحديث فحفظ القرآن

---

(1) أخرجه أحمد (6607)، والدارمي (486) عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما.

(2) أخرجه أحمد (18478)، والطبراني في الكبير (1216)، والحاكم (8300) عن بشر الغنوي رضي الله عنه.

واجتنب المعاصي وتعلّم العلم وعاش للإسلام وفتحت على يديه القسطنطينية وصار "نعم الأمير".

الخطوة الأولى: أن تجاهد نفسك، قل لها: لا! لن أكذب لن أغتاب، سأبر والدي.

الخطوة الثانية: فارق نفسك خطوة يحصل لك مقصودك، يقول ابن القيم: "يا ضعيف العزم إن الطريق - أي طريق الله - شاخ فيه نوح، وذبح فيه يحيى، ونشر فيه زكريا بالمناشير، وألقي في النار إبراهيم، وعذب فيه محمد ﷺ، وأنت تريد الإسلام السهل الذي يأتيك إلى قدميك".

أيها الإخوة حدّدوا هدفكم في حياتكم، فلو حدّدتم هدفكم سترتاحون. وابق جاداً وجاهد نفسك...

الباب السابع

الطريق إلى الجنة

الكل يبحث عن السعادة

كلنا يبحث عن السعادة، إن أي تصرف يتصرفه الإنسان يهدف منه الوصول إلى السعادة، فلا أحد يتصرف أي تصرف إلا وهذه هي غايته، كيف أكون سعيداً في هذه الدنيا؟ حتى حين تسعد الآخرين لأنك تظن أن بإسعادهم ستجد إسعاداً لنفسك.

الذي يحب، ما هو هدف الحب؟ ليس الحب بذاته وإنما ما يجلبه الحب من السعادة للقلب...

النقود، النقود عبارة عن أوراق، ليست السعادة في النقود، إنما فيما تجلبه النقود للقلب من ألوان السرور والسعادة تجعل ذلك القلب يتلألأ فرحاً ومرحاً،المنزل الجميل، الفسحة والأصحاب، أي أمر تفعله تهدف من ورائه الوصول للسعادة. فكل تصرفات المرء إلى حياته يهدف من ورائها الوصول إلى السعادة، حتى حين يلجأ إلى

العباد لا يلجأ إلا لأنه يجد سعادة قلبه في هذا الشيء...

فهذا حين يعصي.. وذاك حين يشتري أو يتزوج.. فكل التصرفات مبنية على هذه النقطة: الوصول للسعادة، والذي يسعد في الإنسان هو قلبه، فمدار السعادة في الإنسان هو القلب، فلو سعد القلب استراحت الجوارح واطمأنت، وعندها يشعر الإنسان بالانتعاش والراحة.. فإذاً الكل يبحث عن السعادة..

لا سعادة كاملة في الدنيا

أبى الله أن تتم السعادة في الدنيا، فلا تجد في الدنيا سعادة إلا وفيها منغصات.. أليس كذلك؟.. فلا يوجد لذة متكاملة في الدنيا...

فإذا أكلت أكلة لذيذة فإنك ستعاني بعدها المغص والتعب وبهذا تفقد شهوة هذه الأكلة فلا تجد سعادة كاملة...

فسحة جميلة، سيكون معها تعبٌ وإرهاق وبعدها نومٌ طويل وكسل في الجسم...

فلا تجد أي سعادة في الدنيا تتم من البداية إلى النهاية من دون منغصات.

إن من رحمة الله تعالى أن جعل سعادة الدنيا مشوبة بالمنغصات، لأنه لو كانت الدنيا كلها سعادة لكان تركها شيئاً مستحيلاً...

إياك أن تغتر بقوتك، لكن أريد القول لمن يبحث عن السعادة: لا تظن أن بإمكانك الحصول على سعادة كاملة في الدنيا... أعرف أنك تعرف هذا، لكن ما أتمناه أن تستقر هذه الحقيقة داخل نفسك حتى تفهم معي الحقيقة التي بعدها... لا سعادة حقيقية في الدنيا، ولا شيء في الدنيا يستمر، فلقد كتب الله أن كل ما يعلو في هذه الدنيا فسيهبط ثانية... فكلما ارتفعت لذة تنزل ﴿ ۞ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً ﴾ [الروم: 54].

أليس هذا مسلسل حياتنا، فلا تفرح بشعورك اليوم، فأنت بعد عشرين أو ثلاثين سنة لن تكون قادراً على الحراك، وسيصبح أولادك هم الذين يوجهونك بعد أن كنت أنت الذي توجههم... ستعود ضعيفاً مرة أخرى، هذه هي الدنيا، لا يوجد فيها شيئاً متكاملاً، ولا يوجد فيها سعادة متكاملة..

كان لرسول الله ﷺ ناقة تسمى العَضْباء وكانت لا تُسبق، فجاء أعرابي بسيط بناقة له فسبق ناقة النبي ﷺ فشق ذلك على الصحابة، فقال النبي ﷺ: "حق على الله أن لا يرتفع من الدنيا إلا وضعه"[1]

---

(1) أخرجه البخاري (2872) عن أنس رضي الله عنه.

انظروا إلى ملك أولئك الذين بنوا الأهرامات، وتأملوا العز والجبروت والقوة التي كانوا فيها، أين هم الآن.. لا شيء!..

انظروا إلى كل من فعل وفعل.. أين ذهبوا؟ وأريد تأكيد معنى آخر و.. إياك أن تغتر بسنك وأنك لا زلت شاباً.. إياك وأن تغتر بقوتك أو منصبك أو جاهك أو مالك.. لكن اعرف وليعرف جميع الناس أنه لا يوجد سعادة متكاملة في هذه الدنيا... يأبى الله أن تتم سعادة في هذه الدنيا..

أين نجد السعادة؟

يا من كل أمنيته السعادة، لا توجد سعادة كاملة في الدنيا، فلا المال يريح، ولا الحب يريح... لا يفهم من كلامي هذا أني أريد أن أزهد الناس في الدنيا وأنه لا يوجد فيها شيئاً من نفع أو فائدة؛ لكن أريدكم أن تعلموا أن هذه هي الحقيقة، حقيقة الدنيا، فالمال ينقلب إلى تعب، ومشاكل داخل العائلة الواحدة، وبين الأشقاء.. إلى آخر هذه الأمور، فأين نجد السعادة؟

لا سعادة إلا في الجنة، السعادة المتكاملة، اللذة الحقيقية، الفرحة الكاملة، ليست موجودة في الدنيا، إنما موجودة في الجنة، أنا أقول هذا الكلام لعل قلبك يقوى، فكثير يسأل ويقول: أريد أن أكون جيداً، أريد أن أنفذ هذا الكلام ولكني لا أستطيع، إن فهمت

هذه المعاني فسوف تساعدك...

إن كنت تبحث عن السعادة، فابحث عنها في الجنة، فالواقع أن كثيراً من الشباب والبنات لم يحلموا أبداً في الجنة.. لماذا؟.. لأنه يرى الدنيا بين يديه، خبزها وعجنها وعرف كيف يحصل عليها.. عرف كيف يحب،كيف يعمل ويحصل على المال، تعلم في الدنيا فأصبح منشغلاً بها، لكنه لم يحلم طوال عمره بالجنة، فالكثير من الناس رجالاً أو نساءً أحدهم يمضي ساعات طويلة من النهار والليل وهو يفكر كيف سيكون قصره بعد عشر سنوات؟ويحلم كيف ستكون زوجته؟ ويحلم بأولاده والفيلا الجديدة، لكن من يحلم بالجنة؟ من يتخيل ويقول: أنا أتمنى في الجنة كذا وكذا..

فلنتخيَّل معاً الجنة!

إذا كنا جميعاً نبحث عن السعادة وإذا علمنا أنه لا يوجد سعادة متكاملة في الدنيا وأن السعادة في الجنة، فلنتخيَّل معاً الجنة...

فلنقرأ كلام النبي ﷺ عن الجنة، ولن نقرأه بألسنتنا بل سنقرؤه بعقولنا وخيالنا، ثم بعد ذلك نتخيل هل سنكون بعد ذلك فيها وكم من الوقت يلزمنا لبلوغها... فهذه الدنيا ستعيش فيها سنوات قليلات ثم بعد ذلك تموت، وتحاسب وتدخل الجنة وترتاح إذا تفكرت بهذه

الطريقة فستسهل عليك الطاعة وتصعب عليك المعصية...

أنا أظن أن من سيقرأ هذا الكلام وهو يعاني من اكتئاب ومشاكل وعليه ديون ومفتقد لأمر ما وليس قادراً على ترك المعصية فإن هذا الكلام عن الجنة سيجعل روحه تسمو، ويفكر: أي دنيا هذه التي أبحث عنها وأريدها، إنما خلقنا لكي نكون طلاب جنان خالدة فنحن طلابها ولسنا طلاب دنيا، حين تبدأ تحلم وتقول في نفسك: وهل كنت تاركاً لكل هذا الجمال لأجل ستين أو سبعين سنة أعيشها، فكم يساوي الستون أو السبعون سنة مقابل ما لا نهاية.

يقول النبي ﷺ في حديث قدسي: "قال الله: أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر"[1].

تأمل! ما لم تره عينك من ألوان النعيم والجمال، فالناس يدفعون مبالغ طائلة من المال حتى يذهبوا في الصيف إلى مكان فيه منظر طبيعي جميل..

".. أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت..." ماذا سمعت من الكلام الجميل، ماذا سمعت من ألوان

(1) أخرجه البخاري (3244)، ومسلم (2824) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

الطرب والغناء، ماذا سمعت من أجمل وألذ الكلمات، فما بالك إذا سمعت النبي ﷺ في أذنيك، وإذا استمعت إلى الله وهو يكلمك.. "أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذناً سمعت ولا خطر على قلب بشر"...

تخيَّل الآن الجنة! ومهما تخيلت فالجنة أجمل من ذلك بكثير، اسرح بخيالك كما تشاء، وكلما كان خيالك خصب وتخيَّلت ألوان من اللذات والنعيم التي لا تتصور من جمالها وروعتها، أقول لك ".. ولا خطر على قلب بشر.." فالجنة أجمل ".. ولا خطر على قلب بشر..".

اسمع الحديث.. "أعددت" أعددت فعل ماضٍ أم مضارع، وكأن الجنة أُعِدَّت، أعددت أي منذ زمن فهذا الحديث قد قيل منذ ألف وأربعمائة عام وحتى حين قيل منذ ألف وأربعمائة سنة قيل بصيغة الماضي "أعددت"، لماذا قيل بصيغة الماضي؟

بعض الفرق خرجت عن الإسلام لمثل هذا الحديث، فقالوا: إن الإعداد من قبل يكون عبثاً والله لا يصدر عنه العبث فلا يعقل أن تُعَد الجنة من قبل، وخرجوا عن المِلَّة بمثل هذا الكلام السخيف..

والواقع أن الجنة فعلاً قد أعدت منذ زمن، لماذا؟ ليس عبثاً ولا أي شيء من هذا، فهي كما لو أن ضيفاً سيزورك في بيتك وأنت

مسرور بقدومه جداً، فتبدأ التجهيز قبل ذلك بأسبوع، فلو كان قادماً من سفر وقد عاش في الغربة مثلاً عشر سنين وهو قادم فسيبدأون بالتحضير قبل ذلك بشهرين أو ثلاثة... فتأمل استقبال الله تبارك وتعالى لنا حين يقول ربنا: أعددت، و لم يقل: أمرت ملائكتي أن تعد، بل قال: أعددت.. ألم تعلو عن هذه الدنيا قليلاً.. أنا متأكد من أنك قد ارتفعت عن هذه الدنيا قليلاً...

وتأمل قول النبي ﷺ: "ينادي منادٍ - أي ينادي أهل الجنة - إن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبداً، وإن لكم أن تحيوا فلا تموتوا أبداً، وإن لكم أن تشبوا فلا تهرموا أبداً..." الكل في الجنة عمره ثلاث وثلاثين سنة ولماذا؟ يبدو أن هذا هو أنضج سن أو أكثر سن يكون الإنسان متعلق به باستشعار الكائنات من حوله والمعاني.

"ينادي منادٍ إن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبداً، وإن لكم أن تحيوا فلا تموتوا أبداً وإن لكم أن تشبوا فلا تهرموا أبداً، وإن لكم أن تنعموا فلا تبأسوا أبداً.." تخيل أن حين دخولك، لك اربعة أمور وهي جميع ما كنت تخاف منه من مشاكل في هذه الدنيا، كل المشاكل التي كانت تسبب لك القلق والتوتر في الدنيا قد حُلّت بمجرد دخولك باب الجنة وما هي الأمور الأربعة؟

1 – صحة فلا مرض بعد هذا.

2 – وإن لكم أن تحيوا فلا تموتوا أبداً.

3 – شباب فلن تشيخ بعد هذا أبداً، وستبقى في سن الشباب إلى ما لا نهاية.

4 – وإن لكم أن تنعموا فلا تيأسوا أبداً.

"سأل موسى ربه فقال: يا رب دلني على أدنى أهل الجنة منزلة، فقال الله عز وجل: يا موسى ذلك آخر رجل يخرج من النار حبواً، وما أن يخرج من النار ينظر إليها ويقول: الحمد لله الذي نجّاني منك، فيقول الله عز وجل له: اذهب فادخل الجنة، فيذهب فينظر إليها فيخيَّل إليه أنها ملأى فيعود ويقول: يا رب وجدتها ملأى، فيقول الله عز وجل له: أما ترضى أن يكون لك مثل ملك أعظم ملك من ملوك الدنيا، فيقول: يا رب أتهزأ بي وأنت رب العالمين، فيقول له الله عز وجل: لك مثل ملك أعظم ملك من ملوك الدنيا ومثله ومثله ومثله فيقول العبد في الخامسة: رضيت يا رب رضيت يا رب، فيقول الله عز وجل له: لك مثل ملك أعظم رجل من ملوك الدنيا وعشرة أمثاله ولك فيها ما اشتهت نفسك ولذت عينك وأنت فيها خالد. فقال موسى: يا رب أذلك أدناهم منزلة؟!. قال: نعم يا موسى، قال: يا رب فمن أعلاهم منزلة؟ فقال الله عز

وجل: يا موسى، أولئك الذين أردت، غرست كرامتهم بيدي"[1]..

تعلم ما معنى غرست كرامتهم بيدي؟ أي أن إسعادك وكرامتك بيد الله عز وجل.

يقول النبي ﷺ عن أهل الجنة: "يُلْهَمون التسبيح والتحميد كما تلهمون النفس"[2].. يلهموا التسبيح كما نلهم نحن النفس...!

أوَ ليس أهل الجنة غير مكلفين بأي عبادة، نعم إن أهل الجنة ليسوا مكلفين بأي عبادة، فلم يسبحوا إذن؟ إنه ليس تسبيح عبادة، إنه تسبيح فرحة، إنه تسبيح اتصال بالله عز وجل، كما لو أننا رأينا منظر طبيعي خلاب، فماذا تقول؟.. سبحان الله! وأنت طوال مشيك في الجنة ترى أمور لم تتخيلها طوال عمرك، فطالما أنك تمشي تقول لا إله إلا الله.. سبحان الله.. الله.. الله أكبر تخيَّل.. "يلهمون التسبيح والتهليل كما تلهمون النفس".

قالوا: يا رسول الله حدثنا عن بناء الجنة، فقال النبي ﷺ: "لبنة من ذهب ولبنة من فضة ملاطها المسك الأذفر"[3] – وهي الطين

---

(1) أخرجه مسلم (189)، والترمذي (3198)، وابن حبان (6216) عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه.

(2) أخرجه مسلم (2835)، وأحمد (14355) عن جابر رضي الله عنه.

(3) أخرجه الترمذي (2525)، وأحمد (7983) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

الذي توضع بين اللبنات – فالذي يجمع بين الذهب والفضة الذي تبنى منه القصور في الجنة هو المسك، والمسك هو أنقى وأجمل أنواع العطور التي قد تتخيلها في حياتك. إنه مسك الجنة مصنوع في الجنة ولا يقارن مع العطور الفاخرة المصنوعة في أي من دول العالم، إنه صنع الجنة، هذا هو ملاط الجنة – الطين الخاص بالبناء – من المسك فتأمل رائحة قصرك في الجنة كيف تكون..

"... وملاطها المسك الأذفر وحصباؤها اللؤلؤ" وفي حديث آخر يتكلم عن الجنة يقول فيه النبي ﷺ "إذا سألتم الله فاسألوه الفردوس فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة، وفوقه عرش الرحمن..."[1] تخيَّل أنك حين تنظر إلى سقف منزلك تجد أن سقفك عرش الرحمن... فماذا تريد بعد هذا؟، أما زلت تريد الدنيا؟!أما زالت الدنيا تملأ عينيك ولست قادراً على رؤية غيرها ولست قادراً على التوبة، وغض البصر، الحجاب، الصلاة في المسجد؟!!.

إن في الجنة شجرة تمشي في ظلها مائة سنة ولا تنتهي، فتخيَّل كم تبلغ مساحة الجنة، تخيَّل لو أنك أردت أن تقوم برحلة حول الجنة كم ألف سنة ستستغرق هذه الرحلة؟،وتخيَّل المناظر الطبيعية، وتخيَّل فسحة في الجنة، فإذا كانت الشجرة تستغرق مائة عام لكي تقطعها

---

(1) أخرجه البخاري (2790) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

وأنت تركب دابة سريعة جداً، فما بالك برحلة حول الجنة، كم من ملايين السنوات تستغرق؟

يا من تبحثون عن السعادة، ليس في الدنيا سعادة! لا توجد سعادة متكاملة في الدنيا، كن ذكياً وتأمل جيداً.

يقول النبي ﷺ: "ما في الجنة شجرة إلا وساقها من ذهب"[1]. تخيَّل الأضواء والألوان، ليس في الجنة ليل ولا نهار، ولا شمس وقمر، وما إلى ذلك، بل نور الله هو الذي ينوِّر الجنة مباشرة... أرأيتم

يقول النبي ﷺ: "ألا مشمِّر للجنَّة" من يشمِّر للجنة.. "ألا مشمِّر للجنة فإن الجنة لا خطر لها، هي ورب الكعبة نور يتلألأ، وريحانة تهتز، وقصر مشيد، ونهر مطرد، وثمرة نضيجة، وزوجة حسناء جميلة، وحللٌ كثيرة في مقام أبداً، في حبرة ونضرة في دور عاليه سليمة بهية" فقال الصحابة: نحن المشمرون يا رسول الله، فقال: "قولوا إن شاء الله"[2].

يقول الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِى شُغُلٍ فَٰكِهُونَ﴾ [يس: 55] بعض الناس عقله سقيم يقول ألن نضجر في

---

(1) أخرجه الترمذي (2524) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(2) أخرجه ابن ماجه (4332)، وابن حبان (7381)، والطبري في الكبير (388).

الجنة؟ من يقول هذا فهو لا يفقه شيئاً، وكيف نضجر والله تعالى يرد على هذا ﴿إِنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِى شُغُلٍ فَٰكِهُونَ﴾ فهم منشغلون بألوان النعيم، وتنبهوا فالله تبارك وتعالى ينشئ في الجنة لذات جديدة غير الدنيا التي نعرفها، فما هي لذات الدنيا المشهورة؟.. الأكل، اللباس، علاقة الرجل بالمرأة.. هذه أشهر لذات الدنيا، أما في الجنة فتنشأ لذات جديدة لا نعرفها، لا تسأل عن مثيلاتها، فنحن لا نعرفها، لا نعرف شكلها ولا ماهيتها، فلا نعرف ما هي هذه اللذات، ألوان جديدة من النعيم، وتبقى تتنقل من نعيم إلى نعيم.. ما هذا إنه شيء جديد لا تعرفه في الدنيا قد أنشأه الله لك، ملايين اللذات الجديدة لا نعرفها إلا واحدة، نعم أنا أعرف واحدة منها إنها رؤية الله عز وجل، وهذه أيضاً لم نعرف حقيقتها فنحن لم نر الله عز وجل، والنبي ﷺ يقول عن هذه اللذة: "فما أعطوا - أي في الجنة - شيئاً أحب إليهم من النظر إلى ربهم عز وجل"[1]... وستجد لذات أخرى تعرفها، ومع هذا ما الذي يأخذك في الدنيا وما الذي يشغلك في هذه الدنيا؟!..هل أنا منشغل بحبي لفتاة، وأتقابل معها ونخرج سوياً ولا أستطيع تركها؟!..وأنتِ ما مشكلتك في هذه الدنيا؟ يقول: أصلي ثم

---

(1) أخرجه مسلم (181) عن صهيب رضي الله عنه.

أقطع الصلاة، لماذا؟ أنسيت!.. إنها الجنة؟..يقول: لست قادراً على التوبة، سمعت درس التوبة ولست قادراً أن أتوب، لماذا؟ لأنني لا أعرف التوكل على الله... ألا يدفعك شوقك للجنة إلى التوبة؟ وأنت شوقك للجنة ألا يدفعك لبر الوالدين، شوقك للجنة ألا يدفعك لصلة الأرحام، لتقوى الله، للحجاب، للصلاة في المسجد، للمال الحلال، إلى إلى إلى... أين الشوق إلى الجنة؟ "ألا من مشمِّر للجنة؟".

يقول النبي ﷺ: "إن ما بين مصرعين من مصاريع الجنة مسيرة أربعين سنة، وليأتين عليها يوم وهو كظيظ من الزحام"[1].

لا تظنوا أن أهل الجنة قليلون، فبعض الناس يقولون إنا جميعاً سندخل النار.. هذا ليس بصحيح، فهناك ملايين سيدخلون الجنة إن شاء الله، نسأل الله تعالى أن نكون منهم ونكتب جميعاً من أهل الجنة من غير سابقة عذاب ولا مناقشة حساب وليس ذلك على الله بعزيز.

احلم بالجنة كثيراً

من الأمور التي تقوي القلب الحلم بالجنة كثيراً، إذا شعرت بأنك لا تستطيع مقاومة المعصية، فاحلم بالجنة قليلاً. وقل في نفسك ءأضيع الجنة؟،جنة عرضها السماوات والأرض لأجل نصف ساعة

(1) أخرجه مسلم (2967) عن عتبة بن غزوان رضي الله عنه.

أعصي فيها الله، فالنبي ﷺ يقول: "لقاب قوس أحدكم أو موضع قدم من الجنة خير من الدنيا وما فيها"[1] قاب قوس يعني قدر ذراع فهي مساحة قليلة جداً، فلو لم يكن لك في الجنة سوى هذه المساحة فإن ذلك أفضل من الدنيا وما عليها. يلبس الشهداء في الجنة تاج اسمه تاج الوقار، والياقوتة الواحدة في هذا التاج خير من الدنيا وما عليها.

تأتي الدنيا يوم القيامة وتقول يا رب اجعلني لأدنى أوليائك نصيباً، فيقول الله تبارك وتعالى لها: "اسكتي يا لا شيء إني لم أرضك لهم في الدنيا أفأرضك لهم في الآخرة".

قال النبي ﷺ: "يؤتى يوم القيامة بأنعم أهل الدنيا وهو من أهل النار فيغمس غمسة في النار ويقال له: هل رأيت نعيماً قط؟ فيقول: لا والله يا رب ما رأيت نعيماً قط، ويؤتى بأشقى أهل الدنيا وهو من أهل الجنة، فيغمس غمسة في الجنة ثم يقال له: هل رأيت شقاءً قط، فيقول: لا والله يا رب ما رأيت شقاءً قط..."[2].

فلماذا لا نحلم بالجنة؟ لماذا لا تكون أحلامنا الأساسية أحلام الجنة؟ وليس أحلام البنت حين تتزوج، نحن طبعاً سنحلم في هذه الأمور وتتمنى هذه الأمور، لكن أمنيتك الأساسية ما هي؟

---

(1) أخرجه البخاري (6568).

(2) أخرجه مسلم (2807)، وأحمد (12699) عن أنس رضي الله عنه.

فلو سألنا كثيراً من الناس قبل قراءة هذه الكلمات: ما هي أمنيتك الأساسية، فكم من هؤلاء سيجيب أن يرضى الله عني ويدخلني الجنة؟!!

لو نزلنا إلى الشارع وسألنا الناس: ما هي أكثر أمنية تتمنى أن تحققها؟

من سيقول أنا أمنيتي الجنة أريد أن أدخل الجنة وهذه أمنية حياتي، إنها أمنية حياتي فعلاً، فأنا أعيش لأجلها لأجل دخول الجنة.

احلموا بالجنة، وحين تنام ليلاً تخيّل ماذا تتمنى في الجنة؟ أوَ ليس الله تعالى يقول: ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ [ق: 35] ومعنى ما يشاؤون أي كل ما تتمنّاه...

ماذا تتمنى؟ أتمنى أن يكون قصري مليء بحمامات السباحة وملاعب كرة القدم، وأكون مع أصدقائي سوياً، وننزل إلى الماء ثم نلعب الكرة.. أنا لا أقول كلاماً فارغاً، ولكني أحاول تقريب المعنى لأذهانكم... أحاول مساعدتكم على الحلم بالجنة بدل الحلم بأمور محرمة...

ماذا تتمنى؟ أتمنى مقابلة النبي ﷺ، وأجلس بين يديه ويحضنني وهو فرح بي ويأخذ بيدي ويمشي معي في الجنة... أتمنى دعوة النبي ﷺ ويأتي ويجلس معنا ليلاً على ضفاف النهر في يختنا أمام جنتنا وقصرنا...

ماذا تتمنى

الحب! أن أحِبَّ وأُحَب، فتخيَّل لو أردت أن تستشعر أجمل لحظات الحب، فوالله إنها لا تحصل في الدنيا، ودعك من الحب الذي تسمع عنه هذا، فالأمور في الدنيا لا تبقى جيدة دائماً، لكن الشخص الذي يبحث عن السعادة والحب الجميل الرائع، لن تجده في الدنيا أبداً وستجده في الجنة... دعكم من القصص الغرامية والأوهام، فعلى أرض الواقع أين هذا الحب الرائع الذي يجعل القلب يطير فرحاً.. ليس موجوداً في الدنيا وستجده في الجنة.

يقول الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّآ أَنشَأۡنَٰهُنَّ إِنشَآءٗ﴾ [الواقعة: 35] وهذا لمن؟ للحور العين أم لنساء الدنيا! نساء الدنيا وليس الحور العين، الحور العين على جمالهن وعلى روعتهن التي وصفها النبي ﷺ في أحاديث إلا أن الثابت عند كل العلماء أن نساء الدنيا يأتين في الجنة أجمل من الحور العين..

يقول الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّآ أَنشَأۡنَٰهُنَّ إِنشَآءٗ (35) فَجَعَلۡنَٰهُنَّ أَبۡكَارًا (36) عُرُبًا أَتۡرَابٗا﴾ [الواقعة: 35-37] أتراباً أي أن سنها في حدود السادسة عشرة سنة، والعُرب أي التي تجيد فن العشق والكلام الجميل الرائع الذي يأخذ بقلب الزوج.. حتى أن ابن القيم يقول: فإذا دخلت قصرها - أي المرأة من أهل الجنة من نساء الدنيا - أضاء

منه كل شيء فإذا تحدثت مع زوجها ذهل عن الجنة ومن فيها – أي ينسى الجنة ويتعلق بها هي..

أيها الناس الذين تبحثون عن الحب، أيها الناس الذين ارتكبتم آلاف المعاصي تحت اسم الحب في الدنيا، أيها الناس الذين أضعتم إيمانكم وقلوبكم الموصولة بالله لأجل شهوة حب في لحظة أو لأجل معصية في لحظة سوف تجدون الحب في الجنة...

ماذا تتمنى؟ أتمنى الأصحاب وأبقى معهم ليل نهار، يقول النبي ﷺ: "يشتاق الأخ إلى أخيه في الجنة فيقرب الله سرير هذا من سرير هذا فيقول الأخ لأخيه أتذكر متى غفر الله لنا؟ فيقول له: نعم يوم كذا وكذا وكنا نفعل كذا وكذا"[1]...

يحكي النبي ﷺ عن أهل الجنة فيقول: "قلوبهم على قلب رجل واحد لا اختلاف بينهم ولا تباغض"[2].

فهل تعرفون ما معنى قلب واحد؟ أي أنكم إذا تحابيتم في الدنيا فإن الله ينزلكم يوم القيامة في الجنة منازل قريبة من بعضها، فإذا كنت تتمنى فعل أمرٍ ما، فيقذف الله تبارك وتعالى في قلوب الآخرين نفس اللذة.. "قلوبهم قلب واحد لا اختلاف بينهم ولا تباغض".

---

(1) أخرجه العقيلي في الضعفاء (103/2)، وابن أبي حاتم في العلل (220/2).
(2) أخرجه البخاري (3246)، ومسلم (2834) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

رؤية الله عز وجل في الجنة

أجمل ما في الجنة وأعظم ما في الجنة رؤية الله عز وجل، يقول النبي ﷺ: "إن أهل الجنة إذا دخلوها نزلوا فيها بفضل أعمالهم، ثم يُؤذن في مقدار يوم الجمعة من أيام الدنيا فيزورون ربهم، ويُبْرِز لهم عرشه، ويتبدى لهم في روضة من رياض الجنة، فتوضع لهم منابر من نور، ومنابر من لؤلؤ، ومنابر من ياقوت، ومنابر من زبرجد، ومنابر من ذهب، ومنابر من فضة، ويجلس أدناهم - وما فيهم دنيّ - على كثبان المسك والكافور، وما يرون أن أصحاب الكراسي بأفضل منهم مجلساً"، قال أبو هريرة: يا رسول الله وهل نرى ربنا؟ قال: "نعم، هل تتمارون في رؤية الشمس والقمر ليلة البدر؟"، قلنا: لا، قال: "كذلك لا تمارون في رؤية ربكم، ولا يبقى في ذلك المجلس رجل إلا حاضره الله محاضرة، حتى يقول للرجل منهم: يا فلان بن فلان أتذكر يوم قلت كذا وكذا، فيُذكِّر ببعض غدراته في الدنيا فيقول: يا رب أفلم تغفر لي؟ فيقول: بلى فبسعة مغفرتي بلغت منزلتك هذه، فبينما هم على ذلك غشيتهم سحابة من فوقهم، فأمطرت عليهم طيباً لم يجدوا مثل ريحه شيئاً قط، ويقول ربنا تبارك وتعالى: قوموا إلى ما أعددت لكم من الكرامة فخذوا ما اشتهيتم، فتأتي سوقاً قد حفت به الملائكة، فيه ما لم تنظر العيون إلى مثله، و لم

تسمع الآذان، ولم يخطر على القلوب، فيحمل لنا ما اشتهينا، ليس يباع فيه ولا يُشترى، وفي ذلك السوق يلقى أهل الجنة بعضهم بعضاً، فيقبل الرجل ذو المنزلة المرتفعة فيلقى من هو دونه وما فيهم دنيٌّ فيروعه ما يرى عليه من اللباس" وفي آخر الحديث أنه عندما يرجع إلى زوجاته يقلن: "مرحباً وأهلاً، لقد جئت وإن بك من الجمال أفضل مما فارقتنا عليه، فيقول: إنا جالسنا اليوم ربنا الجبار ويحقنا أن ننقلب بمثل ما انقلبنا"[1] وعن صهيب رضي الله عنه قال: تلا النبي ﷺ هذه الآية ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: 26] وقال: "إذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار نادى منادٍ: يا أهل الجنة إن لكم عند الله موعداً يريد أن ينجزكموه، فيقولون: وما هو؟ ألم يثقّل موازيننا؟ ويبيض وجوهنا، ويدخلنا الجنة ويجرنا من النار؟ قال: فيكشف لهم الحجاب فينظرون إليه، قال: فوالله ما أعطاهم شيئاً أحب إليهم من النظر إليه، ولا أقر بأعينهم"[2]. لذلك كان من دعاء النبي ﷺ: "اللهم إني أسألك لذة النظر إلى وجهك والشوق إلى لقائك"[3]...

---

(1) أخرجه الترمذي (2549)، وابن ماجه (4336).

(2) أخرجه مسلم (181)، وأحمد (18462)، والترمذي (2552).

(3) أخرجه أحمد (17861)، والنسائي (1305) عن عمار رضي الله عنه.

- إذا رأينا منظراً طبيعياً أو ساعة غروب أو شروق فنقول: الله ما هذا! وهذه دنيا لا تساوي عند الله جناح بعوضة، فما بالكم برؤية خالق الجمال، فما بالك حين تنظر إلى الله عز وجل؟ ما الذي يحدث لهذا القلب وانظروا كما مر معنا في الحديث أن النبي ﷺ قال: "... ولا يبقى في ذلك المجلس رجل إلا حاضره الله محاضرة".

فلا يوجد أحد منهم إلا ويكلمه الله عز وجل وهو راضٍ عنه – تخيّل ماذا سيقول لك؟..يقول الله عز وجل له: يا فلان بن فلان أتذكر يوم قلت كذا؟أتذكر ذنب كذا؟أتذكر ذنب كذا؟،فيقول العبد: يا رب ألم تغفر لي؟!فيقول الله عز وجل له: "نعم يا عبدي بمغفرتي بلغت منزلتك هذه". هذه هي الجنة، كلنا يبحث عن السعادة. لا توجد سعادة كاملة في الدنيا، الدنيا زائلة والسعادة الحقيقية في الجنة، فهذه هي الجنة وجمالها.

لن يدخل الجنة إلا من كان نقياً تمام النقاء من المعاصي.

ينبغي أن تدرك أن الجنة مصممة للأنقياء تماماً، ولا ينبغي أن يكون في سريرة من يدخلها غل على أشخاص أو حقد، أو ما زال يغتاب الناس، أو يعامل الناس بجفوة ويقول سأدخل.. من يدخل الجنة ينبغي أن يكون نقياً تماماً.. لن يدخل الجنة إلا نقي.

ودليل هذا الكلام قول الله عز وجل: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ طِبۡتُمۡ فَٱدۡخُلُوهَا خَٰلِدِينَ﴾ [الزمر: 73] وطبتم أي نُقّيتم من المعاصي والذنوب، ومعنى ذلك أنكم لو لم تطيبوا ما كنتم لتدخلوها. وفي آية أخرى ﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمُ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ﴾ [النحل: 32] فشرط دخول الجنة أن تكون طيّباً ويعني ذلك أن تكون نقياً من الذنوب تماماً أي ليس فيك ذرة معصية.

كيف يكون ذلك وكلنا ذنوب ومعاصي، فهل معنى هذا الكلام أن لا أحد سيدخل الجنة؟،لا ليس هذا ما نقصد، بل هنالك ملايين سيدخلون الجنة من غير عذاب...

الجنة لن يدخلها إلا نقي تماماً، ولذا فمن رحمة الله تعالى أن جعل لنا إحدى عشر محطة تنقية، وهي وسائل تنقى بها لدخول الجنة؛ أربع منها في الدنيا، وثلاث في القبر، وأربع يوم القيامة.

إحدى عشر وسيلة، ولو أن هذه المحطات نقّتك فأنت بإذن الله ستدخل الجنة ولو بقي فيك ذرة وهذه المحطات لم تكن تكفي فستدخل النار، هذا معيار دخول الجنة والنار.

وتنتهي تلك المحطات أمام الصراط، وهذا يعني أن مع بداية جوازك للصراط فإما أن تكون نقياً وتجوز الصراط أو لن تكون نقياً فتقع. تنبه للصراط، والصراط كما جاء في الحديث: "أدق من الشعرة

وأحد من السيف"[1] بعرض جهنم، إنه جسر يعبر فوق جهنم، من يمر سيجد باب الجنة أمامه، فيأخذ النبي ﷺ بيده ويدخله القصر، لأنك أمام الصراط تكون قد أنهيت مراحل التنقية، فمن لم ينقَ في محطات التنقية سيقع من فوق الصراط.

كم من الوقت يستغرق هوي البشر في النار من فوق الصرط؟؟

جلس النبي ﷺ مع الصحابة يوماً فسمعوا صوت جلبة فقال النبي ﷺ: "أتدرون ما هذا؟" قالوا: لا يا رسول الله، قال: "هذا حجر سقط في قعر جهنم يسقط منذ سبعين سنة وصل الآن إلى قعرها"[2].

حتى يقع المرء من فوق برج إيفل أو جبل المقطم فإنه لا يستغرق ثوانٍ معدودات لا تزيد عن خمس أو ست. فتخيّلوا أن يسقط الشخص سبعين سنة! يعني عمره كله، أي أنه يسقط قبل أن يصل إلى قعر النار بمقدار عمره.

كيف يجوز الناس الصراط؟

يحكي النبي ﷺ عن الصراط يقول: "منهم من يمر كطرفة العين

---

(1) أخرجه مسلم (183) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(2) أخرجه مسلم (2844)، وأحمد (8622) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

ومنهم من يمر كالبرق ومنهم من يمر كالريح ومنهم من يمر حبواً ومنهم من يمر زحفاً ومنهم من يتعلق بالصراط فتجره الملائكة على الصراط ومنهم من يسقط ومنهم من تخطفه الكلاليب"[1] الكلاليب حديدة معوجة مدببة تأخذ العصاة وتهوي بهم في النار، فمن الذي سيجوز الصراط، لا تخف فمن كان نقي في محطات التنقية فسوف يجوز كطرفة العين وإذا لم يُنَقَّ فسيقع.

محطات التنقية

حين تعرف ما هي محطات التنقية تقول بأنه لن يدخل أحدٌ النار من الرحمة والسهولة والكثرة والبساطة في دخول الجنة.

أربع في الدنيا

1 - التوبة:

أول محطة تنقية وأعظم محطة تنقية التوبة، فبدل من أن تزحف على الصراط أو تحبو على الصراط، تب إلى الله عز وجل.

2 - الاستغفار:

عن الذنوب التي لا تذكرها، فلقد كان رسول الله ﷺ يستغفر

---

(1) ذكره بما معناه وقد أخرجه البخاري (7440)، ومسلم (182) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

في اليوم أكثر من مائة مرة، فما المانع من أن تستغفر في اليوم مائة مرة، ولن تستغرق منك سوى نصف دقيقة.

3 – الحسنات:

فالحسنات تمحو السيئات، وأتبع السيئة الحسنة تمحها، فيا من تخافون من الصراط ولا تريدون السقوط في النار وعندكم ذنوب.. لا تقل لن أستطيع التوبة ثانية بل أتبع السيئة الحسنة تمحها.

جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: أصبت من امرأة قبلة، فأشاح عنه النبي ﷺ بوجهه، فنزل قول الله عز وجل ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ﴾ [هود: 114]، فقال الرجل: يا رسول الله ألي هذه؟ قال: "لمن عمل بها من أمتي"[1].

احرص على فعل الحسنات، ولا تستهن بها، فلا تستهن بأن تقول لشخص السلام عليكم بدلاً من قولك "باي" أو "هاي" قل: السلام عليكم وخذ الحسنات. كن طموحاً للحسنات، فهذه من أعظم وسائل التنقية، فلم لا تتصدق وتذكر كل يوم.

حتى النبي ﷺ كان طموحاً للحسنات، فيوم الهجرة قال أبو

---

(1) أخرجه البخاري (4687)، ومسلم (2763) عن ابن مسعود رضي الله عنه.

بكر للنبي ﷺ: "أعددت لك هذه الراحلة حتى تهاجر عليها" فرفض مع أنه كان يقبل الهدية وقال: "بالثمن"[1] أي أدفع ثمنها، لم فعل هذا النبي؟ حتى لا يضيع ثواب الهجرة!

4 – مصائب مكفّرة:

إذا كنت ارتكبت السيئات ويريد الله تعالى أن يدخلك في منزلة بالجنة فإنه يكفر عنك بالمصائب.

ونحن نتعامل مع المصائب على أنها بلاء وهي تنقينا (وما ابتلاك إلا ليصفيك) إنه يبتليك لينقيك ليخرجك من ذنوبك.

فوالله ليس لنا في الدنيا إلا هذه المحطات الأربع.

ثلاث في القبر

فإن لم يتب، ولم يستغفر وحسناته قليلة جداً ولم يبتله الله تعالى بمصائب، فلم ينق في الدنيا، ولكن من رحمة الله أنه ينقيه في القبر في ثلاثة محطات:

1 – صلاة الجنازة:

لذلك حين يموت أحد تعرفه فسارع إلى جمع المؤمنين للصلاة عليه، والعبرة ليست بالعدد بل بالمؤمنين، فسارع واجمع الطائعين

---

(1) أخرجه البخاري (3906)، وأحمد (25098) عن عائشة رضي الله عنها.

والصالحين للصلاة عليه، فصلاة الجنازة ودعاء الناس له تشفع له – أي الميت – في قبره. فبعد أن مات إنه يتقي، فإن مات وعنده قليل من السيئات وقد يهوي من على الصراط تأتي صلاة الجنازة لتقيه.

2– فتنة القبر:

سؤال الملكين، وظلمة القبر وضيق القبر ووحدة القبر، كل هذه أمور صعبة في القبر يتقى فيها.

سؤال الملكين، وقوفك بين الملكين وهم يسألونك من ربك؟ما دينك؟ماذا تقول في الرجل الذي بعث فيكم وخوفك في هذا الموقف؟.

وحدتك حين يقفل عليك القبر، ظلمة القبر كل هذه الأمور تثقيلك، لكن تنبه لأمر، من كان قد نقي في الدنيا لا يتعرض لفتنة القبر.

لذلك يقول النبي ﷺ: "القبر إما روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار"[1].

فالناس الذين يخافون من القبر، من أخبرهم أن كل القبور فيها ظلمة وثعابين وضيق وخوف ورعب، فالقبر يكون أحياناً روضة من رياض الجنة، لمن؟ للذي تُقّيَ في الدنيا، ومن لم يُتَقَّ فمن الرحمة به أن

---

(1) أخرجه الترمذي (2460) عن أبي سعيد رضي الله عنه.

يكون كذلك بدلاً من دخوله جهنم.

3- ما يهديه إليك الأحياء من ثواب الأعمال

فإن مت فقام الأحياء بإهدائك بعض الهدايا، فيكَفَّر عنك وتنقى وأنت في قبرك بفضل هذه الهدايا.

لقد أجمع العلماء على أن أربعة أمور يصل ثوابها للميت وهي: الحج والعمرة والصدقات والدعاء...

أرأيتم عظمة الدين، فإن مت فإن الحسنات تتوالى عليك، ألسنا نحفظ الحديث: "إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاثة: علم ينتفع به أو صدقة جارية أو ولد صالح يدعو له"[1].

فتخيّل أن شخصاً مات وأهداه شخص آخر عمرة فقد تكون سبباً ليصبح من أهل الجنة.

فلو كنت تحب أحداً ثم توفي فبدل أن تبكي عليه بكاء طويلاً، فسارع وأهده عمرة، أخرج صدقة من مالك الخاص، وكلما كانت الصدقة أنفع للمجتمع كلما زاد ثوابه وأنت تنال الثواب معه.

كنت في الحج منذ سنتين، فرأيت شخصاً آخر يحج وهو مصري يعيش في السعودية، فقلت له طوبى لك فإنك تحج في كل

---

(1) أخرجه مسلم (1631) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

عام، فقال: لا والله إني لا أحج عن نفسي هذه السنة، فقلت له: أنت تحج عمن إذن، فقال: أنا أحج عن ابن حزم الأندلسي!!..

فقلت: نعم! ولكن كيف؟ فقال: إن ابنَ حزم توفي ولم يحج فأحببت أن أهدي له حجة.

فإذا لم تكفه المحطات الثلاث في تنقيته، فهل يعقل، الأربع في الدنيا لم تنقه وثلاث في القبر لم تنقه، ولكن كيف؟

نعم، لم يُصَلِّ عليه أحد في جنازته، فمن شؤم معصيته لم يسخر الله له من يصلي عليه، وقد شاهدت مثل هذه الحالة شخصياً في موسم الحج وكنت داخلاً للحرم والازدحام كان شديداً، ولا يسمح للجنازة بدخول الحرم إلا ساعة الأذان، فأدخل الناس جنازتين، فكأني عرفت وجوههم وهم يدخلون سوياً وصلينا صلاة الجنازة فعلمت أن الصلاة عليهما وعلى غيرهما، ولكن بعد صلاة الجنازة وبعد أن انتهت الصلاة وبدأ الطواف وتفرق الناس رأيت واحداً من الذين كانا داخلين لم يَصِلْ في الوقت، فصَلّى عليه خمسة عشر شخصاً بدلاً من ثلاثة ملايين شخص! أمر غريب، أمر ليس له تفسير!!

لم يتذكره أحد بعد موته، فأهله وأحبابه بدلاً من أن يدعوا الله له يبكون، فلم يأخذ الثواب، ولم تنقه فتنة القبر لكثرة ذنوبه، فمن رحمة الله تعالى به ينقيه يوم القيامة بأربع أمور.

أربع يوم القيامة

1– أهوال يوم القيامة:

هذه قد تكفي، فمن المفترض أن أهوال يوم القيامة كافية لتكفير الذنوب، فرؤية الشمس وهي تكور، والنجوم وهي تنثر والبحار وهي تفجّر والأرض وهي تزلزل: كل هذا الرعب يكفّر وينقي من سيئاتك.

2– الوقوف بين يدي الله عز وجل:

مجرد وقوفك بين يدي الله تنقية لذنوبك، تخيَّل وأنت واقف بين يديه وهو يسألك: "عبدي ألم أنعم عليك ألم أرزقك مالاً؟ ألم أكن رقيباً على عينيك وأنت تنظر إلى الحرام؟،ألم أكن رقيباً على لسانك وأنت تغتاب به الناس؟،ألم أكن رقيباً على قدميك وأنت تمشي بهما إلى الحرام؟،عبدي استهونت بلقائي؟ أكنت عليك هين، أتجملت للناس وأتيتني بالقبيح، ما غرّك بي يا عبدي؟ هذه الوقفة تنقيك وتكفر عنك من خطاياك.

3– شفاعة النبي ﷺ :

يشفع النبي ﷺ للمؤمنين: يا رب أمتي أمتي، يقول النبي: "لكل نبي دعوة مستجابة فتعجل كل نبي دعوته وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة فهي نائلة إن شاء الله من مات من أمتي لا يشرك

بالله شيئاً"[1] وهل يعقل أن يبقى بك ذنوب بعد شفاعة النبي ﷺ!

4- عفو الله عز وجل:

قال النبي ﷺ: "يقول الله عز وجل: شفعت الملائكة، وشفع النبيون، وشفع المؤمنون، ولم يبق إلا أرحم الراحمين...".

هل بقي لأحدٍ ذنوب؟!إحدى عشرة محطة ويبقى ذنوب! فأنا حين أسمع مثل هذا الكلام أقول: لا ريب أنا جميعاً في الجنة، فالرحمة واسعة وهذا أكيد، لكن تخيلوا يا إخوتي أن بعض الناس سيسقطون، يستحقون أليس كذلك؟اوماذا فعل هذا حتى يستحق؟!

أربع فرص في الدنيا، توبة واستغفار وحسنات ومصائب، وثلاثة في القبر صلاة جنازة وفتنة القبر وناس تهديك أعمالاً صالحة.

أربع يوم القيامة، أهوال القيامة، والوقوف بين يدي الله عز وجل، وشفاعة النبي ﷺ وعفو الله عز وجل.. ولم يُنقَّ بعدا لا بد أن تنقى، فيسقط من لم ينقَّ في جهنم على المعصية والخبث اللذان لم يزالا به، وكأن النار تنقيه فإذا نُقِّي أخرج من النار وأدخل الجنة. تماماً كالذهب، فالذهب عيار ثمانية عشر غير الذهب عيار أربعة وعشرين، فكلما طلب درجة نقاء أعلى فنحن بحاجة لوضعه في

(1) أخرجه البخاري (6304)، ومسلم (199) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

النار أكثر.. نفس الفكرة.

وحتى تدخل الجنة لا بد أن لا يكون فيك ذرة خبث، فإذا بقي فيك بعد محطات التنقية خبث فتدخل جهنم والعياذ بالله رحمة بحقك حتى تنقى وتدخل الجنة، ويكون مقدار بقائك في النار على مقدار الخبث، فإذا نُقّيت وصفي قلبك ونُقّيت من الخبث قالت لك الملائكة: ﴿طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾ [الزمر: 73].

كلنا نبحث عن السعادة، ولا توجد سعادة في الدنيا، فالسعادة في الجنة، وكلنا نتمنى أن ندخل الجنة ونجاور الله، ونقابل النبي ﷺ ونكلم الله ونرى الله عز وجل، ولكن للأسف لن يدخل أحداً الجنة إلا إذا كان طيباً أي كان نقيّاً تماماً.

ولكننا ممتلئون بالذنوب فما العمل؟

فقد جعل الله لنا إحدى عشرة محطة تنقية، فإن لم تكف تدخل جهنم والعياذ بالله...

ماذا تملك من المحطات الإحدى عشر؟

لا تملك من المحطات إلا ثلاثة، فالمصائب ليست بيدك، فإن شاء ابتلاك وإن شاء لم يبتليك، فليس في يدك إلا التوبة والاستغفار وحسنات تمحو السيئات.

فإذا كنت مشتاقاً للجنة وخائفاً من النار فهذه هي الطرق أمامك، فلا تعرض نفسك لأهوال القيامة، فلن تتعرض لها إن كنت مؤمناً طائعاً، ولن تتعرض لفتنة القبر إن كنت مؤمناً طائعاً، وأمامك أمر سهل للغاية:

1 – توبة.

2 – استغفار.

3 – وحسنات كثيرة بالقدر الذي تستطيعه حتى ولو كنت مرتكباً للمعاصي.

الباب الثامن

الخشية

هل نحن نخشى الله عز وجل، وكم نخشاه؟

حين بدأت تحضير هذه الكلمات عن الخشية، قلت: لو سألت القرّاء كم نخشى الله نحن؟،وبدأت الكلام في نماذج الصحابة في خشية الله، لن يتفاعل معي القرّاء. فقلت هل نخشى الله نحن أم لا؟ ونظرت إلى نفسي أولاً، فالكلام في الخشية ليس موجهاً للقرّاء وأنا في منأى عن الكلام، بدأت أنظر إلى نفسي، وبدأت أمشي في الشارع وأنظر إلى الناس، وأنظر إلى الذين يحضرون الحلقات في المسجد والمشاكل التي يسأل عنها الناس، فوجدت في الحقيقة أموراً غريبة جداً، فقلت: أين نحن من خشية الله؟ فلننظر إلى أفعالنا و سنجد فعلاً أموراً شديدة جداً، سأقول بعض النماذج، سنجد أموراً موجودة عندك، وأموراً غير موجودة عندك، لكن كل ما أقوله هو موجود في أشخاص في مجتمعاتنا.

عقوق الوالدين

نظرت إلى أمر كعقوق الوالدين، فوجدت أن آباء وأمهات يبكون، والاتصالات منهم تنهال على المصلحين والدعاة يشتكون من أولادهم...

وآباء يبكون من أولادهم.. رجلٌ محترم عظيم يبكي بالدموع مما فعله به أولاده.

وأم تبكي وقلبها يؤلمها مما فعلته بها ابنتها... وسمعت قول الله تعالى وهو يقول: ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿23﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ﴾ [الإسراء: 23-24].

قم بإذلال نفسك لأبيك وأمك، فكم من شخص في هذا الوقت يذل نفسه خشية لله عز وجل، وكم من شخص حريص أن لا يرى دمعة من أمه لموقف أخطأ فيه.. من يتق الله في أبيه وأمه خشية لله عز وجل.. فمن خوفه من الله وخشيته من الله عز وجل لا يمكن أن يَعُقَّ والديه أو يؤلم والديه ولو حتى أن يدخل كل يوم بيته ويغلق غرفته على نفسه وهم يتمنون أن يجلس معهم خمس دقائق، حتى الخمس دقائق قد استكثرها عليهما... نظرت إلى عقوق الوالدين وجدته شديداً...

حصائد الألسن

نظرت إلى ألسنتنا، فكم كلمة حلال وكم كلمة حرام تلفظ في اليوم؟ وجدت أننا نتكلم في اليوم آلاف الكلمات...

فلو كل واحد جاء ليلاً ووزن ما فعله، ونظر في الألفي كلمة التي تلفظها خلال اليوم، كم كلمة منها في كفة الحسنات وكم كلمة في كفة السيئات.

فكم كلمة ستكون في كفة السيئات، كم كذبة في اليوم، كم غيبة في اليوم في تليفون أو.. أو.. أو.. كم نميمة؟،كم شخص حين يلتقي صاحبه يحيِّه بشتيمة؟،كيف حالك يا ابن الكذا.. وما أخبارك يا ابن الكذا.. فللأسف إن الشباب في هذا الوقت يداعب رفاقه بمثل هذا الكلام...

كم كلمة لا يصح قولها ستجد؟ كم كلمة حرام ستجد أنك قد لفظت في اليوم والليلة، وهل يكب الناس على وجوههم في جهنم إلا حصائد الألسنة، إلا نتيجة هذه الألسنة، ومن يخشى الله في لسانه، من يفكر قبل الكلام خشية لله عز وجل. فنصف كلامنا كلاماً لا ينبغي أن يقال، إما حرام أو كذب أو غيبة أو نميمة أو خوض في أعراض الناس أو ضحك على الناس أو غمز بالناس أو استهزاء بالناس أو كلام فيه ما لا يليق، أو كلام كله فحش أو شتائم أو بذاءة...

ما هذا.. أين نحن! وأين خشية الله تعالى في ألسنتنا..

انظر إلى عينيك وأين تتحرك هذه الأعين، فهناك أشخاص تأخذهم أعينهم من معصية لمعصية، وهناك أشخاص قلبهم يؤلمهم من كثرة ما يعرضون على القلب من صور ليس قادراً على الوصول إليها من أشكال الحرام...

غض البصر

الذي ينظر عبر الإنترنت إلى المواقع السيئة، والذي يشاهد عبر التلفاز قنوات فضائية لا يليق لرجل أو امرأة مشاهدتها... كل هذا أين! هذه الأعين إلى أين ستودي بنا.. أين خشية الله وهذه الأعين مطلقة كيف تشاء تنهش الأعراض، أين خشية الله في هذه الأعين؟...

أنا لا أخاطبكم بل أخاطب نفسي أيضاً، أنا أخاطب الجميع، وأريد القول بأن الموضوع الذي أتناوله موضوع خطير، موضوع خشية الله ونحن مبتعدون ونفعل أموراً لا تدل على الخشية أبداً...

انظروا إخوتي إلى أختنا التي تمشي في الشارع وليست حريصة أن تستر نفسها، ولا أن تستر جسمها ومفاتنها حيث تركت الناس ينظرون إليها...

انظروا إلى التي ارتدت الحجاب، ولكن جزءاً كبيراً من شعرها، ربع شعرها ظاهر... أو التي ارتدت الحجاب وثيابها ضيقة للغاية، أين خشية الله في ملبسك، أين قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾ [النور: 31] الشباب الذين يطلقون البصر، أين قول الله: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ﴾ [النور: 30].

أين وقع الآيات والأحاديث؟

ما هو مدلول هذه الآيات في حياتنا، أين قول النبي ﷺ لأسماء: "يا أسماء إن المرأة إذا بلغت سن المحيض لم يصلح أن يظهر منها إلا هذا وهذا" وأشار إلى وجهه وكفيه[1]

إخوتي هناك أيدٍ تأكل الحرام وبطون تمتلئ بالحرام مع أن الحديث واضح: "كل لحم نبت من حرام فالنار أولى به"[2].. البطون التي امتلأت أكلاً حراماً، فالناس التي تأكل المال الحرام وتأكل وتفعل و.. و..، وتستبيح هذا الحرام، كيف تستطيع أن تضع هذه اللقمة داخل بطنها، كيف تطعم أولادها هذا الحرام، أين خشية الله بعد هذه الآيات؟!!...

(1) أخرجه أبو داود (4104) عن عائشة رضي الله عنها.
(2) أخرجه ابن حبان في المجروحين (243/1)، والطبراني في الأوسط (2944) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

علاقات الرجال بالنساء، انظروا المشاكل التي تملأ المجتمعات، ونفاجأ أن الكثير من شباب الجامعات يزنون. والذي يتكلم عبر الهاتف كلاماً بذيئاً لا يصح، والذي يصاحب فتاة وكانت العلاقة بينهما كحقوق الزوجين... ما هذا! أين خشية الله؟

أين خشية الله تبارك وتعالى في هذا؟! مع أن الله تبارك وتعالى يحذّر ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ [آل عمران: 30]. حين نسمع هذه الآية، فهل نخشى الله؟ حين نسمع ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ ماذا يكون أثرها في قلبك؟!غالباً لا تفعل شيئاً وفي الغالب لا تؤثر أبداً..

حياء مفقود، وعزائم ضعيفة وإرادة واهية، أنا لا أسعى لإحباطكم - والله - أنا أكشف أدواء موجودة في مجتمعاتنا، كلنا واقع فيها.

عزائم ضعيفة، أناس يتصلون ويقولون إنهم حين يخرجون من الدروس الدينية لا يكملون يومهم إلا ويعودون كما كانوا أو أسوأ..

أين العزائم القوية؟ أين عزائم الصالحين والتابعين، أين عزائم الشباب، أين الرجولة؟ أين القوة لله ﴿يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾ [مريم: 12] خذوا هذا الكتاب بقوة..

صلوات تُضيّع وعباداتٌ تترك وسنن تندثر، قيام ليلٍ لا تجد له قائماً إلا القليل..

حتى المتدينين، أين خشية الله في قلوبهم؟ متى كانت آخر مرة دمعت فيها عينك من خشية الله؟

متى كانت آخر صلاة صلّيتها وأنت تشعر بقربك من الله؟

متى كانت آخر مرة شعرت بقرب الله تعالى منك وأنت تمشي متى؟

كم مرة تشعر بهذا في الشهر؟

المصاحف التي أصبحت متروكة في البيوت وعلاها الغبار من قلة القراءة فيها... ألا تتأثر في هذا الموقف؟

المساجد التي تهجر من صلاة الفجر إلى صلاة العشاء، أين الشباب الذين يصلون في المساجد؟

إذا نزلت إلى صلاة الفجر في المسجد تجد القليل القليل القليل الذين يصلون في المساجد، أين حيوية الشباب وقوة الرجال في أداء صلاة الفجر؟

الحقيقة أن كل هذه الأمور أدواء شديدة موجعة.. ووالله يا إخوتي أن كل ما قلته في كفة، وأسوأ من هذا كلّه الناس الذين يغفلون عن الله...

أنا أعتبرهم أسوأ من كل ما فات، فمن كان كل همها في

حياتها ما هي آخر موضة! وآخر أغنية ماذا تقول، ومن الذي غنّاها، ومن الذي فاز بجائزة الأوسكار، ومن أفضل ممثلة هذه السنة، ومن أشهر لاعب كرة، ومن ومن! ومن؟!!

حين تكون هذه هي كل القضايا التي تشغل بالك أو بالك، وحتى لو لم تكن هذه الأمور التي تشغل بالك، بل لعلك تقول الذي يشغل بالي هم أولادي وأكل أولادي ولباس أولادي؛ لكن أين الله في حياتنا؟! هل يا ترى نحن نخشى الله بعد كل ما قلته؟!وهل تملأ خشية الله قلوبنا؟!أو أنني أبالغ في الكلام الذي أقوله! قد أكون بالغت، لكن الواقع أنه توجد آيات في القرآن كلما سمعها الإنسان يتألم، تسمع قول الله عز وجل: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾ [البقرة: 74] تشعر بالعتاب القرآني الذي يزلزلك من الداخل، ﴿.. فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ [البقرة: 74] يخبرنا الله أن الحجارة أفضل منا، فالحجارة فيها حياء وقلوبنا صدئة، فالحجر يهبط من خشية الله وقلوبنا لم ترجف أو تضطرب لحظة من خشية الله إلا حين نبتلى بمصيبة يبدأ القلب يرتعش، لكن الحجارة أفضل من قلوب لا تخشع في عمرها لحظة من خشية الله.

يقول الله تبارك وتعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم﴾ [الزمر: 22].

ويقول الله تبارك وتعالى: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الحشر: 21].

إخوتي! أين الخشية في هذه القلوب؟

والله يا إخوتي لن يفلح في إصلاحنا آلاف المواعظ والدروس، فلو سمعت كل يوم درساً، وسمعت كل يوم ألف موعظة لن تستفيد لو كان قلبك لا يريد الخشوع وهذا بنص القرآن، يقول الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [فاطر: 18] فمن هؤلاء الذين ستنذرهم وسيتأثرون بهذا الإنذار هم الذين يخشون ربهم بالغيب...

يقول الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ وَخَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ﴾ [يس: 11].

﴿فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ ۝٩ سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ۝١٠ وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلْأَشْقَى ۝١١ ٱلَّذِى يَصْلَى ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ ۝١٢ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ﴾ [الأعلى: 9-13].

خشية الله عز وجل

الواقع أن كلامنا سيكون تحت عنوان الخشية، وقد يسأل سائل هل الكلام تحت اسم الخشية أم الخوف! ولماذا لا يكون تحت اسم الخوف واللفظان بمعنى واحد..

الواقع أن هناك فرق بين الخوف من الله والخشية من الله، والفرق أن الخوف من الله شعور يؤدي إلى الهرب والجزع والوجل والاضطراب، قد يكون مفيداً في بعض الأحيان. لكن الخشية معناها خوف مغلّف بحب، خوف مغلّف بتعظيم لله، خوف مغلّف بهيبة لله، مغلّف بتوقير لله بتعظيم لله بمحبة لله.

فالخوف من دون الخشية قد يؤدي بك إلى الهرب وإلى الجزع، كما يخاف الكل من الخوف ويقول لا تخيفنا بكلامك، أما الخشية فتؤدي بك بإقبال على الله، فتخاف الله ولكن ليس خوف الخائف بل خوف المعظم وخوف الذي عرف قدر الله والذي عرف مقام الله، خوف الذي أيقن بقدرة الله وسيطرته على خلقه، خوف من عرف أن الله هو القهار الرحمن، فلما خفت العظيم الملك الرحيم الودود أقبلت عليه. فهل عرفتم الآن الفرق، إنه فرق كبير جداً.

وأنا لا أحاول إخافتكم، وأنا لا أقول هذا الكلام حتى أقول لكم أرأيتم ماذا سيحصل لكم فتخافون، ليس هذا هو الهدف لأن

هذا الخوف سينتهي، ولكنني أريد خوفاً يحببكم بالله...

ودليل هذا الكلام قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿31﴾ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴿32﴾ مَّنْ خَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ﴾ [ق: 31-33]. ماذا يعني من خشي الرحمن بالغيب، انظر لدقة هذه الجملة فلقد كان قادراً على القول من خشي الجبَّار بالغيب، أو من خشي القهار بالغيب، أو من خشي القوي بالغيب، بل قال من خشي الرحمن، والرحمن لفظ يدل على الرحمة، فقال: إن الخشية هذه مرتبطة بحبك لله عز وجل.

أنت تخشاه لأنك تعظمه، لا أريد أشخاصاً خائفين ومرعوبين بعد قراءة هذا الكلام، هذا خائف من الموت وذاك من القبر ومن كذا وكذا.. هذا خطأ، فليست هذه الخشية المطلوبة، بل أريدك بعد قراءة هذا الكلام من فرط حبِّك لله أن تخشاه، من فرط تعلقك بمولاك لا تستطيع ارتكاب الخطأ.

بحثت لأجد ما هو الشيء الذي يجلب الخشية للقلوب، فوجدت أن هناك أسلوباً قرآنياً وأسلوباً نبوياً يربط الخشية دائماً بيوم القيامة، وهذا شيء طبيعي ولذلك فكل كلامي هنا سيكون سرداً لأحداث يوم القيامة لتتخيَّل اليوم الذي ستقفه، وكيف لا تخشى بعد هذا؟

تخيَّلوا أنفسكم الآن يوم القيامة، والحشر حشر شديد، والأمر

صعب والعرق شديد والجمع كثير والازدحام عظيم والأنفاس متقطعة والشمس قريبة، فهل تخشى الله أم لا تخشاه ... ولكن مع تذكيري لك بيوم القيامة سأذكرك برحمة الله حتى أربط لك الخشية بالرحمة ﴿مَنْ خَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ﴾ [ق: 33] حتى تحبه وأنت تخشاه...

يوم القيامة لحظة بلحظة

فلنعش مع يوم القيامة لحظة بلحظة، أو تتخيّل بعض المواقف، فلن أستطيع سردها كلها لعل الخشية تتحرك في القلوب، فحين كنت أبحث ما هو أكثر أمر قادر على تحريك الخشية في القلب لم أجد أمر أفضل من ذكر يوم القيامة.

يقول الله تبارك وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ ﴿١﴾ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ﴾ [الحج: 1-2]. هل نخشى الله إذا سمعنا هذه الآية أم لا هل نبقى على المعصية أم نتوب.

واقرأ قول الله تبارك وتعالى: ﴿هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ﴾ [المرسلات: 35-36] لا تستطيع الاعتذار، لقد

انتهى وقت الاعتذار، كان بإمكانك أن تعتذر في الدنيا، كنت قادراً على التوبة في أي لحظة، فأي شخص يريد التوبة الآن في الدنيا هو قادر على التوبة وأما في الآخرة ﴿هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ﴿35﴾ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ﴾ [المرسلات: 35-36].

وتأمل قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾ [آل عمران: 30].

يقول الله عز وجل: ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿38﴾ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلْحَقُّ﴾ [النبأ: 38-39] انظر لخوف الملائكة الذين لا يعصون الله ما أمرهم.. فإذا كانت الملائكة تقف صفوفاً ولا تستطيع الكلام فماذا ستفعل أنت حينها؟...

يقول الله تبارك وتعالى: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿34﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ﴾ [عبس: 34-35].

يقول الله تبارك وتعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿34﴾ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ مَا سَعَىٰ﴾ [النازعات: 34-35].

أتذكر الكذب؟ أتذكر الغيبة؟ وأنت تقف وتقول: نعم سأسأل الآن عن هذا الذنب وقد أخفيته عن كل الناس ﴿يَوْمَ يَتَذَكَّرُ

ٱلْإِنسَٰنُ مَا سَعَىٰ﴾. [النازعات:35]

يقول الله: ﴿يَوْمَ هُم بَٰرِزُونَ لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَىْءٌ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾ [غافر: 16]. أين تختبئ اليوم ؟!!

يقول الله تبارك وتعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿106﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [آل عمران: 106-107]. فهل تخشى ذلك اليوم أو لا تكترث له، وهل نسيت أنك ستشهد وستقف ذلك اليوم؟ هل أنت مستعد لتلك الوقفة؟!أين خشيتك لله؟،وهل لا يزال قلبك غير قادر على التحرك بخشية لله بترك معصية من أجل ذلك اليوم العظيم؟!.

يقول النبي ﷺ: "كيف بكم إذا جمعكم الله كما يجمع النبل في الكنانة خمسين ألف سنة ثم لا ينظر الله إليكم"[1].

وقفة يوم القيامة خمسين ألف سنة لا تأكل فيها ولا تشرب ماذا ستفعل؟ كيف بكم، ما هو وضعك، ما هو إحساسك، كيف ستتصرف؟

---

(1) أخرجه الحاكم (8707) عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، وانظر: مجمع الزوائد (135/7).

كيف بكم إذا جمعكم ربكم خمسين ألف سنة لا تأكلون أكلة ولا تشربون شربة حفاة عراة غرلاً - أي بدون ختان - كما بدأكم تعودون.

يقول النبي ﷺ: "تحشرون حفاة عراة غرلاً"، قالت عائشة: يا رسول الله الرجال والنساء ينظر بعضهم إلى بعض؟ فقال: "الأمر أشد من أن يهمهم ذاك"[1] لن يستطيع أحد أن ينظر إلى أحد، فالكل يقول نفسي نفسي، الكل خائف، الكل قلق، أما تخشى ذلك اليوم ؟!.

يقول النبي ﷺ: "يحشر الناس يوم القيامة ثلاثة أصناف: صنفاً مشاة، وصنفاً ركباناً، وصنفاً على وجوههم"، قيل: يا رسول الله وكيف يمشون على وجوههم؟ قال: "إن الذي أمشاهم على أقدامهم قادر على أن يمشيهم على وجوههم، أما إنهم يتقون بوجوههم كل حدب وشوك"[2].

ألم تقرأ قول الله تبارك وتعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُوْلَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾

---

(1) أخرجه البخاري (6527)، ومسلم (2859) عن عائشة رضي الله عنها.
(2) أخرجه الترمذي (3142)، وأحمد (8433) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

[الفرقان: 34] ألم تقرأ قول الله عز وجل: ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا﴾ [الإسراء: 97].

لعلك قد خفت الآن، ولكن أكرر ليس هدفي إخافتك، فتقول في نفسك أنا سأهرب أنا خائف أنا لا أريد، ولكن هدفي من هذا أن أقول لك أما آن لك أن تقبل على مولاك.

أتريد أن تخشع وتخشى الله، فاسمع لو كنت مؤمناً تخشى الله في الدنيا ما الذي سينجيك إياه، يقول النبي ﷺ: "إن يوم القيامة يمر على المؤمن كركعتين خفيفتين يصليهما"[1].

انظر لجانب الرحمة الكبير بعد كل الخوف هذا، فهل تخشاه أم لا؟!

تخشاه لأنه رحيم، تخشاه لأن يوم القيامة سيمر على المؤمن كركعتين خفيفتين.

يقول الله للمؤمنين عن ذلك اليوم: "يا عبادي لا خوفٌ عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون"[2]. لكن الخوف في ذلك اليوم لمن أمن ذلك اليوم في الدنيا، تخشى الله أم لا؟

---

(1) لم أجده.

(2) انظر: تفسير الطبري (190/8)، والزهد لابن المبارك (363).

ولننتقل إلى مشهد آخر من مشاهد يوم القيامة، حين تدنو الشمس من الرؤوس، الشمس تبعد عنا الآن ثلاثة وتسعين مليون ميل، يقول النبي ﷺ في الحديث الصحيح: "تدنو الشمس يوم القيامة من الخلق حتى تكون منهم كمقدار ميل" ميل واحد، فإذا كانت الشمس تبعد عنا ثلاثة وتسعين مليون ميل ونحن منهكون من الحر، فما هو الحال لو كان بينك وبين الشمس ميل واحدا؟ فهل تخشى الله أم لا؟

ماذا تساوي كذبة ستخرج من فمك، ماذا تساوي نظرة حرام من عين، ماذا تساوي الصحبة، ماذا يساوي ترك جزء من الجسد من دون حجاب، ماذا يساوي مال حرام تأكله، ماذا يساوي عقوق والدين، ماذا يساوي إهمال في عمل، أمام أن تقف والشمس قد دنت من رأسك! أما تخشى ذلك اليوم؟

إخوتي، هل نسيتم أن ذلك اليوم هو اليوم الحقيقي ﴿ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلْحَقُّ﴾ [النبأ: 39].

تدنو الشمس من الرؤوس، يقول النبي ﷺ: "فيكون الناس على قدر أعمالهم في العرق فمنهم من يصل العرق إلى كعبيه، ومنهم من يصل العرق إلى ركبتيه، ومنهم من يصل العرق إلى سرته ومنهم من يصل العرق إلى ترقوته ومنهم من يسبح في عرقه ومنهم من يلجمه

العرق إلجاماً"[1] ومعنى يلجمه فهي كلمة مشتقة من اللجام، واللجام يغلق فم الحصان، انظر اختيار النبي ﷺ الدقيق لكلمة يلجمه، فالعرق قد وصل إلى شفاهه.. خمسين ألف سنة رائحة نتنة وعرق مقرف ولأن العرق قد وصل إلى شفاهه فإنه يخاف أن يفتح فمه فأصبح العرق كاللجام.. هل تتحمل هذه الوقفة! فهل ستخشى الله أم لا؟ فهل ستستيقظ من غفلتك أم لا؟

ولأني أريدك أن تخشى ولا أريدك أن تخاف انظر ما لو كنت مؤمناً وتخشى الله في الدنيا كيف سيكون حالك:

يقول النبي ﷺ: "سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله"...

فهذا اليوم يكون على المؤمن كركعتين خفيفتين ومع هذا يقف في الظل، في ظل شجرة! لا أبداً، بل في ظله تعالى يوم لا ظل إلا ظله. من هم أولئك السبعة وهل هم شيء معجز لا نستطيع الوصول إليها؟

والله يا إخوتي، كلنا لو أراد واحدة واختارها يستطيع الحصول عليها بسهولة.

---

(1) أخرجه مسلم (2864)، والترمذي (2421)، وأحمد (23301) عن المقداد رضي الله عنه.

"... إمام عادل، وشاب نشأ في طاعة الله، ورجل قلبه معلق بالمساجد، ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال: إني أخاف الله، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما أنفقت يمينه، ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه..."[1].

خالياً أي وحيداً في منزلك وقد تكون خالياً وأنت بين مليون، خالياً مع الله حتى لو كنت بين مائة ألف.

لا أقصد أن أخيفكم، أنا حين أقول لك تخيَّل أمراً معيناً يوم القيامة أعرف أنك ستخاف ولكنني أريد تغليف هذا الخوف بحب فأقول لك تنبه لو خشيته في الدنيا ماذا سيثيبك يوم القيامة...

تخيَّلوا إخوتي هذه الوقفة، فنحن لم نبدأ الحساب بعد، فأنت حافٍ عُرْياناً واقفاً أو ماشٍ أو راكباً أو على وجهك! وشمس فوق رأسك وتسبح في عرقك لخمسين ألف سنة، وفي كل هذا لا تأكل أكلة ولا تشرب شربة...

تخيل العطش، تخيَّل عطش خمسين ألف سنة، تخيَّل حين تكون واقفاً خمسين ألف سنة ولا أحد يسأل عنك ولا يكلمك ولا توجد قطرة ماء، لذلك كان الإمام الشافعي يشرب الماء ماء زمزم ويقول:

---

(1) أخرجه البخاري (660)، ومسلم (1031) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

"أشرب زمزم لعطش يوم القيامة".

أين خشيتك لله وأنت تأكل مالاً حراماً أو تشرب حراماً حين ستقف في العطش يوم القيامة، أين صلة الأرحام المقطوعة يوم عطش يوم القيامة، من ينجدك حينها؟!.

ولو كنت خاشياً لله في الدنيا يأتي النبي ﷺ وهو الذي يبحث عنك ولست أنت الذي تبحث عنه، أين فلان من أمتي؟تعال لأسقيك من حوضي، فإذا شربت من يده الشريفة لا تظمأ بعدها أبداً، من قال بأننا جميعاً سنقف بحر يوم القيامة؟ من قال بأننا جميعاً سنكون عطشى ، فهناك أشخاص في أول يوم القيامة سيأخذهم النبي ﷺ بالأحضان... تعال يا فلان أنت الذي تبعت سنتي ولم تكن تعرفني، تعال يا فلان يا من خشيت الله وكان قلبك مليء بخشية الله فتركت الكلمة الحرام والنظرة الحرام واللباس الحرام، تعال اشرب من يدي الشريفة شربة لا تظمأ بعدها أبداً...

كل أمر مخيف يوم القيامة داخله رحمة، أعلمتم الآن معنى ﴿مَّنْ خَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ﴾ [ق: 33]، أرأيتم هذه التوليفة، أرأيتم رحمة ربكم؟

جزع الناس وهم يطلبون بدء الحساب

تخيّل جزع الناس وهم يطلبون بدء الحساب، ينادون أين ربنا

ليحاسبنا، لا أحد يسأل عنهم.

وينادون أين الملائكة؟... كلنا خائفون أن لا تكون مستعدين لذلك اليوم.. فتخيَّل وقفة يوم القيامة، تخيَّل الناس يقولون أين ربنا ليحاسبنا، أين الملائكة! أين! أين! أين!.. من سيسأل عنا، أين ربنا لينظر إلينا ولو بمجرد نظرة؟،فإن نظرة الله إلينا رحمة...

يقول النبي: "ثلاثة لا ينظر الله عز وجل إليهم يوم القيامة: العاق لوالديه والمرأة المترجلة والديوث"[1] الديوث الذي يرى أهله على الفواحش وعلى المنكر وعلى الحرام ولا يردعهم.

تخيَّل البشرية وهي تجري نحو الأنبياء، وهي تجري نحو نبي تلو الآخر...

تخيَّل لو أن جميع البشر اتجهوا نحو سيدنا آدم وهم يقولون كما جاء في الحديث: "يا آدم اشفع لنا عند ربك أن يبدأ الحساب ويقول آدم: نفسي نفسي"..

تنبه، لو كنت مؤمناً سيمر هذا اليوم كركعتين خفيفتين، أما لو كنت عاصياً ولم تخشَ الله وقلبك لم يشعر البتة بخشية الله، لو كنت غافلاً عن الله في الدنيا حينها ستتألم هذا الألم...

---

(1) أخرجه النسائي (2562)، وأحمد (6078) عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

"... ويقول آدم: نفسي نفسي لقد غضب الله اليوم غضبة لم يغضب قط مثلها، لست لها لقد أكلت من الشجرة اذهبوا إلى نوح، يا نوح اشفع لنا عند ربك أن يبدأ الحساب، فيقول نوح: نفسي نفسي لقد غضب الله اليوم غضبة لم يغضب قط مثلها، اذهبوا إلى إبراهيم، فيقولون: يا إبراهيم يا خليل الرحمن اشفع لنا عند ربك أن يبدأ الحساب فيقول: نفسي نفسي لقد غضب ربي اليوم غضبة لم يغضب قط مثلها، لقد كذبت ثلاث كذبات...".

وما هي الكذبات: حينما قال: ﴿بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا﴾ [الأنبياء: 63]، وحين قال: ﴿إِنِّى سَقِيمٌ﴾ [الصافات: 89] وحين قال عن زوجته سارة بأنها أخته[1]. فقد كان سيدنا إبراهيم يحاول هداية الكفار، ولكنه مع هذا يخاف هذه الأمور في هذا اليوم... فما بالكم بمن يكذب آلاف الكذبات كل يوم وليس ثلاث كذبات ويقول إنها كذبة بيضاء... وتذهب البشرية إلى موسى فيقولون: "يا موسى اشفع لنا عند ربك أن يبدأ الحساب فيقول: نفسي نفسي لقد غضب ربي اليوم غضبة لم يغضب قط مثلها لقد قتلت نفساً.. اذهبوا إلى عيسى، فيقولون: يا عيسى يا روح الله اشفع لنا عند ربك أن يبدأ الحساب، فيقول: نفسي نفسي

(1) هذه الثلاث وردت في الحديث الذي أخرجه البخاري (3358)، ومسلم (2371) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

لقد غضب ربي اليوم غضبة لم يغضب قط مثلها غير أنه لم يذكر ذنباً، اذهبوا إلى محمد..." وتتجه البشرية إلى حبيبنا محمد ﷺ فيقولون: "... يا محمد يا رسول الله اشفع لنا عند ربك أن يبدأ الحساب فيقول: أنا لها أنا لها، فيذهب تحت العرش وينادي الله بأسمائه وصفاته ويحمد الله بمحامد لم يحمده بها أي إنسان من قبل فيقول المولى عز وجل: يا محمد ارفع رأسك وسل تعطى واشفع تُشَفَّعْ فيشفع في أن يبدأ الحساب"، ويقول النبي ﷺ: "ثم أشفع فيحد لي حداً فأدخلهم الجنة ثم أعود إليه فإذا رأيت ربي مثله – أي فعل كما فعل في المرة الأولى – ثم أشفع فيحد لي حداً فأدخلهم الجنة، ثم أعود الرابعة فأقول: ما بقي في النار إلا من حبسه القرآن ووجب عليه الخلود"[1] أرأيتم كيف تكون الرحمة داخل العذاب، فاخشوا الله في الدنيا واخرجوا منها أتقياء...

ثم تخيّل نفسك وقد أذن ببدء الحساب ويبدأ الحساب بأمر شديد، والناس غافلون عنه، فيبدأ الحساب بأن يؤتى بجهنم أمام أعين الناس فتوضع أمامهم، يقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَجِاْىٓءَ يَوْمَئِذِۭ بِجَهَنَّمَۚ يَوْمَئِذٖ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ﴾ [الفجر: 23]. يقول النبي ﷺ: "يؤتى بجهنم يوم القيامة لها سبعون ألف

---

(1) أخرجه البخاري (4476)، ومسلم (193) عن أنس رضي الله عنه.

زمام، مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها"[1].. وهذا يعني أن عدد الملائكة الذين يجرون جهنم أربعة مليارات وتسعمائة مليون ملك وهم يحجزون جهنم عن البشر.

ويصف الله تبارك وتعالى منظر جهنم وهي قادمة من بعيد، يقول الله تبارك وتعالى: ﴿إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا﴾ [الفرقان: 12]. هل للغيظ صوت، ولكن لشدة غضبها يسمع صوت غيظها من بعيد... فأي يوم هذا وهل ستخشى الله في هذه الدنيا أم لا؟

ويقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ (44) وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَاشِعِينَ مِنَ الذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ ۗ وَقَالَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُّقِيمٍ﴾ [الشورى: 44-45].

وبمجرد أن تعرض جهنم تسقط كل البشرية على ركبها يقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً﴾ [الجاثية: 28]، أما الأنبياء فهم واقفون يقولون جميعاً كلمة واحدة: "يا رب سلّم يا رب سلّم".

---

(1) أخرجه مسلم (2842)، والترمذي (2573) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

فأين أنت حينها! أين أنت؟ وماذا ستفعل حينها؟ يقول الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ (101) لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ (102) لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [الأنبياء: 101-103].

فهل تزيدك هذه الآية خشية أم تزيدك خوف؟

ثم تخيَّل الآن وقد بدأ الحساب، ويبدأ الحساب بأمر جليل، بأمر عظيم.. إنه قدوم الله عز وجل. تخيَّل يقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر: 22] فتخيَّل هيبة هذا الموقف! وجلال قدوم الله عز وجل! ثم تخيَّل وقد بدأ الحساب أنه قد جاء دورك، وهل تعلم ما معنى أن يأتي دورك؟ هل تتخيَّل ما سيكون شعورك حين ينادى باسمك! وهل تعلم كيف ينادى على اسمك كما جاء في الخبر، ينادى "فلان بن فلان هلمَّ الحساب"[1] فمن شدة خوفه لا يتحرك... أين خشية الله في القلوب؟ وماذا أعددنا لهذا اليوم؟ وماذا سنفعل حين نقف بين يدي الله هذه الوقفة؟ وما هذه المعصية التي تأخذنا، وأي صلاة فجر تلك التي نضيعها،

---

(1) أخرجه ابن المبارك في الزهد (116/1).

وأي عمل الذي لا نؤدي حقه، وأي أرحام قد أضعناها، وأي عقوق والدين نرتكبه، وأي حب وهمي نبحث عنه في غير الزواج، وماذا نفعل يا إخوتي وإلى أين نذهب وإلى أي اتجاه ؟،

".. فلان بن فلان هلم للعرض على الجبار" فمن شدة رعبه يزرق وجهه، ولا يتحرك، فما تعرفه الملائكة إلا من شدة خوفه، فالملائكة تعرفه من بين الملايين أكثر شخص خائف.. فيجرونه للعرض على الله عز وجل، ويقول النبي ﷺ: "ما منكم من أحد إلا وسيكلمه ربه ليس بينه وبينه ترجمان فينظر أيمن منه فلا يرى إلا ما قدَّم، وينظر أيسر منه فلا يرى إلا ما قدم، وينظر بين يديه فلا يرى إلا النار تلقاء وجهه فاتقوا النار ولو بشق تمرة"[1].

تخيَّل وأنت تسأل بين يدي الله، يا فلان - الله يكلمك - ألم أنعم عليك، ألم أرزقك جمالاً وآمرك بحجاب؟!ألم أرزقك أباً وأماً وقذفت في قلبيهما حبك! لم كنت عاقاً بهما؟ ألم أرزقك قوة؟! استعنت بقوتي على معصيتي! يا فلان استهونت بلقائي! أكنت عليك هيِّن! استخففت بنظري إليك في الدنيا!.. إخوتي إن هذا الكلام سيحصل...

---

(1) أخرجه البخاري (7512)، ومسلم (1016) عن عدي بن حاتم رضي الله عنه.

ثم انظر وهو يقول لك: اقرأ كتابك يا عبدي، فلو كان قلبك ليس خاشعاً وقلبك بعيد عن الله في الدنيا! اقرأ.. فعلت كذا يوم كذا، فلو كنت تقرأ أمام أبيك ما ارتكبته من المعاصي تخجل! فما بالك وأنت تحمل كتابك!.. اقرأ كتابك يا عبدي! تخيَّل هذه الوقفة..

ثم انظر إليه وهو يقول إذا غضب والعياذ بالله: اذهب يا عبدي فإني عليك غاضب فلا أغفر لك ولا أقبل منك خذوه يا ملائكتي فإذا سمع الأمر الملائكة ابتدروه، فيبتدره مائة ألف ملك[1] يقولون: عبدٌ لعنه الله وغضب عليه، كيف بارزت ربك بالمعاصي في الدنيا؟!..من يتخيَّل هذه الوقفة؟!!

أما لو كنت مؤمناً فيقول الله له تبارك وتعالى: عبدي ادنُ مني فيغمرك نور الله وجلال الله عز وجل، فيقول الله له عز وجل: عبدي ادنُ مني ويرخي عليك ستره ويقول لك: أتذكر ذنب كذا،أتذكر ذنب كذا،أتذكر ذنب كذا،حتى يظن العبد أنه هالك فيقول لك عز وجل: سترتها عليك في الدنيا وها أنا أغفرها لك اليوم اذهب يا عبدي لا أفضحك قد غفرت لك.

فتخيَّل فرحتك وهو يقول لك: "اذهب فقد غفرت لك"!

(1) انظر: حلية الأولياء لأبي نعيم (375/5).

فهل بعد هذا نخشى الله أم لا؟ وهل خشيتنا تكون خشية حب وإقبال ورغبة أم خشية خوف ورعب وهروب واضطراب؟ فليست هذه الخشية التي يريدها الله، حتى إنه تعالى حين تكلم عن الخوف تكلم عنه وغلّفه بالرحمة، فقال: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾ [الرحمن: 46]... أفهمتم معنى خشية الله؟!!

نماذج الخاشعين لله

1- أعظم الخاشعين سيدنا محمد ﷺ:

تقول السيدة عائشة رضي الله عنها: وجدته ليلة في غير فراشه فالتمسته، فوقعت يدي على قدميه فإذا هو ساجد وسمعته يقول في سجوده: "أعوذ برضاك من سخطك، وبمعافاتك من عقوبتك، وأعوذ بك منك لا أحصي ثناءً عليك أنت كما أثنيت على نفسك".

تنبهوا لا ينبغي أن ترتكب المعاصي حتى تخشى، فكلما تقربت من الله ازدادت حلاوة الخشية أكثر! وتجد أن أكثر الناس خشية لله هم أكثر الناس حباً له!

يوم دفن النبي ﷺ أحد أصحابه، فبكى حتى بلّ الثرى، أي التراب، ثم نظر إلى الصحابة وعيناه ممتلئتان بالدموع وقال: "يا إخواني لمثل هذا فأعدوا"[1]، لمثل هذا فأعدوا...

---

(1) أخرجه ابن ماجه (4195) عن البراء بن عازب رضي الله عنه.

ويقولون – أي الصحابة – كنا نراه إذا أراد أن يقوم من أي مجلس جلس فيه يرفع يديه ويقول ويكثر من هذا الدعاء: "اللهم اقسم لي من خشيتك ما تحول به بيننا وبين معاصيك"[1].

ويوم كسفت الشمس في المدينة، فإذا بالنبي ﷺ فزع وخرج مسرعاً وقام فصلى فقام في الصلاة فأطال القيام، ثم ركع فأطال الركوع ثم سجد فأطال السجود ثم وقف يدعو ويقول: "رب لم تعدني هذا وأنا أستغفرك، لم تعدني هذا وأنا فيهم.."[2].. ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الأنفال: 33].

ويعلمه الله تعالى الخشية، ﴿قُلْ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الأنعام: 15].

2- جبريل عليه السلام:

يقول النبي ﷺ في حديث رواه البخاري: "رأيت جبريل يوم أسري بي كالحلس البالي من خشية الله"[3].

---

(1) أخرجه الترمذي (3502) عن ابن عمر رضي الله عنهما.

(2) أخرجه النسائي (1496)، وأحمد (6724) عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه.

(3) أخرجه ابن أبي عاصم في السنة (276/1)، والطبراني في الأوسط (4679) عن جابر رضي الله عنه.

فجبريل حامل الوحي والجبريل الذي ائتمنه الله على الوحي ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ﴾ [الشعراء: 193] جبريل الذي لا يعصي لكنه خاشع، عنده خشية.

3- عمر بن الخطاب:

يوم فتح القدس، يوم كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه متوجهاً لاستلام مفاتيح القدس والناس كلهم ينتظرون، فحين كان داخلاً لاستلام المفاتيح يقول أمراً عجيباً جداً، يقول: أين أخي أبو عبيدة بن الجراح؟ وحين وصل إليه عانقه وبكى بكاءً شديداً، وحضن أبا عبيدة وقال له، يا أبا عبيدة ليس اليوم يوم نصر، اليوم يوم فكرة ماذا نقول لربنا إذا قال لنا ماذا فعلتم بعد رسولكم؟

فقال أبو عبيدة: يا أمير المؤمنين، ليس أمام الناس، فقال: يا أبا عبيدة سأقول له ماذا؟ فقال أبو عبيدة: يا أمير المؤمنين تعال لنختلي بعيداً عن الناس نتباكى، فذهبوا إلى شجرة بعيدة يبكيان حنيناً لرسول الله وخشية لله عز وجل.

ويوم وفاته رضي الله عنه يقول لابنه: "يا بني ضع خدي على التراب لعل رب عمر يرحم عمر"، ثم يقول بعد ذلك: "ويلي وويل أمي إن لم يرحمني ربي، ليتني خرجت منها كفافاً لا لي ولا علي.."[1].

---

(1) أخرجه البخاري (7218) عن ابن عمر رضي الله عنهما.

4- عمر بن عبد العزيز:

كان إذا قرأ في سورة الليل: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ ۝١ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ❊ ....فَأَنذَرۡتُكُمۡ نَارٗا تَلَظَّىٰ﴾ [الليل: 1-14] فما يستطيع أن يكمل فيبكي ويسكت ويعود فيصل إليها فيبكي.

كيف تصل لخشية الله

1 – الإقلال من المعاصي، فكلما قلّت المعاصي على القلب، كلما أشرق بالنور، فقلّل المعاصي وستكون مجاهدة وصعبة بعض الشيء، فقلّل المعاصي بقدر مقدرتك.

2 – تذكر يوم القيامة والموت والجنة والنار قدر استطاعتك، تذكر الجنة ونعيمك في الجنة، وتذكر وقفتك بين يدي الله عز وجل يوم القيامة.

3 – ارحم الناس يخشع قلبك، فكلما عاملت الناس برحمة كلما خشع قلبك أكثر.

فهذه ثلاثة أمور أوصيكم بها إذا كنتم تريدون الوصول إلى الخشوع.

1 – قلّل الذنوب قدر الاستطاعة.

2 – تذكر الجنة والنار.

3 – ارحم الناس.

فهذه ثلاثة أمور أوصيكم بها لتعلم الخشية.

وهناك أمر ينبغي التنبيه عليه، فقبل أن تكون خاشياً لله عز وجل، سوف تجاهد نفسك حتى تخشى الله، وحين يبدأ القلب يتعلق بخشية الله، سوف تجد أن من نتائج الخشية ابتعادك عن المعاصي ليس مجاهدة، بل لأن قلبك يكون فرحاً ويجد لذة بالابتعاد عن المعاصي.

الإيمان يأتي بالتدريب، فحين تدخل الكلية تدخلها وأنت تعرف شيئاً وحين تخرج تجد نفسك تعرف أشياء كثيرة، وذلك لأنك تدربت، وكذلك الإيمان والإسلام، فقم بتدريب نفسك، فحاول ترك المعاصي وإلزام قلبك الخشوع، وحاول أن تتذكر يوم القيامة وأن تعامل الناس برحمة، فإذا فعلت ذلك فسوف تأتي الخشية لقلبك بعد فترة من المجاهدة، فلو جاءت الخشية ستجد أنك تقاوم المعاصي ليس لأنها صعبة بل لأنك ستجد لذة بتركها، وهذا الكلام مجرب، فسوف تصل لمرحلة أن الخشية حين تدخل قلبك تجد أنها حين دخلت كوت وحرقت مواطن الشهوة في قلبك، وقد تكون قلت يوماً ما أنا من الممكن أن أترك أي أمر إلا المعصية ولا أستطيع تركها أبداً فتبدأ بمجاهدة نفسك، وتبدأ تتذكر يوم القيامة،

ويصبح قلبك خاشياً الله، فحين تأتي الخشية تجد أن المعصية قد خرجت من قلبك وأنت نفسك تتعجب كيف خرجت! لقد أخرجها الله من قلبك لأن الخشية حين دخلت أحرقت مواطن الشهوة من قلبك.

وأول درجات الخشية قتل المعاصي، ولهذا حين عرض على سيدنا يوسف عليه السلام موقف - يصعب على شباب كثر الصمود أمامه - فهو شاب صغير السن، جميل، غريب، في بلد لا يعرفه أحد، وهو عبد وليس حراً، والسيدة هي التي تراوده عن نفسه، وهي امرأة العزيز، وصاحبة جمال رائع ﴿وَغَلَّقَتِ ٱلۡأَبۡوَٰبَ﴾ فلا أحد يرى، وهي التي تعرض نفسها وتقول له: ﴿هَيۡتَ لَكَۚ﴾ [يوسف: 23] لكن قلبه كان يخشى الله فقال: ﴿مَعَاذَ ٱللَّهِۖ﴾ [يوسف: 23].

فمن الذي يقولها بهذه القوة وهذه الحلاوة؟!

﴿وَرَٰوَدَتۡهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيۡتِهَا عَن نَّفۡسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلۡأَبۡوَٰبَ وَقَالَتۡ هَيۡتَ لَكَۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [يوسف: 23].

وحين تبدأ بقتل المعاصي في قلبك ويعلم الله هذه الخشية في قلبك، فتنتقل إلى درجة أعلى من خشية الله، أن تبكي من خشية

الله عز وجل أن تتذوق حلاوة البكاء من خشية الله عز وجل، ولذلك يقول النبي ﷺ: "لا يلج النار من بكى من خشية الله حتى يعود اللبن في الضرع"

يقول النبي ﷺ: "ليس شيء أحب إلى الله من قطرتين وأثرين: قطرة من دموع في خشية الله، وقطرة دم تراق في سبيل الله، وأما الأثران: فأثر في سبيل الله، وأثر في فريضة من فرائض الله"[2] ويقول النبي ﷺ: "من ذكر الله ففاضت عيناه من خشية الله حتى يصيب الأرض دموعه لم يعذب يوم القيامة"[3].

ولذلك كان سيدنا عمر حين يمر على الآية ﴿وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾ [الإسراء: 109]. فيسجد وبعدها يقول: قد سجدنا فأين البكاء؟

ثم ترتقي بعدها إلى درجة أعلى من خشية الله وهي أن تخشى الله في معاملة الناس، فعمر بن عبد العزيز يقول لخادمه: "إذا رأيتني أظلم الناس أو آخذ حقاً من حقوق الناس فخذني من ملابسي

---

(1) أخرجه الترمذي (1633)، وأحمد (10182) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(2) أخرجه الترمذي (1669) عن أبي أمامة رضي الله عنه.

(3) أخرجه الطبراني في الأوسط (1641، 6171)، والحاكم (7668) عن أنس رضي الله عنه.

وهزني وقل لي يا عمر أما تخشى الله".

لا أريدكم حين تخشون الله أن تبكوا فقط ولكنني أريدكم حين تخشون الله أن تتقوه بزوجاتكم وبناتكم وأعمالكم والناس الذين يعملون تحت أيديكم والخادم أو الخادمة وكل الناس.. فلو أتممنا هذه الأمور الثلاثة نكون قد أتممنا مفهوم الخشية.

ملاحظة:

لقد نهينا في الشرع عن المبالغة في الخوف، فأنا أخاف أن من يقرأ هذا الكلام يخاف النوم ويخاف الموت..

بينما النبي ﷺ يزور شاباً من الأنصار وهو يموت، فقال له النبي ﷺ: "كيف تجدك؟" فقال: أجدني أخاف ذنوبي وأرجو رحمة ربي، فقال النبي ﷺ: "ما اجتمعا في قلب عبد في هذا الموطن إلا أعطاه الله ما يرجو وأمنه مما يخاف"[1].

ينبغي أن نتعلم الموازنة بين الخوف والرجاء، وأتمنى أن من يقرأ هذا الكلام يستطيع تحقيق هذه الصورة...

فهل نحن مستعدون لخشية الله عز وجل؟ وهل نحن مستعدون

---

(1) أخرجه الترمذي (983)، وابن ماجه (4461)، وأبو يعلى في مسنده (3303)، وأبو نعيم في الحلية (292/6) عن أنس رضي الله عنه.

لمراجعة أنفسنا؟ وبهذا يتذكر يوم القيامة ويخفف من ذنوبه ويتوب إلى الله تبارك وتعالى ويقول في نفسه: إن يوم القيامة أشد من العيش ألف سنة في هذه الدنيا، وليتنا نخرج من هذه الدنيا دون مشاكل ولا مصائب...



الاسم: عمرو محمد حلمي خالد

تاريخ الميلاد: 5/9/1967 الإسكندرية

المؤهل الدراسي: حاصل على بكالوريوس تجارة من جامعة القاهرة عام 1988

وعضو بجمعية المحاسبين و المراجعين المصريين.

العمل: محاسب قانوني

الدراسات الإسلامية: تلقى في الدراسات الإسلامية من معهد الدراسات الإسلامية

ويعد للدراسة الدكتوراة في السيرة النبوية من جامعة ويلز ببريطانيا.

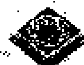
الموقع على الإنترنت: www.amrkhaled.net

الموزع داخل جمهورية مصر العربية: أريج للنشر و التوزيع

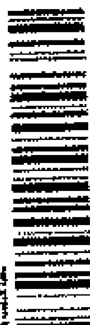
نسخة غير قابلة للتسويق خارج جمهورية مصر العربية

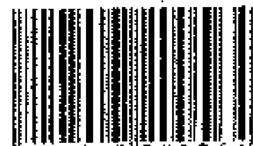


للنشر و التوزي[ع]
4 شارع اليسر - متفرع من شار[ع]
تليفون : 3366963 - 379910
فاكس : 3387836(202)+
صندوق بريد : 463
البريد الإلكتروني : m.eg
الموقع على الإنترنت : m.eg
للحصول على منتجاتنا اتصل ...
أو من خلال



الدار العربية للعلوم
Arab Scientific Publishers
www.asp.com.lb





6 222007 200564